بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

نموذج رقم : (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات :

الاسم الرباعي : متعب عوض محمد الغامدي الرقم الجامعي : (٤١٨٠٨٢٦٦-م)

كلية : اللغة العربية قسم : الدراسات العليا العربية فرع : الأدب .

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : أدب .

عنوان الأطروحة : رثاء الملك عبدالعزيز في الشعر السعودي
دراسة موضوعية فنية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فبعد إجراء التصويبات المطلوبة التي أوصت بها اللجنة التي ناقشت هذه الأطروحة بتاريخ : ١٤٢٤/٥/١٩هـ . توصي اللجنة بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة

والله الموفق ....

أعضاء اللجنة :

المشرف أ.د محمد حسين الحارثي | المناقش الأول أ.د صالح سعيد الزهراني | المناقش الثاني د. صالح جمال بدوي

التوقيع | التوقيع | التوقيع

يعتمد : رئيس قسم الدراسات العليا العربية

أ.د : سليمان بن إبراهيم العايد

التوقيع :

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب



رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي

دراسة موضوعية فنية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب
متعب بن عوض بن محمد آل محفوظ الغامدي
الرقم الجامعي (٥ - ٨٢٦٦ - ٤١٨)

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد بن مريسي الحارثي

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إهداء

إلى المؤسس العظيم

جلالة المغفور له بإذن الله

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

* وإلى قائد المسيرة خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

* وإلى ولي العهد الأمين صاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

* وإلى النائب الثاني صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

وزير الدفاع والطيران والمفتش العام

* وإلى جميع أفراد الأسرة المالكة الكريمة

* وإلى الشعب السعودي الوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

هذه الدراسة معنية بدراسة ((**رثاء الملك عبدالعزيز فى الشعر السعودي دراسة موضوعية فنية**)) . وقد انتظمت فى تمهيد وبابين وخاتمة ، عرضت فى التمهيد للجمع بين التهنئة والتعزية فى قصيدة الرثاء ثم أشرت الى الدراسات السابقة .

أما الباب الأول : (قضايا شعر رثاء الملك عبدالعزيز عند الشاعر السعودى) فقد حاولت فيه الوقوف على الموضوعات التى دار حولها شعر الرثاء ، وابرز مضامين الشعر التى سجلها الشعراء وسلطوا عليها الأضواء . وقسمت هذا الباب الى اربعة فصول :

الفصل الأول : مصادر الشعر (شخصية الملك عبدالعزيز) ، (والتراث) .

الفصل الثانى : صدمة الحدث .

الفصل الثالث : قضية الحياة والموت .

الفصل الرابع : منجزات الملك عبدالعزيز

أمـــا الـــباب الـــثانى : (**أدبيات شعر الرثاء**) فقد عنيت فيه بدراسة النواحى الفنية لقصيدة رثاء الملك عبدالعزيز عند الشاعر السعودي من حيث خصائصها وسماتها الشعرية والفنية . وقد جاء هذا الباب فى ثلاثة فصول .

الفصل الأول : المعجم الشعري .

الفصل الثانى : الصورة.

الفصل الثالث : الموسيقى .

وفى الخاتمة أوجزت ما فصلته فى بابي هذه الدراسة وعرضت أهم نتائجها ومنها :

١. أظهرت هذه الدراسة مدى ثراء شخصية الملك عبدالعزيز وتمييزها وتعدد مواهبها.
٢. ارتباط الشاعر السعودي بتراثه العربي الأصيل واستلهامه له .
٣. استناد الشاعر السعودي الى المرجعية الاسلامية ، وخلو شعره من الانحرافات العقدية والشطحات الفكرية .
٤. تباهى الشعراء وافتخارهم بالمنجزات العظيمة التى حققها المؤسس العظيم ، ورصدهم لهاـولعطاءاتها الممتدة وتأكيدهم على تفردها وتميزها .
٥. تميز جميع التجارب بالاعتدال والبعد عن المبالغة المفرطة والخيال المغرق

والحمد لله رب العالمين .

الباحث	**المشرف**
متعب بن عوض آل محفوظ الغامدى	د. محمد بن مريسى الحارثى

عميدالكلية

د. عبدالله بن ناصر القرني

Thesis Abstract

This study deals with ((elegizing King Abdul Aziz in Saudi poetry: a subjective artistic study)). It consists of a preface, two sections and a conclusion. In the preface, I have discussed the combination of congratulation and consolation in the elegy after citing the literature review.

In the first section: (Issues of the elegiac poetry of King Abdul Aziz as practiced by the Saudi poet), I have tried to tackle the issues around which the elegiac poetry revolved and the most important poet contents registered and high-lighted by poets. I have divided this section into four chapters:
First chapter: Sources of poetry (the character of King Abdul Aziz and (the Heritage).
Second chapter: The Shock of the event.
Third chapter : The issue of life and death.
Fourth chapter: Achievements of King Abdul Aziz.

I have strived to study the artistic aspects of King Abdul Aziz elegy as practiced by the Saudi Poet, regarding their expressive and artistic features and characters. This section is divided into three chapters:
First chapter: The poetic lexicon.
Second chapter: The poetic image.
Third chapter: The music.

In the conclusion, I have briefed the material covered in the two sections and presented the most important results of the study, which include the following:

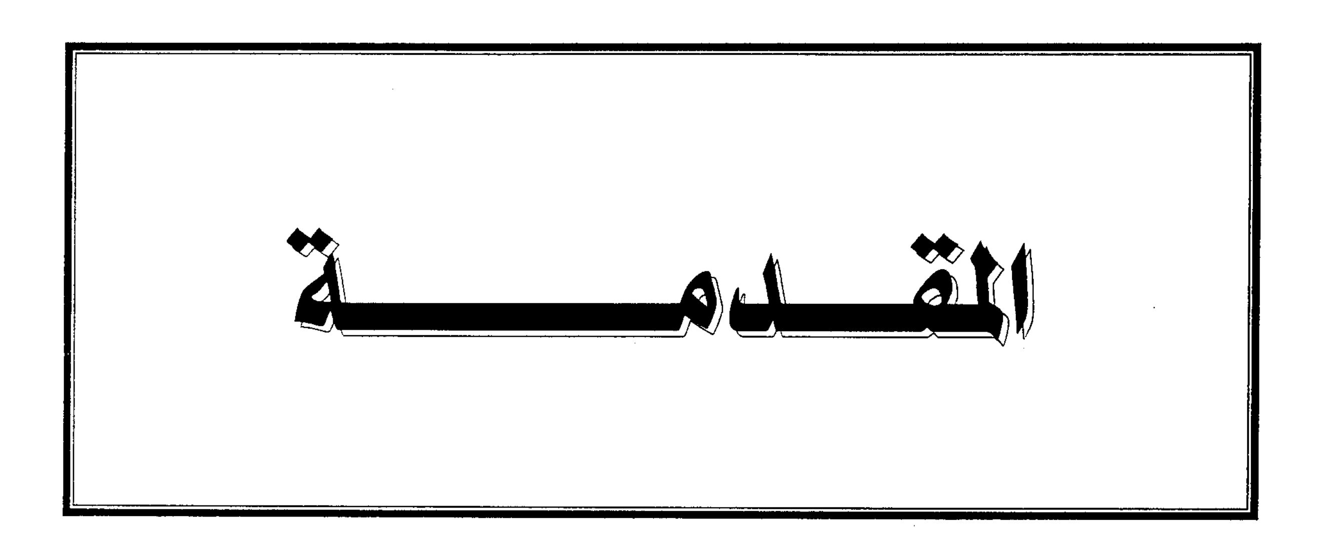
1. The study reveals the richness of King Abdul Aziz's character, its distinctiveness and diversity of his talents.
2. Association of the Saudi poet with his original Arabic heritage and his seeking inspiration in it.
3. Dependence of the Saudi poet on the Islamic background, the fact that lead to absence of religious deviations and intellectual diversions in his poetry.
4. boasting of poets and their bragging with the great achievements of the establishing King and their citing of those achievements, continuity, and their emphasizing their distinctiveness.
5. Moderateness of poets' experiences in their poetic industry.

Praise be to Allah, Lord of the worlds.

Research
Miteb Awadh Mahfooz

Supervisor
Prof. Mohammed Meraisi Al-Harith

College Dean
Prof. Dr. Abdullah Nasir Al-Qarni


المقدمة

المقدمة :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

ففي يوم الاثنين الموافق ٢ / ٣ / ١٣٧٣ هـ فجع العالم الإسلامي بوفاة زعيم عربي ، وقائد محنك ، وسياسي فذ ، ذلك هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، الذي وافاه الأجل بعد أن لملم أطراف الجزيرة ، ووحد أجزاءها وجمع كلمتها ، وفجر كنوزها ، وأمن سبلها ، ووضع استراتيجية التنمية فيها .

فكان عهده عهداً جديداً لم تألفه الجزيرة على امتداد قرون من الزمان ، إذ تحقق على يديه يرحمه الله ما يشبه المعجزة ، مملكة مترامية الأطراف ، صحاري وجبال ، أودية ووهاد ، كلها تدين لعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بالفضل - بعد الله عز وجل - فيما تنعم به اليوم من أمن ورخاء ، ووحدة وبناء ، وقد كانت من قبل في خوف وضياع ، وفتنة وتمزق فأصبحت المملكة العربية السعودية صرحاً شامخاً يقوم على أسس ثابتة راسخة ، من عقيدة صافية ، ونظام حكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فتحقق الأمن والازدهار ، وحازت على إعجاب العالم أجمع ، كما حظيت بالاحترام من جميع الدول ، لأنه يرحمه الله كان حريصاً على بناء علاقات الأخوة والمحبة ، مع الأشقاء في العالم العربي والإسلامي ، والصداقة القائمة على الاحترام المتبادل ، وعدم التدخل في شؤون الغير ، فتحقق الأمن الداخلي والخارجي .

ولما كانت شخصية الملك عبد العزيز وإنجازاته مؤثرة في حركة التاريخ المعاصر ، استجاب الشعراء لمكنوناتهم وأحاسيسهم ، التي أحالوها لفقده شعراً يجسد مرارة الألم ، وعظيم الحزن ، ويزيد ذلك حينما يعددون مناقبه ومآثره الخالدة ولذلك كان رثاؤه يرحمه الله استجابة طبيعية ، لمأساة تتفجر في قلب

الشاعر تملأ احساسه ومشاعره ألماً وحسرة .

لذلـك اخـترت موضـوع رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي تدفعني لإختياره رغـبة جامحـة لأعيـش في ظـلال موضـوع أدبي يتناول شخصية الملك عـبد العزيـز ويـثمن مواقفهـا الإنسانية ، ومنجزاتها الحضارية ، ويتناول مرحلة مهمة في تاريخ هذه البلاد ، بالإضافة إلى :

١ - أن غـرض الـرثاء غـرض تتمـثل فيه أصدق عواطف الإنسان تعبيراً ، وأكمـلها تطويـراً ، وألصـقها بالنبع الخالد نبع الوجدان الدفاق ، لذلك كان من أقـوى الأغـرض الشـعرية تأثيراً في نفوس المتلقين لأنه يعبر عن وجدان صاحبه وهـو شعر يقال على سبيل الوفاء[١] وعندما سأل الأصمعي أحد العرب ما بال المراثي أشرف أشعاركم قال الأعرابي لأننا نقول وقلوبنا تحترق[٢] .

فـالذي يـرثي الفقيـد لا يبتغي أجراً ، كما يفعل شعراء المدح الذين يقولون لـنيل عطـاء ، ولكـن الـراثي يعدد مناقب العزيز الذي فارق الحياة ، وفاءً لحب سـالف والـتزاماً بشـعور كـريم ، فعنصـر الوفـاء هو الفارق بين المدح والرثاء ، بالإضـافة إلى إظهار الحسرة والألم واسبال العبرات ، وزوغان النظرات ، وزيادة الآهات .

٢ - تميـز شعر الرثاء عند الشاعر السعودي ، لاستناده إلى المرجعية الشرعية التي شكلت الشاعر السعودي عقلاً وروحاً ، وأثرت في المنتج الشعري لديه وفي القضـايا المضمونية لذلك المنتج ، فهو شعر لم يخرج عن إطار التصور الإسلامي للإنسـان ، والحياة ، والموت ، بعيداً عن الجنوح الفكري ، والانحراف العقدي ، أو الغلو والمبالغة في شخصية الفقيد .

---

(١) انظر : تاريخ الأدب العربي للرافعي جـ٣ ص ١٠٦ .

(٢) انظر : العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه جـ٣ ص ٢٢٨ .

٣ - إن هـذا الشـعر يمـثل ملمحاً بارزاً من ملامح الأدب السعودي جديراً بالعناية والاهتمام .

٤ - عـدم عـناية الدارسـين للشعر العربي في المملكة العربية السعودية بهذا الغـرض ، ومن ثم الوقوف على خصائصه وسماته ، التعبيرية ، والفنية باستثناء بعـض إشـارات عابـرة ، وردت في بعـض الدراسـات ، كما سأشير فيما بعد ، بحيـث لم تتـناول تـلك الدراسـات قضـايا هذا الشعر ولا فنياته وجمالياته ، وقد حرصـت عـلى أن أجـلي قضـاياه المضـمونية ، وتشكيلاته الجمالية ، من خلال موضوع رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي .

وقد تمثلت المادة الشعرية التي دارت حولها هذه الدراسة ، في قصائد الشعراء السـعوديين المنشـورة في الصحف ، والمجلات السعودية ، في الدرجة الأولى ، ثم في الدواويـن الشعرية في الدرجة الثانية ، إذ أن أغلب ما اعتمدت عليه من شعر رثـاء المـلك عـبد العزيـز لم أجـده في دواوين أصحابه ، رغم أن أغلب الشعراء الذين ضمهم البحث لهم دواوين ، ومجموعات شعرية كاملة ، وربما يرجع ذلك إلى مـا يوصم به شعر الرثاء ، من أنه فن تقليدي صرف ، سار فيه أصحابه على نهـج القدماء ، وليس فيه من المقومات الفنية والجمالية ، ما لغيره من الشعراء ، كمـا يقـول منـتقدوه ، لذلـك تحـامى الشعراء أن يضمنوه في دواوينهم ، كي لا تصيبهم سهام النقاد .

وقـد كـان منهجي في هذه الدراسة ، منهجاً وصفياً تحليلياً فنياً ، عالجت من خلاله النصوص ، ودرست ما فيها من قضايا مضمونية ، وقيم فنية .

واقتضـت طـبيعة هـذه الدراسـة ، أن تكـون في بـابين ، مسبوقين بتمهيد ، ومتبوعين بخاتمة : تناولت في التمهيد بشكل موجز ، الجمع بين التهنئة والتعزية ، بوصفهما عنصرين مهمين في قصيدة الرثاء .

كمـا عرض التمهيد إلى الدراسات السابقة ، التي تناولت الرثاء بشكل عام ورثـاء المـلك عـبد العزيـز بشـكل خـاص ، في الدراسـات الـتي تناولت الشعر السعودي .

أمـا الـباب الأول فقـد عـني بقضـايا الشـعر ، وانتظم في أربعة فصول جاء الفصل الأول معنياً بمصادر الشعر .

وقد قسم هذا الفصل إلى مبحثين :

الأول شخصية الملك عبد العزيز :

تـناولت فيه تميز شخصية الملك عبد العزيز ، وأسباب ذلك التميز ثم روافد تلك الشخصية ، كما تناولت فيه الصفات التي نعته الشعراء بها .

والمبحث الثاني كان عن التراث :

تـناولت فيـه موقـف الشـاعر السـعودي مـن الـتراث ، والجوانـب التراثية المستلهمة وأشكالها .

وجـاء الفصـل الثاني بعنوان صدمة الحدث : تناولت فيه أثر نبأ وفاة الملك عـبد العزيـز عـلى الصـعيدين : الداخلي والخارجي ، وانعكاس ذلك النبأ على الشعراء السعوديين .

أمـا الفصـل الثالث فكان بعنوان - قضية الحياة والموت - تناولت فيه نظرة الشـعراء لهذه القضية ، من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث ، ثم عرضت لموقـف الشـاعر السـعودي مـن هـذه القضـية ، مـن خـلال قصـيدة رثاء الملك عـبد العزيـز ، كما تناولت فيه مدى العمق الفلسفي عند الشاعر السعودي لهذه القضية .

أمـا الفصـل الـرابع فكـان بعنوان منجزات الملك عبد العزيز وعرضت فيه رصد الشعراء السعوديين لهذه المنجزات العظيمة وقد تمحورت حول :

- تحقيق وحدة الدولة والمعتقد .
- تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة العدل .
- تحقيق الأمن .
- تحقيق التنمية الشاملة .
- السعي لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية .

أمـا الـباب الـثاني فقد أفردته لدراسة أدبيات شعر رثاء الملك عبد العزيز ، عند الشاعر السعودي .

عـنيت فيـه بإبراز الخصائص الفنية ، والقيم التعبيرية لهذا الشعر ، وقد جاء في ثلاثة فصول :

الفصـل الأول عن المعجم الشعري : وتناولت فيه الألفاظ والتراكيب ، عند الشـاعر السعودي في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز ، من حيث مستواها الدلالي والإيحـائي ، وقـربها ، ووضوحها ، وبناؤها اللغوي ، وارتباطها بالموضوع ، ثم ذكـرت أهم الظواهر الأسلوبية التي توافر عليها الشعراء ، في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز .

وجاء الفصل الثاني عن الصورة الفنية :

تناولت فيه مفهوم الصورة وأنواعها ووسائل تشكيلها .

وجاء الفصل الثالث عن الموسيقى .

تـناولت فيـه : الموسـيقى في قصـيدة رثـاء المـلك عـبد العزيـز عند الشاعر السعودي من زاويتين : الموسيقى الخارجية ، والموسيقى الداخلية .

أما الخاتمة : فقد ألمحت فيها ، إلى أهم ما تطرق إليه البحث من موضوعات، وأهم النتائج التي خرج بها البحث .

وبعد :

فقد بذلت ما في وسعي ، وقدر طاقتي ، في إخراج هذه الدراسة ، ولا أدعي الكمال ، فله سبحانه الكمال المطلق ، وهذا عمل البشر ، معرض للخطأ والنقصان ، ولكنها محاولة جادة ، فإن وفقت فلله الفضل من قبل ومن بعد ، وإن كانت الأخرى ، فحسبي أنني اجتهدت ، وأسأل الله أن لا يحرمني الأجر .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر ، وعظيم الامتنان لجامعة أم القرى ، ممثلة في كلية اللغة العربية ، وقسم الدراسات العليا فيها ، على إتاحة هذه الفرصة لاستكمال دراستي العليا وتيسير سبلها لي .

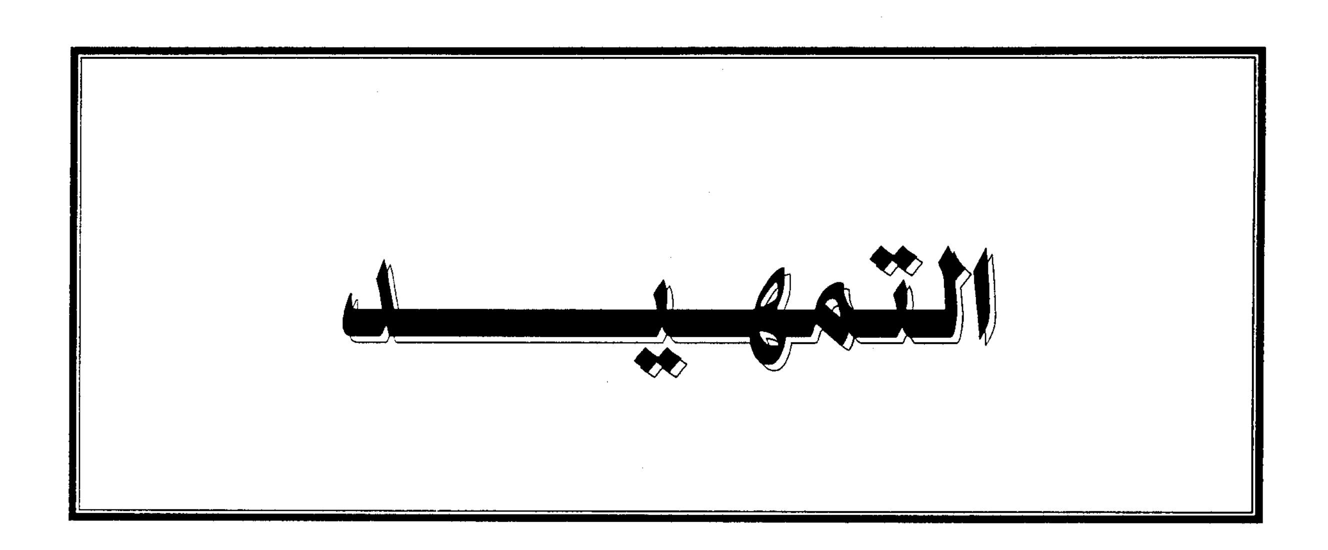
كما أتوجه بجزيل الشكر لأساتذتي الكرام ، في هذه الكلية العريقة ، على ما أولوني من حسن رعاية واهتمام وتشجيع .

وتقف عبارات الشكر والعرفان والامتنان عاجزة ، عن إيفاء ما للمشرف على هذه الرسالة ، سعادة الأستاذ الدكتور : محمد بن مريسي الحارثي من حق تجاه ما لقيته منه ، من سعة صدر ، وحسن توجيه ، وما غمرني به من فضل ، وطوقني به من رعاية واهتمام ، فلم يبخل عليَّ بوقته ، ولا بجهده ، ففتح لي صدره وبيته ، ونصح لي نصح الوالد لولده ، فنهلت من علمه وأفدت من توجيهاته .

ومهما كان الثناء والإطراء فإن ذلك يقصر عن هامته ، ولا يصل إلى منزلته وحسبي أن أردد قول الشاعر :

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

ولســت أملك إزاء ما قدمه لي ولبحثي من علم واعٍ ، وأستاذية كريمة ، إلا الدعـاء الصــادق له ، بـأن يعـلي الله قـدره ، ويـرفع منزلـته ، ويجـزيه عني خير الجـزاء ، ويجعل كل ما قدمه لي في موازين حسناته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلى الله وسلم وبارك على أفضل خـلق الله ، سـيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه ، إلى يوم الدين .


التمهيد

التمهيد :

أولاً : الجمع بين التعزية والتهنئة في قصيدة الرثاء :

تعد التعزية عنصراً من عناصر قصيدة الرثاء ، وهي بالإضافة إلى الندب والتأبين ، من المضامين المهمة ، في قصيدة الرثاء عند شعراء العربية ، في مختلف العصور .

أما التهنئة فهي من المعاني الطارئة ، على قصيدة الرثاء ، إذ لم يكن لها وجود في قصائد شعراء الجاهلية وعصر صدر الإسلام ، وأول عهد الناس بها كان في عهد الدولة الأموية ، وذلك عندما توفي معاوية بن أبي سفيان ، وتولى ابنه يزيد الخلافة بعده ، فكان ذلك حدثاً جديداً ، وطريقة غير مألوفة في انتقال السلطة ، إذ لم تكن الخلافة من قبل وقفاً على أهل بيت واحد ، يتوارثونها ، إذ كانت الخلافة تعطى للأجدر والأصلح من المسلمين ، ولم يكن الشعراء مضطرين للتعزية والتهنئة في آنٍ واحد .

فلما مات معاوية ، وتولى يزيد الحكم بعده ، اضطرب الشعراء ، ووقفوا موقفاً صعباً ، أيرثون الفقيد ويبكونه ، أم يهنئون ابنه يزيد كونه الخليفة الجديد[(١)] .

وقد عدّ ابن رشيق هذا الموقف ، من أصعب مواقف الرثاء ، حيث يقول : « ومن صعب الرثاء أيضاً جمع تعزية وتهنئة في موضع »[(٢)] .

ولم يستطع أحد من الشعراء أن يجمع بين التعزية والتهنئة ، حتى قام الشاعر

---

(١) انظر شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم ، د/ عبد الرشيد عبد العزيز سالم ، وكالة المطبوعات الكويتية ، الكويت ، ط(١) ١٩٨٢ م ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) العمدة لابن رشيق ، تحقيق د/ محمد قرقزان ، مطبعة دار الكتاب العربي ، دمشق ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ط(٢) ص ٨١٩ -

عـبد الله بـن همـام السلولي ، فعزى الخليفة يزيد في وفاة والده معاوية ، وهنأه بتوليه الخلافة بعد أبيه ، فكان أول من طرق هذا الباب[1] .

وذلك حين قال :

اصـبر يــزيد فقـد فـارقت ذامقـة	**واشـكر حـباء الـذي بالملك حاباكـا**
لا رزء أعظم في الأقوام قد علموا	**ممـا رزئـت ولا عقـبى كعقـباك**
أصبحت راعـي هـذا الخـلق كـلهم	**فـأنت تـراعاهم والله يـرعاكا**
وفـي معاويـة الـباقي لـنا خـلف	**إذا بقيـت فـلا نسـمع بمـنعاكا[2]**

فعُـد ذلـك فـتحاً للشـعراء من بعده ، فإذا مات الخليفة أو الملك وتولى ابنه وقـف الشـعراء « يـرثون الـراحل ويعـزون أهلـه فيه ، ويذكرون بمجده وجلده وكفاحـه ، وفي الوقـت نفسـه يهنـئون الخـليفة الجديـد الـذي أصـبح محط آمال الـناس ، ومسـرى عيونهـم ، إليه ترجى الغايات وبه تكتمل المسيرة ، وفي عهده ترفع الرايات ، ويتم الشرف والمجد »[3] .

وقـد سـار الشـعراء عـلى هـذا المنوال عبر العصور حتى عصرنا الحديث ، حيـث نجـد عـند كـبار الشعراء في العصر الحديث ما لا يقل جمالاً وروعة ، عما قاله أسلافهم من شعراء العربية في مثل هذا الموقف .

فهـذا إسمـاعيل صـبري يعـزي في وفاة الخديوي توفيق ، ويهنئ ابنه عباس الثاني بتولي الملك بعده حيث يقول :

كـل خطـبٍ فـي جنـبك يـا مـ	**ـصـر يـرجى للـناس فيـه عـزاء**

---

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) انظـر الشـعر والشـعراء لابن قتيبة تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، إحياء التراث العربي ، القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م ، جـ(٢) ص ٦٣٣ - ٦٣٤ .

(٣) شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

ويلتفت مهنئاً الملك الجديد فيقول :

لا أعـــزيكم وإنــــي لقولـــي أن تعـــزى بمـــثله الحكمــــاء

أحمـد الله فــي العشـية والإصــ ـــباح فالــبؤس قــد تــلاه هــناء

إن يكــن خــر مــن ســمائكم بــد رٌ « فعباســكم » بـــه يستضـــاءُ

إلى قوله :

ورث المـــلك عـــن أبيـــه فـــلما قـــام بالأمــر دب فيــنا الــرجاء(١)

وشـعراء المملك العـربية السعودية ليسو بدعاً بين شعراء العربية ، فما عني بـه أسـلافهم وأقـرانهم في الوطـن العـربي عـناهم ، حيـث تأثـروا بمن سبقهم وتـرسموا طـريقهم ، وكـان لهـم حـظ وافر من الإجادة في الجمع بين (التعزية والتهنـئة) في قصـيدة الـرثاء « ولا نسـتطيع أن نقول إن بيئة عربية أو دولة دون الأخـرى بـرع فيهـا - عن سواهم - في هذا الموقف ، وإنما كانوا جميعاً يشبهون حـلقة متكامـلة تـدور فيها المعاني والأفكار إلى غاية واحدة ، ففي كل مكان في دنيـا العـرب نجـد شـعراء بـرعوا في هذا الموقف الصعب ، وأجادوا في المواساة والعـزاء ، وأطـربوا في التهنـئة والظفر ، وحولوا الموقف من المأساة إلى السلوى والفـرح ، وجعـلوا الناس بدل اليأس تستبشر وتفرح ، ولاشك أن في هذا تفنناً وبـراعة لا يحسـنها إلا فحـول الشـعراء وكـبراؤهم ، ولا يجيـد القـول فيـه إلا أصحاب البديهة اللماحة ، والطبائع القوية والشاعرية الفياضة »(٢) .

وعندما نطالع قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ، نجد أن مجموعـة من الشعراء استطاعوا الجمع بين (التعزية والتهنئة) في رثائهم للملك عـبد العزيـز ، فهم يعزون في وفاة العاهل المؤسس وفي نفس الوقت يهنئون ابنه الملك سعود بتولي الملك ، ومن أولئك الشعراء محمود عارف حيث يقول :

---

(١) ديوان إسماعيل صبري ، ص ١٩٨ - ٢٠١ .

(٢) شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم ص ١١١ .

إيهٍ سعود وأنت خير ممـلكٍ لقـي المثوبة في المصاب الموجع
قد جاء شعبك في حشود شجونه يرثي لحزنك في قصيد الأدمع
والدمع من شعر المآقي بعضه فيه العزاء ، لأنه من أضلع
والبعض من هذى الدموع فرائدٌ تهدى لتاجك في المكان الأرفع
مولاي هذى أكبدٌ ونوظرٌ حرى وشكري بالدموع الهمع
الشرق أجمعه ينازعك الأسى في العاهل الفاني بفرط تفجع
والشعب يمنحك الولاء مؤيداً لك بين كلٍّ ممـلك متربع
فلأنت بعد أبيك موئل أمة والفرع صنو الأصل غير موزع[1]

ومن الأبيات الجميلة في هذا المعنى قول محمد بن علي السنوسي :

واستشرق الإسلام وجهاً ساطعاً متبلجاً عن ثغره البسام
ومضى سعود الشرق يهتف في الورى نحو الكمال بقوة ونظام
فوددت أن يدي تطول فأنتقي زهر الكواكب في عقود كلام
فلقد نقل لك النجوم مراثياً غرراً فكيف شوارد الأقلام[2]

أما قصيدة محمد حسن عواد في رثاء الملك عبد العزيز فكانت من أكثر القصائد إسهاباً في الجمع بين التعزية والتهنئة ، حتى إنها لتكاد تقتصر على هذين المعنيين في أغلب أبياتها البالغ عددها خمسين بيتاً .

ولعله الشاعر الوحيد الذي افتتح قصيدته بمخاطبة الملك الجديد حيث يقول :

ألا نضّر الله المحيا المنورا وعقلاً على العزم الحديدي سيطرا
وقلباً تلقى خطبه وهو صابرٌ كأناً به ما صيغ إلا ليصبرا[3]

وبعد التذكير بمآثر الفقيد (الملك عبد العزيز يرحمه الله) تتحول القصيدة إلى

---

(١) صحيفة البلاد العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .
(٢) مجلة المنهل ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٨ .
(٣) صحيفة أم القرى في ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

مدح صرف للملك سعود الملك الجديد حيث يقول :

فدتك العلا يا ذا الجلالة والهدى ودمت (سعوداً) كاسمك العذب في الورى

وعشت لأعمال السماحة ناشراً وعشت لهذا الملك في الأرض أعصرا

وعشت لشعب عز بالطاعة التي تكيفها بالعدل والفضل ممطرا

رأيناك ملء العرش حسناً وهيبة كأنك تملى مسمع الدهر أسطرا

إلى قوله :

ولولا أجل لولا قيامك مشرقاً على هام هذا الملك أبلج أزهرا

تسل من الأرواح ما في صميمها من القهر حتى تترك الروح نيرا

لما التأمت نفسٌ بأخرى فعزّما فعلت بهذا الشعب حتى تنورا

فكان ضياءً عارماً أعقب الدجى وكنت به الساري وقد حمد السرى[1]

والبيت الأخير يذكرنا بقول أبي تمام في تعزيته للواثق ابن المعتصم الخليفة العباسي في والده وتهنئته بتوليه الخلافة حيث يقول :

ما إن رأى الأقوام شمساً قبلها أفلت فلم تعقبهم بظلام[2]

وقول ابن زيدون في تعزيته لأبي الوليد (المعتمد) في وفاة والده (المعتضد) أبي الحزم بن جهور ملك قرطبة وتهنئته بتوليه زمام الحكم في قوله :

فلا يتهنّى الكاشحون فما دجى لنا الليل إلا ريثما طلع الفجر[3]

ولعل العواد قد بلغ به الجهد غايته وهو يرصد تجربته بين التعزية والتهنئة مما جعل بناء القصيدة يقوم على هذه الثنائية وفق مقامي التعزية والتهنئة وقد أدرك

---

(١) المصدر السابق .

(٢) ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام ، ط دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م ، جـ (٣) ص ٢٠٣ - ٢٠٩ .

(٣) ديوان ابن زيدون مع دراسة تفصيلية عن الشاعر بقلم نديم مرعشلي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ٢٣ - ٢٥ .

الشاعر ذلك وأحس به فقال مصرحاً[1] .

وإنَّ ارتكاس الشعر أمرٌ محتمٌ   إذا جدَّ في جمع النقيضين وانبرى[2]

لقد أصبح الجمع بين التعزية والتهنئة في قصيدة الرثاء المعاصرة تقليداً توارد عليه الشعراء المعاصرون . نلمس هذا التقليد جلياً في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز ، وهذا الجمع يناسب طبيعة المقام الذي لا تنفك فيه التعزية عن التهنئة ، إذ هما بُعدان يتقاطعان في تجربة واحدة .

ولعل من المناسب قبل الشروع في أبواب هذا البحث ، أن نُلمح إلى الدراسات السابقة مما له صلة بقصيدة رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي .

فما يجدر ذكره في هذا المقام أنني لم أظفر بدراسة عنيت بموضوع الرثاء في الشعر السعودي وهذه الدراسة التي تناولت رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي تُعد أول دراسة في موضوع الرثاء في الشعر السعودي بوصفها دراسة مستقلة .

غير أنَّ هناك دراسات لها علاقة بالموضوع منها ما له علاقة بالأدب السعودي بعامة ويجيء غرض الرثاء فيه ضمناً ومنها ما له علاقة بما قيل في الملك عبد العزيز من شعر فيه بعض نماذج الرثاء .

---

(١) صحيفة أم القرى في ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) للمزيد من النماذج في موضوع (الجمع بين التعزية والتهنئة) في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز . انظر قصائد (أحمد الغزوي) أحمد الغزوي وآثاره الأدبية جـ(٢) ص ١٢٧٥ ، (وخالد الفرج) في أم القرى ٣٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ (وخير الدين الزركلي) في أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ ، (وحامد الحضار) أم القرى ١٩ / ٤ / ١٣٧٣ هـ ، (وحسن القرشي) البلاد ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ ، (وضياء الدين رجب) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ ، (ومحمد سراج خراز) أم القرى ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ ، (ومحمد علي قطب) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

ومن تلك الدراسات التي جاء فيها غرض الرثاء في الشعر السعودي ضمناً ، كتاب الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية للدكتور بكري شيخ أمين ، حيث جاء الفصل الثالث من الباب الرابع عن (فن الرثاء) باعتباره من الفنون الشعرية التقليدية في الشعر السعودي[1] .

تحدث فيه الدكتور بكري عن الرثاء في البلاد السعودية وأشار إلى أنه قليل في مقابل المديح وأنه فن تقليدي صرف ، وأشار إلى بعض مظاهر تقليد الشعراء السعوديين في هذا الفن للشعراء الأقدمين وذكر أنها ثلاثة :

هوية المرثيين ومعاني شعر الرثاء ، وأسلوب القصيدة الرثائية فجعل المرثين من حيث هويتهم ثلاث فئات ، الفئة الأولى : الملوك والوزراء والزعماء وأفراد الأسرة الحاكمة ، والفئة الثانية : هم أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورجال الدعوة السلفية ، والفئة الثالثة : أسرة الشاعر وأحباؤه وأصحابه ، وذكر أنواعاً أخرى من الرثاء مثل رثاء الشاعر نفسه ورثاء البلدان المنكوبة ورثاء الشهداء .

ثم تحدث عن طابع رثاء الفئة الأولى ، وقال إنه رسمي ، وذكر من الفئة الأولى الأئمة من آل سعود ، والملك عبد العزيز وابنه سعود .

ثم تحدث عن مضمون ما قيل في هذه الفئة ، وأكد على أنه لا يخرج عن مضمون ما قيل في أمثالها في الشعر القديم ، وتحدث عن بعض الصفات التي تميز بها الملك عبد العزيز عن غيره ووظفها الشعراء السعوديون في رثائه يرحمه الله بالإضافة إلى الصفات المتوارثة لمن هو في منزلته .

ثم ذكر المؤلف أن أهم ما يميز هذه رثاء الفئة القيادية ، هو شدة المبالغة . وهناك دراسة مماثلة بعنوان (الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن) للدكتور عبد الله الحامد ، أورد فيها المؤلف مبحثاً عن شعر الرثاء

(١) انظر : ص ٢٥٣ - ٢٦٨ .

وذلـك في الـباب الـرابع ، وجعله المؤلف من مباحث الشعر الاجتماعي من[1] ومضـمون مـا قيـل في هذا المبحث يشبه مضمون ما أورده بكري شيخ في كتابه السـابق ، إلا أن الحـامد قصـر الـرثاء عـلى نوعين رثاء عام ويدخل تحته الملوك والـوزراء وغيرهم من الشخصيات العامة ، ورثاء خاص شخصي كرثاء الشاعر لأهـل بيـته وأصـحابه وأحبابه وضرب بعض الأمثلة لذلك وذكر بعض أسماء الشعراء الذين عنو بمثل هذا الفن .

وهـناك دراسـات أخـرى عن الشعر الذي قيل في الملك عبد العزيز بعامة ، سـواء أكـان مدحـاً أم رثـاءً ، لشـعراء سـعوديين وغـير سـعوديين ومـن تـلـك الدراسـات بحـث لإبـراهيم خـليل العلاف بعنوان (جلالة الملك عبد العزيز في مرآة الشعر) وجاء هذا البحث ضمن بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين[2] .

وقد بدأ الباحث بحثه بعرض نبذة تاريخية عن الجزيرة العربية ثم عرض نبذة عـن سـيرة الملك عبد العزيز ، واستعرض بعد ذلك ما قيل في الملك عبد العزيز مـن قصـائد لشـعراء سـعوديين ، وغير سعوديين وكلها كانت في المديح بدءً من عام ١٣٤٤ هـ إلى عام ١٣٤٩ هـ وجاءت القصائد مسرودة سرداً دون شرح أو تفصيل .

وهـناك كـتاب بعـنوان (المـلك عـبد العزيز في مرآة الشعر) لعبد القدوس الأنصـاري ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية وقد اشتمل على تقديم للأستاذ الدكتور محمد بن مريسي الحارثي ، أشار فيه إلى مـنهج المؤلـف وطـريقة تناولـه للنصوص الواردة في الكتاب ، مع عرض موجز لبعض المضامين التي اشتملت عليها تلك النصوص ، فيما يتعلق بشخصية الملك عـبد العزيـز ومـنجزاته ، وهـذا الكتاب هو في الأصل أحد بحوث مؤتمر الأدباء

---

(١) انظر : ص ٢٢٥ - ٢٢٨ .

(٢) انظر : المجلد الثاني ص ٣٨٩ - ٤٢٢ .

السعوديين الأول[1] ، أورد المؤلف فيه نماذج من احدى وأربعين قصيدة ، لعشرين شاعر ، في المديح والرثاء لشعراء من المملكة ومصر والشام والهند .

وقد قسم المؤلف مادته الشعرية قسمين شعر (الملامح) وشعر (الملاحم) .

تناول في القسم الأول ملامح البيئة السعودية ، وقضايا المرحلة التأسيسية ، للمملكة ومن خلال أربعين قصيدة حاول المؤلف أن يبرز شيئاً من سيرة الملك عبد العزيز ، مع الإشارات العابرة لبعض القضايا الفنية .

وعرض في القسم الثاني أبياتاً مختارة من ملحمة (أحسن القصص) لخالد الفرج ، وأشار إلى ملحمة بولس سلامة إشارة عابرة .

وهناك كتاب للشيخ عبد الله بن إدريس بعنوان (الملك عبد العزيز كما صوره الشعراء العرب) وهو دراسة قصيرة لمقتطفات من بعض القصائد التي قيلت في الملك عبد العزيز مدحاً ورثاءً ، لشعراء عرب من المملكة ومن خارجها ، استخلص منها المؤلف بعض ملامح شخصية الملك عبد العزيز وأبرز منجزاته في إيجاز ، ولم يهتم المؤلف بأدبية الشعر حيث لم يتعرض للنواحي الفنية والجمالية ، وإنما اقتصر على مضمون الشعر ، ثم اتبع المؤلف بملحق للقصائد اشتمل على ست عشرة قصيدة لعدد من الشعراء العرب .

وهناك دراسة للأستاذ الدكتور محمد بن مريسي الحارثي بعنوان (الغزاوي يرصد المنجزات السعودية شعراً) قدّمه لمؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام ، عرض فيه المؤلف منجزات الملك عبد العزيز من خلال ما رصده الغزاوي في شعره ، وهذا البحث هو الآخر عني بمضمون الشعر دون الدراسة الفنية لمادة الشعر .

---

(١) انظر : المجلد الثاني ص ٥١٧ - ٦١١ .

وهـناك دراسة بعنوان (الملك عبد العزيز في عيون شعراء الشام) لخالد بن محمـد الخـنين ، صـدرت بمناسـبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العـربية السـعودية ، جمـع فيهـا المؤلـف أربعـين قصـيدة لثلاثين شاعراً من بلاد الشـام ، وهـذه الدراسـة قائمـة على الاختيارات وهي أشبه بكتاب عبد الله بن إدريس السابق ذكره ، إلا أن المؤلف بالإضافة إلى إبرازه مضامين الشعر أشار إلى بعض القضايا الفنية بإيجاز .

إن تـلك الدراسـات السـابقة الـتي ألمحت إليها قدمتها بين يدي هذا البحث اعترافاً بفضل السابقين وإفادة للاحقين .

وقـد أفـدت مـنها في هـذه الدراسـة الـتي أقدمهـا حـول قصيدة رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي ، التي لم تفرد بدراسة مستقلة قبل هذه الدراسة ، الـتي تناولـنا فيهـا مضـامين هـذه القصيدة وأدبياتها ، تناولاً كشفنا فيه الخطوط العريضـة ، الـتي قـام عـليها بـناء قصـيدة رثـاء المـلك عبد العزيز عند الشعراء السعوديين .

الباب الأول

قضايا الشعـــــر

الفصل الأول

مصادر شعر الرثاء

المبحث الأول

- شخصية الملك عبدالعزيز

المبحث الثانى

- التراث

١ - شخصية الملك عبد العزيز :

الحديث عن شخصية الملك عبد العزيز تكتنفه كثير من الصعوبات نظراً لثراء تلك الشخصية ، وتعدد مواهبها ، وفيض عطائها ، وبقاء أثرها ، فلا يستطيع كاتب أو باحث مبتدئ أن يلم بكافة تفاصيل هذه الشخصية العظيمة ، التي كان لها من التفرد والتميز ما بهر العالم بأسره ، واستحق صاحبها أن يكون واحداً من أبرز العظماء ، الذين صنعوا التاريخ في القرن العشرين ، فقد كان الملك عبد العزيز رحمه الله مثالاً فذاً في شخصيته المتفردة ، في سماتها ، وعظم شأنها .

وإذا كانت الشخصية هي مجموعة الصفات ، التي تميز شخصاً عن آخر ، فإن الملك عبد العزيز كانت له شخصيته المميزة ، التي استحق بها أن يكون من عظماء العالم الذين صنعوا التاريخ ، فابن سعود كانت له شخصيته التي لا تنمحي في الشخصيات الأخرى ، تظهر بسماتها الخاصة وطابعها الخاص ، وما ركب فيها من غرائز وميول ، لا تفنى في غيرها فشخصيته تتميز عن شخصيات الآخرين ممن هم في طبقته ومواهبه وخلائقه وعظمته إذ لم تكن كالشخصيات الكثيرة التي تتولى الملك والأمارة ولا تمتاز عن غيرها في شيء ، فهي شخصية لها استقلالها وكيانها الخاص ، فلا تطغى عليها البيئة ، ولا تدمغها في غيرها ، وذلك لما تتميز به من خصائص وعلامات تنجيها من الفناء في الشخصيات الأخرى[١] .

يقول الأمير طلال بن عبد العزيز : « ولو اطلع الكُتَّاب والمؤرخون على ما في صدور الرواة والشيوخ الذين عاصروا الوالد من قصص ، وسمعوا ما

---

(١) انظر صقر الجزيرة أحمد عبد الغفور عطار ، جـ٢ ، ص ٣٤٩ .

يـتحدثون به من وقائع ، وما يذكرون من قضايا عن البطل الفذ ، لوجدوا أنهم لم يكتـبوا عـنه شـيئاً ، فعـبد العزيز كان ظاهرة إنسانية سياسية عبقرية ، ليس لها مـثيل في تاريخ الإنسانية في العصر الحديث ، كان زعيماً وقائداً محنكاً تضرب به الأمثال ، وإن المرء ليحار عندما يتحدث عن عبد العزيز »[١] .

فالملك عبد العزيز قد جمع من مقومات الشخصية الفذة ما لم يجمعه غيره من زعماء العالم العربي في عصره، يقول العقاد : « بطل الجزيرة العربية غير مدافع ، أو هو العربي الأكبر في بلاده ، لأنه يجمع في شخصيته تلك الصفات والمزايا التي اشـتهرت بهـا أمـة العـرب مـن قديـم الـزمان ، تدين له رعاياه ، لأنهم يدينونه لأنفسهم ، أو يدينون لصفاتهم ومزاياهم ، ويقوم حكمه على الطاعة والاختيار بهذا المعنى الأصيل من معاني الطاعة والاختيار »[٢] .

هـذه الشخصية العظيمة ، لابد لها من روافد ومؤثرات ، فما تلك الروافد ، وما المؤثرات في شخصية الملك عبد العزيز يرحمه الله ؟

قبل الإجابة نقف عند تعريف للشخصية يكون مفتاحاً للإجابة عن التساؤل السـابق ، وهـو الـتعريف الذي يذهب إلى أن « الشخصية هي الكل الديناميكي الـذي يميـز كـل فرد عن غيره ، والتي توجه سلوك الفرد وتحدد فاعليته في حياته وقدرتـه عـلى الـتوافق والـتكيف مـع بيئته ، وهي من نتاج التفاعل المستمر بين العوامـل الوراثية والعوامل البيئية ، التي تؤثر على الفرد منذ ولادته وفي مختلف مراحل حياته »[٣] .

---

(١) صور من حياة الملك عبد العزيز ، دار الشواف للنشر والتوزيع ١٤١٩ هـ ، ط٤ ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، ساعد العرابي ط١ ، دار القمم للأعلام ، ١٤١٥ هـ ، ص ١١٩ .

(٣) انظر : الملك عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ، عبد العزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان ، ط١ ، مطابع دار المعارف ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٥٩ .

إن هـذا التعريف يقودنا إلى معرفة العوامل المؤثرة والرافدة ، التي بواسطتها تشـكلت تـلك الشخصـية ليصبح لها هذا التميز وهذا التفرد ، وبالتالي لابد أن نعـرض إلى سـيرة صاحب هذه الشخصية وأحواله في جوانب مهمة من حياته ، الـتي كـانت في مناشـطها الكـثيرة مصـدراً أساسـاً في بـناء قصـيدة رثـاء المـلك عبد العزيز .

روافد شخصية الملك عبد العزيز رحمه الله :

المـلك عـبد العزيـز رحمـه الله ولـد لـبيت عريق في الحكم والسياسة وكانت أسـرته تحكـم لفـترة تـزيد عـن قـرن ونصف من الزمان . وكان مولده في قصر الإمـارة بالـرياض في ١٠ / ١٢ / ١٢٩٧ هــ ووالده عبد الرحمن بن فيصل بن تـركي آل سـعود أصغر أبناء الإمام فيصل بن تركي وآخر أئمة الدولة السعودية الثانية[١] .

وأمه سارة بنت أحمد السديري وكانت الأم امرأة قوية ، ذات حسب ونسب وأخـلاق عاليـة بالإضـافة إلى ذلـك فهي امرأة ذات دين وعفاف ، فنشأ في بيت يتصـف بـالورع والـتقوى ، ثـم دفـع بـه والده إلى غير عالم من العلماء ، فتعلم مـبادئ الكـتابة والقـرآن ومـبادئ الإسـلام ، وحفظ سوراً من القرآن الكريم ، وتلقى بعض العلوم الشرعية على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ.

وعـاش بجـانب والـده الـذي كـان تقيـاً ورعـاً حصـيف الـرأي ، وتعـلم الفروسـية وكـان شغوفاً بسماع تاريخ أجداده ، الذين ناصروا الدعوة السلفية ، وبـالأخص سـيرة جـده الإمام فيصل بن تركي ، الذي خسر الحكم ثم عاد إليه بقوة وعزم .

---

(١) انظـر شـبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، جـ١ ص ٤٧ .

وقد ظهرت على عبد العزيز دلائل النجابة ، فعمد والده إلى صقل ملكاته من خلال مجالسته للعلماء وشيوخ القبائل ، واصطحابه في غزواته ، وإرساله في مفاوضات شاقة وقاسية مع أمير حائل الذي حاصر الرياض ، وأوفده إلى حاكم الإحساء وإلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة شيخ البحرين ، وخلال رحلة الخروج من الرياض بعد سقوطها[1] ، عاش حياة قاسية ، فكان مثالاً للبطل الشجاع ، الذي يقاوم كل الصعاب ، واكتسب من خلال تنقله بين القبائل شدة البأس ، وصلابة العود ، والاعتماد على النفس ، وكان لتلك الظروف أثرها فيما واجه من خطوب فيما بعد .

كما كان للسفارات التي قام بها بين شيوخ العجمان وآل مرة وشيوخ الخليج آثارها ، التي أتته صلابة ، وقوة وشكيمة ، وزادت من تصميمه على العودة واسترداد ملك آبائه وأجداده ، وفي الكويت حيث استقرت أسرة الإمام عبد الرحمن ، عايش الملك عبد العزيز الصراع بين آل الصباح على الحكم ، كما كان يحضر مع والده مجلس الشيخ مبارك آل الصباح ، الذي توطدت علاقته بابن سعود وهناك شهد عبد العزيز حضور القوى العظمى العالمية ، وصراعاتها في المنطقة[2] .

فاستفاد الملك عبد العزيز من صحبة أمير الكويت ، وتعلم من مجالسه ومجالسته ، ولقي الكثير من ضيوفه من عرب وأجانب واطلع عبد العزيز على المسرح السياسي ، فتعلم درساً تطبيقياً عن كيفية إدارة لعبة الأمم ، والذي كان له الأثر الكبير في تعامله مع تلك القوى العالمية مستقبلاً .

وإذا كانت النشأة والخطوب التي عايشها ، والمعارك التي خاضها ، لها أثر في

---

(١) انظر : عناصر القوة في توحيد المملكة العربية السعودية ، د. بدر بن عادل الفقير ، ط١ ، الدارة ، ص ٤٣ - ٤٥ .

(٢) انظر : المصدر السابق ص ٦٣ - ٦٤ ، وشبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ص ٤٧ .

شخصيته فإن بنيانه الوثيق المكين ، وصفاته الجسمية ، لها أثر أيضاً ، وقد جاء في صفاته الجسمية أنه « أروع طويل القامة ، ضخم الجثة ، سامق البنيان مكينه ، مرفوع الذرى ، يفرع الناس بطوله المبين ، الذي يبلغ ستة أقدام وأربع بوصات، فهو من أولئك العرب الممتازين بقوة التركيب ومتانة البناء ، وطول القامة وضخامة الجسم ، وله رأس كبير يناسب هذا البناء الشامخ ، وجبين متسع ساطع ، وحاجبان أسودان يفصل بينهما بلج واضح ، تحتهما عينان صافيتان متألقتان دعجاوان تشعان بالنور إذا كان راضياً ، وتتقدان إذا كان غاضباً فلا يطيق أحد النظر إليهما رهبةً وهلعاً ، كأنما ترسلان الصوارد المؤللة ، أشم الأنف تحتهما شارب يغطي وفضته ، شتيت الثغر مفتره ، متهلل الوجه حسنه ، تزينه لحية خفيفة ، عريض المنكبين بعيد ما بين الجنبين ، شثل الكفين ، جليل المشاش ، كثير التطيب ، نظيف الملابس ، يميل إلى البساطة في كل حياته ، كثير الصمت ، فإذا تكلم أطنب ودل على عقل راجح وعلم جليل صالح »[1] .

وحري بمن كانت هذه ملامحه أن يمتلك مقومات الهيبة والوقار والجلال ، وأن يكون ذا عقل وذكاء ، وذا فكر ودهاء ، وهذه المميزات الجسمية ارتبطت بمميزات حركية « وتشتمل على ما اتسم به من جلد ومثابرة ومهارة وحذق ، إلى جانب ما اتسم به من مميزات عقلية ظهرت في قدرته على مواجهة المشكلات ، وعلى التعلم والتذكر والتخيل الإبداعي ، وحصافة الرأي ، وسلامة الحكم وقدرة عامة على التكيف »[2] .

وحري بمن كانت هذه شخصيته أن يتغنى بها الشعراء ، وأن يطرزوا بمفردتها قصائدهم ويتضح ذلك جلياً في القصائد التي بين أيدينا في رثائه رحمه الله .

---

(١) صقر الجزيرة ، أحمد عبد الغفور عطار ، جـ٢ ، ص ١٣٥٢ .

(٢) انظر : عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ص ١٦٨ .

والصفات التي ذكرها الشعراء الذين رثوا الملك عبد العزيز هي نفس الصفات التي مدح بها في حياته ، حتى إن المتتبع لقصائد الرثاء يحسبها قصائد مدح لولا ذكر الموت والفراق وما إلى ذلك وهذا ما ذهب إليه النقاد الأوائل[١]، ولذلك قسموا الشعر إلى أربعة أقسام المديح والهجاء والحكمة واللهو .

يقول محمد غنيمي هلال في حديثه عن أجناس الشعر : « ومنهم من يرجعها إلى أربعة أصناف المديح والهجاء والحكمة واللهو . ثم يتفرع من كل صنف فروع له فيكون من المديح المراثي والافتخار والشكر واللطف في المسألة وغير ذلك مما أشبه وقارب معناه ، ويكون من الهجاء الذم والعتب ، والاستبطاء والتأنيب وما أشبه ذلك وجانسه ، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ ، وما شاكل ذلك وكان من نوعه ، ويكون من اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر والمجون وما أشبه ذلك وقاربه »[٢] .

وهذا يقود إلى ما ذكره قدامة بن جعفر عن أنه لا فرق بين المرثية والمدحة حيث يقول : « ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك »[٣] .

وذهب إلى هذا المذهب ابن رشيق في العمدة ولكنه لاحظ فرقاً بين الحالة النفسية لكلا الموقفين[٤] .

وقد قسم قدامة بن جعفر صفات المدح إلى أربعة وهي جماع الفضائل عنده وسماها الصفات النفسية ، وهي العقل والشجاعة والعدل والعفة وجعل كل

---

(١) انظر : العمدة لابن رشيق جـ٢ ط٢ ص ٨٠٥ .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة ، القاهرة ، ص ١٦٩ ، وانظر كتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر ، طبعة القاهرة ١٩٣٨ م ، ص ٨١ .

(٣) انظر : كتاب نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ص ٥٩ .

(٤) انظر : العمدة جـ٢ ص ٨٠٥ .

واحـدة أصل ترجع إليه الفضائل[١] . غير أن قصرها على هذه الصفات الأربع فيـه شـيء مـن التضييق والتحجير ، نظراً لوجود صفات كثيرة متداخلة يصعب حصـرها كمـا سـيبين البحث . يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : « ونعتقد أن القـارئ في غـنىً عـلى أن ننـبه إلى تهافت تقسيم قدامة ، وتداخل الصفات التي ذكرها »[٢] .

ثـم إن قصر المدح على الصفات النفسية دون الجسمية لا يُسلّم به ، لوجود ذلك في الشعر العربي ، يقول زهير بن أبي سلمى :

وفيهـم مقامـات حسـان وجوههـم	**وأنديــة ينــتابها القــول والفعــل**
فـإن جئـتهم ألفيـت حـول بيوتهـم	**مجالس قـد يشفى بأحلامها الجهل**
عـلى مكـثريهم حـق مـن يعتريهـم	**وعــند المقــلين الســماحة والــبذل**
فمـا كـان مـن خـير أتـوه فإنمـا	**توارثــــه آبــــاء آبــــائهم قــــبل**

فقد وصفهم بحسن الوجوه ، بعدما استتم من حسن المقال ، وتصديق القول بالفعل ، والكرم ورجاحة العقل[٣] .

وقـد أنكـر عـلى قدامـة ما ذهب إليه من قصر المدح على الصفات النفسية عـددٌ مـن الـنقاد ، مـنهم ابـن رشـيق في قولـه : « وأكثر ما يعول على الفضائل النفسـية الـتي ذكـرها قدامـة ، فـإن أضـيف إليهـا فضـائل عرضية أو جسمية ، كالجمـال والأبهة وبسطة الخلق ، وسعة الدنيا ، وكثرة العشيرة ، كان جيداً ، إلا أن قدامـة قـد أبى منه وأنكره جملة ، وليس ذلك صواباً ، وإنما الواجب عليه أن يقـول : إن المـدح بالفضـائل النفسـية أشـرف وأصـح فأما إنكار ما سواها مرة واحدة ، فما أظن أحداً يوافقه عليه ، أو يساعده عليه »[٤] .

---

(١) انظر : نقد الشعر ، ص ٣٩ – ٤١ .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، ص ١٧٢ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(٤) العمدة ، جـ ٢ ص ٧٨٤ .

كما أنكر عليه ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة حيث يقول « إنه خالف فيه المذاهب كلها عربيها وأعجميها ، لأن الوجه الجميل يزيد في الهيئة ويُتيمن به ويدل على الخصال المحمودة »[1] .

وعند استعراض النصوص التي قيلت في رثاء الملك عبد العزيز يرحمه الله والصفات التي رصدها الشعراء ، نجدها تتجاوز ما ذكره قدامة ، من الصفات الأربع وما يتفرع عنها ، لتشمل متعلقات تلك الصفات من مثل العظمة والعبقرية والإمامة .

فأما العظمة فنقصد بها العظمة الإنسانية ، تلك الصفة التي تعني التميز والتفرد والتفوق[2] على مستوى البشر وإلا فالعظمة المطلقة لله وحده كما وصف نفسه جل وعلا - العلي العظيم - يقول الأستاذ الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي : « وحين تقاس عناصر التفرد والتميز والتفوق الإنساني على أساس فطرة الله وسننه الاجتماعية ، والقيم الأخلاقية وموازين الشرع ، تبقى تلك العناصر معبرة أصدق تعبير عن العظمة الإنسانية »[3] .

وقد تفرد وتميز الملك عبد العزيز يرحمه الله بجهاده وكفاحه وأخلاقه ، فكان مثالاً للرجل العظيم ، وهاهم الشعراء يلحظون هذا الوصف فيبرزونه في أشعارهم فهذا الشاعر أحمد الغزاوي في بائيته الرثائية يكرر وصف العظيم فيقول :

ما مصابي كواحد من معد ... بل معد بأسرها الانتحاب

بالعظيم العظيم يرتد عنه ... كل طرف وتقصر الأحساب[4]

---

(١) سر الفصاحة ، طبعة القاهرة ١٩٣٢ م ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) الملك عبد العزيز أمة في رجل ، دارة الملك عبد العزيز بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ ، ص ١٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) انظر : أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، جمع وتصنيف د. مسعد العطوى ، جـ٢ ، ط١ ، ص ١٢٧٧.

ويقول أيضاً :

مـا رأت مـثله العصـور عظيمـاً　　عـبقرياً ولا تهـادى الـركاب[1]

العبقرية :

وقـد رأى الأسـتاذ أحمد عبد الغفور عطار عند حديثه عن عبقرية الصقر في كتابه صقر الجزيرة ، إن العبقرية قمة سحرية لا يمكن لأحد أن يحصر تعريفها في كلمات معدودات حيث يقول : « إن العبقرية لفظ سحري خلاب ، لا سبيل إلى تفسـيره والوصـول إلى حقيقته بالتعريف الضيق المحدود ، وفهمه على أساس أن هـذا الـتعريف هـو الـتعريف العـام الشـامل ، لأن العـبقرية كالحياة في رحابتها وعمقها وسموقها ، بل أعظم من هذه الحياة الدارجة ، لأن العبقرية حياة رفيعة سـامية ، فهـي في القمة ، ولا قدرة لكاتب أن يحيط بما فيها من حقائق وأسرار ، وهـو في السـفح القصـي ، وإنمـا نـدرك بعض خصائصها وصفاتها وآثارها ممن أسـعدهم الحـظ فكـانوا عـباقرة أفـذاذاً »[2] . ثـم يقـول : « والـتدفق والتجديد والإبداع والطموح طبيعة العبقري وخلائقه »[3] . وعلى هذا فيمكن القول : أن عـبقرية الملك عبد العزيز فطرية تحصيلية ، أما الأولى فهي هبة من من الله تمثلت في حـدة ذكائـه وقـوة مـلكاته ، التي من طبيعتها الابتكار والإنشاء . وأما الثانية فهـي الـتي نمـت بالمـران والدربـة في مجـالات شـتى أفـرزت الإجـادة والتدقيق والتنظيم .

وقد سجل الشعراء السعوديون صفة العبقرية في رثائهم للملك عبد العزيز،

---

(١) انظـر : المصـدر السـابق ص ١٢٧٥ ، ولمـزيد مـن الشـواهد انظـر : مراثي حامد المحضار – حسن عبد الله القرشي – محمد بن أحمد العقيلي محمد خراز ، محمود عارف .

(٢) صقر الجزيرة ، ص ١٣٧٨ .

(٣) صقر الجزيرة ، ص ١٣٧٩ .

يقول محمد سراج خراز[1]:

قيل أودى أبو العروبة فالكون	**على فقده أسى ونحيب**
راعه أن هوى من الكون ركن	**واحتوى كوكب العلاء المغيب**
وشجاه الإسلام يندب فيه	**عبقرياً إذا الخطوب تنوب[2]**

الإمامة :

قامت المملكة العربية السعودية على الكتاب والسنة ، وهما مصدران أساسيان للحكم فيها ، تنطلق الدولة منهما في كل شئونها داخلياً وخارجياً ، فهي تحرس الشريعة الإسلامية من البدع والخرافات ، وتقوم على تنفيذها والعمل بما فيها ، وبنظرة تاريخية سريعة ، نرى أنه منذ تحالف الإمام محمد بن سعود مع الإمام محمد بن عبد الوهاب على نشر العقيدة السلفية ، وتنفيذ أحكامها اجتمعت السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية ، فكان آل سعود يقومون بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية وحمايتها ، ولذلك جاء لقب الإمام صفة ملازمة لآل سعود : « وقد لقب الملك عبد العزيز بهذا اللقب الذي يجعل أعمال الدولة الإدارية تستند على الدين في منطلقاتها ، ولُقّب أبناؤه من بعده بهذا اللقب ، وهو لقب يحمل في دلالته الدينية ما كان يتمتع به الإمام عبد العزيز من معرفة شرعية ، كانت مرتكزة في سياسته داخلياً وخارجياً ، من حيث غيرته على سنن الإسلام وحرصه على إقامتها على وجهها الصحيح ، ومن حيث غيرته على مقدسات المسلمين وتفانيه في الدفاع عنها »[3] ولذلك تكرر في شعر الشعراء وصف الملك عبد العزيز بصفة الإمامة ، وما تشتمل

---

(١) انظر صحيفة أم القرى بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) للمزيد انظر : قصائد أحمد الغزاوي ، حسن القرشي ، محمد هاشم رشيد .

(٣) الغزاوي يرصد المنجزات السعودية شعراً د/ محمد بن مريسي الحارثي بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام ، ص ٦ .

عليها من تقوى وصلاح ، واتباع لمنهج الخلفاء الراشدين ، والسلف الصالح ، يقول : أحمد الغزاوي :

ما مصابي كواحد من معد ... بل معد بأسرها الانتحاب

بالعظيم العظيم يرتد عنه ... كل طرف وتقصر الأحساب

بالذي فيه كل عين وقلب ... لهب زافر وحزن ملاب

بالإمام المليك بابن سعود ... قاهر الخصم أو هو الوثاب[(١)]

ويقول الشاعر خالد الفرج :

فرد وهمته جموع أسست ... أسساً فكان مليكها وإمامها[(٢)]

ومن أهم مرتكزات الإمامة (العلم الشرعي) ، وذلك واضح من خلال سيرته تلمح ذلك جلياً في كثير من خطبه ، حيث يستشهد بالآيات والأحاديث والسيرة الطاهرة ، والشعر والأدب العربيُّ والأمثال ، يقول ابن سحمان : « علمت من الملك عبد العزيز أنه يحفظ أجزاءً من القرآن الكريم ، ويحفظ الرحبية في الفرائض وتعلم زاد المستقنع في الفقه ، ويحفظ من كتب الحديث الأربعين النووية ، وبلوغ المرام ، وكان يحب قراءة البداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، والسيرة لابن هشام ، والمغني والشرح الكبير ، والإنصاف وتفسير ابن كثير ، والبغوي ، وكان يحب من الشعر ما تميز بالطابع الإسلامي والنصائح »[(٣)] .

يقول محمد حسن فقي :

يا شباباً لم نبكه لشبابه ... بل بكينا لكده وطلابه

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، د. مسعد العطوى الطبعة الأولى ص ١٢٧٧ .

(٢) صحيفة أم القرى ٣٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) الملك عبد العزيز الشخصية والقيادة ، إبراهيم السماري ، دارة الملك عبد العزيز ١٤١٩ هـ ، ص ٤١ .

وبكينا لعلمه مستمداً   من مضنين عقله وكتابه[1]

وقد سار الإمام عبد العزيز على نهج الخلفاء الراشدين والسلف الصالح ، ولذلك يطلب الشاعر محمد بن أحمد العقيلي في قصيدته الرثائية بأن يدفن الملك عبد العزيز جنباً إلى جنب مع الأئمة والصالحين من السلف فيقول :

ادفنوه بين الأئمة والآل   بحيث الإمام والدين قائم
بين أقطاب ملة طهر   والذين أزاحوا عن صفحتيه المآثم[2]

ومما اتصف به الإمام عبد العزيز التقوى والصلاح ، واتباع منهج السلف الصالح ، يقول خير الدين الزركلي : « اعتاد الملك أن يستيقظ قبل الفجر بنحو ساعة ، فيقرأ سوراً من القرآن ويتعبد ويتهجد ، وكثيراً ما يُسمع له نشيج ويستمر إلى أن يؤذن الفجر ، فيصلي الصبح مع الجماعة ويسبح ويقرأ ورد الصباح »[3] .

ومما يؤثر عنه في خطبه يرحمه الله قوله : « أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ولنشره بين الأقوام » ويقول : « أنا داعية لعقيدة السلف الصالح وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما جاء عن الخلفاء الراشدين »[4] .

وهذا طاهر زمخشري يصور لنا ما كان عليه الملك عبد العزيز من تقوى وصلاح ، فهو يقوم الليل ساهراً لعبادة ربه ، يناديه ويناجيه ، ويبكي بين يديه خوفاً وذلاً وانكساراً له سبحانه وتعالى ، فيقول[5] :

نعم كان مضّاءً يبارك خطوهُ   تقىً وصلاحٌ أسهراه اللياليا

---

(١) ديوان قدر ورجل ، ص ٣٣٦ .

(٢) ديوان الأنغام المضيئة ، ط١ ، ص ٣٠ .

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ط٨ ، ١٩٩٦ م ، ص ١٨٥ .

(٤) المصدر السابق ، ٢١٦ .

(٥) انظر مجلة المنهل جـ٣ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

إذا الليل أضواه ولف جناحه		**عليه تولى نحو مولاه داعيا**
ويسأله العقبى وحسن ثوابها		**وعيناه تستهمي الدموع الهواميا**[1]

ومن مظاهر تقواه يرحمه الله وضاءته يقول الشاعر محمد علي قطب :

وتضيء في أفق الحوادث كوكباً		**وضَّاء يذكي نوره الإيمان**[2]

ومن مظاهر تقواه أيضاً أنه كان ورعاً عن المحرمات ، يقول الشاعر محمود عارف :

الطيب الورع الوفى لعهده		**والسمح أتقى من نمير المشرع**[3]

وهو أيضاً طاهر السريرة ، لم يقترف إثماً أو معصية ، تحلى بالتقوى فكانت نعم الحلية فهي السراج الذي يضيء له الطريق ، كما أن معرفته بربه وتقواه أكسباه حب مولاه فهو ولي من أوليائه ، ولذلك نصره ربه وجعله حاكماً بأمره في أرضه على عباده ، ينفذ أحكام كتابه عز وجل ويحميه ، وهذا ما يصوره لنا الشاعر طاهر زمخشري حيث يقول :

ملك طاهر السريرة والذيل		**نقى من الأثام**
ملك التقى حلاه وتقواه		**سراج لخطوه في الزحام**
عرف الله واتقاه وولاه		**فولاه حوزة الإسلام**
عاش في كفه الأبي كتاب الله		**يحميه زلة الأحكام**[4]

وقد أعاد الملك عبد العزيز بسيرته ومنهج حكمه عهد الراشدين يقول الشاعر عبد الله بن شاهين :

---

(١) لمزيد من الشواهد ، انظر : مراثي طاهر زمخشري ، حسن غسال ، فؤاد الخطيب ، محمد حسن فقي ، محمد سراج خراز .

(٢) انظر صحيفة البلاد العدد ١٤٠٣ ، ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) البلاد العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) انظر : صحيفة البلاد ٤ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

واعــدت عهــد الراشــدين وســتنا مسترشداً فـي الحكـم هـدى البـاري[1]

ويقول محمود عارف :

إن الفضـائل مـن سـماتك لـم تـزل تـبكي لفقـدك فـي المجـال الأوسـع
قـد ضـم قلبك وهـو ممتلـئ هـدى عطـف الصـحاب الراشـدين الـركع[2]

وشرفت هذه البلاد بكونها مهبط الوحي ومنار الإسلام فعلى ثراها الحرمان الشريفان ، اللذان حرص ولاة الأمر في هذا البلد على القيام برعايتهما وخدمتهما ، بل إنهم أعلنوا تشرفهم بلقب خادم الحرمين الشريفين من لدن الملك عبد العزيز يرحمه الله إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله ، يقول الشاعر محمد بن بليهد واصفاً الملك عبد العزيز بخادم الحرمين :

والمســلمون بــأرض الله كــلهم يــبكون خــادم بيــت الله واليهــا[3]

جوانب مهمة من شخصيته :

إن المتتبع لسيرة الملك عبد العزيز يرى فيه رجلاً وهبه الله صفات قلما تجتمع إلا في الأفذاذ من الرجال ، وكانت هذه الشخصية الفذة بما تحمله من كريم الصفات وحميد السجايا ، منهلاً عذباً للشعراء تواردوا عليها من ذلك :

١ - المروءة :

وهي كلمة تجمع في دلالتها صفات عديدة من حفظ العهد والمواثيق والكرم ومن العفو عن المسيء ، وكظم الغيظ وحماية المستجير ، وقد « جمع الملك عبد العزيز المروءة من أطرافها فكانت طبعاً فيه أو أدباً من آداب فروسيته التي

---

(١) انظر : اليمامة العدد الرابع ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .
(٢) انظر : البلاد العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .
(٣) انظر : ديوان ابتسامات الأيام ط١ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٤٣٤ .

تربى عليها »[1] .

يقول فيصل المبارك في حفظ الملك عبد العزيز للعهد والمواثيق :

مـا إن رأيـت مفاخـراً ومفاوضـاً ... ومحـاولاً حفـظ العهـود

كمليكـنا وزعيمـنا وإمامـنا ... عـبد العزيـز ابـن السـعود[2]

ويقول محمود عارف :

الطيـب الـورع الوفـي لعهـده ... والسـمح أتـقى مـن نمـير المشـرع[3]

ومـن مروءته كرمه . وقد كان الكرم فيه يرحمه الله صفة متأصلة يقول أحمد عـبد الغفـور عطار : « فالكرم عند ابن سعود خليقة أصيلة ، وما أظن أحداً من رعيـته لم يـنله مـنه شـيء ، فهـو مسـرف فيه يعطى عطاء من لا يخاف حاجة أو فاقـة ، ولـو كـان في عصرنا من يولع بتدوين حوادث الكرم وجمعها كما كان في العصـور السابقة لخفيت أسماء كثير من أجواد العرب ، ولزاحم الملوك كهارون والمأمون وسيف الدولة وغيرهم ولظهر ابن سعود لامعاً متلألأً »[4] .

يقول محمد علي قطب[5] :

فـلكم أسـرت بجـود كفـك أنفسـاً ... ملـتاعة يقسـو بهـا الحـرمان

ولكـم أفضـت عـلى الفقـير نوائـلاً ... يحـدو بـك الإيمـان والتحـنان

فغـدا الفقـير بفضـل جـودك هانـئاً ... بالشـكر يطفـح قلـبه الولهـان[6]

---

(١) عناصـر القـوة في توحيـد المملكة العـربية السـعودية ، د. بـدر بـن عـادل الفقـير - الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ١٤١٩ هـ ، ص ٥٥ .

(٢) البلاد العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) البلاد العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) صقر الجزيرة ، ص ١٣٦٤ .

(٥) البلاد العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٦) لمزيد من الشواهد ، انظر : مراثي خير الدين الوركلى ،على حسن غسال

والعفـو مـن شـيم الكـرام ، وقد كان يرحمه الله مثالاً نادراً لمن يعفو وهو قـادر عـلى خصمه ، وهو بذلك يأسر الخصم ويقلب حقده انقياداً ، يقول أحمد عبد الغفور عطار : « فالكرم والعطاء والسخاء تلتقي الحلم والعفو أعظم التقاء، لأن مـن الجـود أن تقضـي حاجـة محتاج ، وتلبي نداء قاصد ، وما العفو إلا هبة روح وقـد يكـون غـير روح وطـلقاء ابـن سعود غير واحد ، فإذا قلت عشرات كنت جد ظنيناً وإن قلت مئات حمت حول الصواب »[1] .

يقول علي حسن غسال :

سل العفو كم قد قيد الخصم مخلصاً	**ومـاتت بـه كـل السـخائم والحقـد**
وكم قد عفى وهو القدير على الأذى	**ولكـن نفـس الحـر بـالعفو تسـعد**[2]

كمـا أنـه يـرحمه الله قد جمع بين العفو وكظم الغيظ وهذه ميزة قل أن توجد إلا في القـليل مـن الرجال ، يقول الله عز وجل : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾[3] .

وهـذا فـؤاد الخطيب يبرز هذه الصفة - التي هي جزء من كرمه يرحمه الله - في قوله :

إنـي رجعـت إلى الأوطـان أسـألها	**أيـن المقيـل لمـن زلـت بـه القـدم**
الكاظم الغيظ مسدى العفو عن كرم	**والحـامل الكل لـم يلمم به السأم**[4]

كمـا كان الملك عبد العزيز مسلماً عربياً ، يأمن لديه الخائف وينضوي تحت ركنه وفي حماه اللائذون به من الخطوب ، فلا يجرؤ أحد أن يمسهم بسوء ما داموا في حمايـته وتحـت رعايـته : « والنخوة والنجدة تدخلان في كرمه فالقاصد محتاج

---

(١) صقر الجزيرة ، ص ١٣٦٦ .

(٢) صحيفة البلاد ، العدد ١٤٠٣ في ١٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية رقم (١٣٤) .

(٤) ديوانه ط١ ، ١٣٧٨ ، ص ٣٠٨ .

مستجير ، يجب أن يلبي طلبه ، وينجده لأنه في حاجة إلى معونته كما ينجد المستغيث ولو كان هو نفسه في ضيق وحاجة »[1] .

يقول فؤاد الخطيب :

وأن يمناه ركن اللائذين به ... من الخطوب ومثل الركن تستلم[2]

ومن كرمه يرحمه الله أنه كان أباً رحيماً بشوش الوجه يقول فؤاد شاكر :

عرف الناس فيك براً رحيماً ... وأباً مخلصاً وملكاً مهاباً

شهد الناس فيك أروع من ... يحنو على الود قربه واحتسابا[3]

العقل :

وقد كان يرحمه الله راجح العقل ، متوقد الذهن ، صائب الرأي ، سياسياً محنكاً فيه نباهة ، يصدر في جميع أموره عن علم ومعرفة ، يقول خير الدين الزركلي[4] :

عقل كأن الغيب منبسط له ... سفراً ورأي في الصعاب سديد

تتعاقب الأحداث دهماً حوله ... ويحيل فيها طرفه فتحيد[5]

يقول الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي : « والسر في نظري في قوة العقل التي وهبها الله له ، فعقل الملك أكبر من علمه بكثير ، والعقل نعمة وهبة من الله عز وجل ، بينما العلم تحصيل من الناس والكتاب ، وهو في ذاته اكتساب ، ولذلك تعلَّم الملك عبد العزيز من أيام حياته ومن مجالسته للعلماء ، وأعمل عقله الكبير فيما تعلمه ، فظهر في قوله وفكره علم العلماء وسمت

---

(١) صقر الجزيرة ، ص ١٣٦٥ .

(٢) ديوانه ، ص ، ١٣٧٨ ، ص ٣٠٨ .

(٣) ديوان وحي الفؤاد ، ط٣ ، ص ٢٥٧ .

(٤) صحيفة أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٥) لمزيد من الشواهد انظر : مراثي محمد أحمد العقيلي ، محمد حسن فقي .

الحكماء ويهدي الله لنوره من يشاء »[1] .

وقد كان يرحمه الله صائب الرأي ، يقول فؤاد شاكر[2] :

رب رأي بعثــته فبعــثت الرشــد يخـــتال فـــي ذراه عجابـــاً[3]

كمـا أنـه **سياسي محنك** ، اسـتطاع بسياسته المتوازنة أن يوفر لشعبه الأمن والـرخاء بـين الـدول وأن يكســب إعجـاب العالم من حوله . يقول عبد الرحمن عثمان :

ولتــــندب اليـــوم السياســـة مـــن يســـوس عـــلى بصـــيره
فــلقد قضــى عــبد العزيــز أخــو الحجـــــا رجـــــل العشـــــيره[4]

وفيه يرحمه الله **نباهة** . يقول محمد حسن فقي :

نابــه غــاب عــن حمــاه وأمســى بعدمــا كــان ريّــه مــن شــرابه[5]

وهو **يقظ** لكل الأمور مستعد لها يقول خير الدين الزركلي :

يقـــظ كـــأن لقلـــبه ولعيـــنه رصـــدين لا يعيهمـــا مرصـــود[6]

والحكمـة خلة أصيلة فيه فلم يعرف عنه يرحمه الله التسرع في الأمور ، بل يأخذ كل أمر بحكمة وروية . يقول خير الدين الزركلي :

الـناس بـين يـدي حكيـم يمنُهم بـــلوائه ويميـــنه معقـــود[7]

(١) الملك عبد العزيز أمة في رجل ص ٦٢ .

(٢) ديوان وحي الفؤاد ، ط٣ ، ص ٢٥٧ .

(٣) لمزيد من الشواهد انظر : مراثي خير الدين ، محمد العقيلي ، محمد حسن فقي .

(٤) المنهل جـ٣ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، قصيدة بكاء وأمل ، ص ٢٠٣ .

(٥) ديوان قدر ورجل ص ٢٢٦ .

(٦) أم القرى في ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٧) المصدر السابق .

الشجاعة :

لقد كان الملك عبد العزيز شجاعاً بكل ما تعنيه الكلمة ، شجاعاً في رأيه ، شجاعاً في قتاله ، شجاعاً في كل خطوة يخطوها و« الشجاعة ليست لباساً يلبسه الإنسان متى شاء ، وينزعه متى شاء ، ولكنها خلق متأصل في النفس ، وعبد العزيز كان شجاعاً مقداماً ، وشجاعته هذه تستمد وقودها من إيمانه القوي بالله ، ثم من ثقته بنفسه وبقدراته »[1] .

والأمثلة على شجاعته كثيرة يضيق البحث عن تلخيصها ، ويكفي دلالة على شجاعته وبطولته أنه استطاع في فترة وجيزة توحيد هذه البلاد المترامية الأطراف .

ولقد سجل التاريخ للملك عبد العزيز أروع ملاحم البطولة والشجاعة .

يقول خالد الفرج :

رجل على التاريخ سجل اسمه	**بتجلة قد صغرت أعلامها**
بطل الجزيرة والعروبة شهمها	**سيان أعلن حربها وسلامها**
قصص البطولة قد حوتها سيرة	**عبد العزيز بساعديه أقامها[2]**

وهذا محمد بن علي السنوسي يصف لنا شجاعة الملك عبد العزيز وبطولته فيقول[3] :

كم في ربى الصحراء وهي صحائف	**نشرت سطور بطولة وصدام**
لك في روابيها وفي غاباتها	**وثب يهز مناكب الأعلام**
ضرباً وطعناً يستعير أجيجه	**في مهمات الكر والإقدام**
تنقض في غمر الحديد وترتمي	**كالنجم بين حوالك وختام**

(١) الملك عبد العزيز الشخصية والقيادة ، ص ٩٨ .

(٢) أم القرى ، الجمعة ٣٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) المنهل ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٨ .

عقد الغبار على جبينك تاجه تاج المغير وحلية المقدام
تاجاً على فرق تألق نوره وهجاً على التاريخ والأيام[1]

كما كان يرحمه الله قائداً فذاً : « قائداً استطاع أن يجمع الأعداء فيمحض نفوسهم ليذهب الزبد جفاءً ، ويبقى بريق أخوة الإيمان وأصالة النفس الإنسانية »[2] .

فهو قائد في الحرب ، قائد في السلم يقول فؤاد شاكر :

قائد الضمر المغيرات صبحاً وأخا الروع والنفوس نهابا
قائد المجنبات تضبح ضبحاً سابحات مبكرات عرابا[3]

ويقول محمد بن أحمد العقيلي :

من بناة الشعوب من قادة الرأي ومن وحدوا العروش الأعاظم[4]

والقائد الشجاع لابد أن يكون صاحب عزم وإرادة قوية وهذا ما رأيناه ماثلاً في الملك عبد العزيز يرحمه الله ويتجلى لنا ذلك من خلال سيرته الناصعة يقول محمد حسن عواد :

هو العزم يستدعي حجى وشجاعة وعاطفة تعتز أن تتبلورا
هي القوة العليا من الله لابست إرادة جبار نفى الضعف قسورا[5]

ولقد ولَّدت شجاعته وقيادته الفذة الهيبة ، له في قلوب أعدائه ، فاصبح حماه مرهوباً لا يجرؤ أحد على استباحته ، يقول محمد بن علي السنوسي :

---

(١) لمزيد من الشواهد انظر : مراثي أحمد الغزاوي ، خير الدين الزركلي ، ضياء الدين رجب ، محمد العقيلي .

(٢) الملك عبد العزيز الشخصية والقيادة ، ص ٧ .

(٣) وحي الفؤاد ، ط٣ ، ص ٢٥٧ .

(٤) ديوان الأنغام لمضيئة ، ص ٣٠ .

(٥) أم القرى ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

ماذا نعى الناعي وكيف طوى الردى ... ملكاً طوى التاريخ غير مظام
ملكاً طوى التاريخ مرهوب الحمى ... كالليث والآفاق كالأجام[1]

ومن صفات القائد الشجاع **الحزم والصرامة** : « والقائد بيده السلطة فهو حاكم بأمر الله ثم بأمره إن كان قائداً مسؤولاً كابن سعود مقيداً بالشريعة والدين ، وما دام كذلك فيجب أن يكون ذا صرامة تخيف الساطي المعتدى وترجع الحق من السالب إلى المسلوب منه »[2] .

يقول محمد حسن فقي :

ويرى الرحمة الخصيبة في الحزم ... فيغدو والحزم ملء إهابه[3]

ومن صفات القائد الشجاع **الهمة وعدم الاستكانة** يقول خالد الفرج :

نال المعالي بالفعال وحازها ... إرثاً فكان عريقها وعصامها
فرد وهمته جموع أسست ... أسساً فكان مليكها وإمامها[4]

ويقول فؤاد الخطيب :

أين الذي أحيت الآمال همته ... أيام لا أمل حي ولا همم[5]

العدل :

صفة العدل صفة أصيلة في شخصية رجل شاد ملكه على أساس من العدل الذي هو من أهم دعائم الملك ، يقول أحمد عبد الغفور عطار : « والعدل عند

---

(١) مجلة المنهل ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .
(٢) صقر الجزيرة ص ١٣٢٣ .
(٣) ديوان قدر ورجل ص ٣٣٦ .
(٤) أم القرى الجمعة ٣٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .
(٥) ديوانه ط١ ، ١٣٧٨ هـ ، ص ٣٠٨ .

ابـن سـعود أسـاس مـلكه »[1] . ويقـول : « إن ابن سعود عادل بطبيعته ، لأنه يكـره الظـلم الـذي يحيـق بـه ، بـل كـانت ثورتـه لمحـو الظـلم وتحريـر الأفـراد والجماعات من نير العبودية والاضطهاد »[2] .

وهـناك أمثـلة كـثيرة عـن عدلـه يرحمه الله وصفة العدل كانت محط الركاب للشعراء الذين رثوا الملك عبد العزيز يقول محمود عارف :

ومشـى حجـاك عـلى توقـد نـوره　　　بالرشـد فـي مـنهاج خـير مشـرع

فوقفت بالقسطاس تعدل في الحمى　　　والعـدل شـيمة كـل أصـيد أروع[3]

ويبين طاهر زمخشري أن العدل كان أساس ملكه يرحمه الله فيقول :

عـادلاً سـاس بـالعدل مـلكاً　　　وبـنى صـرحه قـوى الدعـائم[4]

ومـن عدلـه يرحمه الله أنه كان أباً باراً بشعبه ، رحيماً بهم ، عطوفاً عليهم ، ليـس بيـنه وبـين قاصـديه حجـاب ، يدخـل عـليه الصـغير والكـبير فيقضـي حوائجهـم ، وهـم يـلهجون بالدعاء له والثناء عليه . يصور لنا ذلك فؤاد شاكر فيقول :

مـا رأى الـناس دون بـابك سـداً　　　لا ولا دون سـدتيك حجابـاً

كـل بيـت يشـدو بذكـراك فيـه　　　خـافق يرسـل الدعـاء المجابـا

عـرف الـناس فيـك بـراً رحيمـاً　　　وأبـاً مخلصـاً ومـلكاً مهابـاً

شـهد الـناس فيـك أروع مـن　　　يحنو عـلى الـود قـربة واحتسـابا

لا ولـم يشـهدوا سـواك كـريماً　　　عـارض المـزن غيـثه والسـحابا

قـد مـلكت الـنفوس بالعـرف　　　والعدل وبالفضل قد ملكت الرقابا[5]

---

(١) صقر الجزيرة ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص ١٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) البلاد السعودية ، العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) البلاد السعودية ، العدد ١٤٠١ في ٤ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٥) ديوان وحي الفؤاد ، ط٣ ، ص ٢٥٧ .

٢ - التراث :

سعى الشاعر العربي في العصر الحديث إلى الإفادة من التراث العربي العريق ، نظراً لثرائه وغزارة ينابيعه وموفور عطائه ، ولعل مدرسة الإحياء كانت أول من بعث ذلك التراث وأحياه وحاول استلهامه ، ولذلك أطلق على هذه المدرسة (مدرسة البعث والإحياء) فقد أخذ أصحابها وعلى رأسهم البارودي يبعثون وينقبون في ذلك التراث مستثمرين تقاليده في أشعارهم ، سواء كان ذلك من حيث استلهامهم لشكل القصيدة العربية القديمة ، أو استلهام بعض أغراضها ، فظهرت المعارضات للقصائد المشهورة في الشعر العربي ، واسترفدت الرموز التاريخية التي كان لها أثر في حركة التاريخ العربي والإسلامي ، وبرزت محاكاة الشعراء للغة الفحول من شعراء العربية السابقين ، بيد أن هذه المرحلة لم تتجاوز مرحلة التسجيل للتراث وهي مرحلة انحصر جهدها « في التعامل مع التراث تعاملاً أولياً بسيطاً يعنى ببعثه واستلهامه وإعادته إلى النفوس عن طريق رصده وتسجيله دون محاولة توظيفه ، وتتجلى أنماط ذلك التسجيل في العودة بالنص الشعري إلى الجذور الأولى من حيث استلهام أغراض الأقدمين ، والتصدي لمعانيهم والاستعانة بالقوالب اللغوية الجاهزة ومحاكاة ألفاظهم الجزلة وصورهم الشعرية ، إلى جانب الحرص على ترسم خطاهم فيما يتعلق ببناء القصيدة وموسيقاها »[(١)] .

وقد كان لهذه الحركة - حركة الأحياء - دورٌ كبيرٌ في بعث التراث العربي حيث أخرجت كنوزاً كانت مدفونة وربطت الشاعر العربي المعاصر بماضيه البعيد ، وأخرجت شعره من دائرة الضعف الذي سيطر عليه فترة طويلة من

---

(١) توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر لأشجان الهندي ، النادي الأدبي في الرياض ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ٣٥ .

الزمن ، فأخذ الشاعر العربي المعاصر يحاكي في شعره الهامات الكبار في الشعر العربي « حيث أصبح المثل الأعلى لدى الشعراء الجدد ، أبو تمام والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وأبو العلاء وابن زيدون وسواهم من الفحول وتلاشى شيئاً فشيئاً تقليد شعراء عصور الضعف والانحدار ، وفي هذه النقلة في التقليد بدأت مرحلة جديدة في الشعر السعودي يمكن أن نسميها النزعة التقليدية الحديثة »[١] .

ولقد كان « لوصول التراث العربي الشعري مطبوعاً إلى أيدي الشعراء ذوي الملكات الأدبية وزيادة الاتصال بالبلاد العربية »[٢] أثره في ربط الشاعر السعودي بماضيه العريق وتراثه الأصيل الذي راح يمتاح منه ويترسم الخطا في الوصول إلى محاكاته ، تمهيداً للإستقلال برؤية شعرية عصرية .

ونحسب أن البارودي قد « نجح في أن يستغلّ كل إمكانات الشعر القديم ، فلفت بذلك الأنظار إلى قيمة هذا الشعر سواءً بما أنشأ من قصائد أم بما جمعه وقدمه للناس من مختارات »[٣] .

ولذلك فالشاعر السعودي لم يكن بمعزل عن هذه الحركة الرائدة « بعد أن كان الحكم العثماني وما أعقبه من تطورات قد انحدر بالمثقف العربي إلى حالة من الركود امتدت أجيالاً فباعدت بين الناس وثرواتهم الفكرية والأدبية القديمة ومع الوعي الجديد وحركات التحرر كان لابد من أرض صلبة تمنح الذات صلابة واطمئناناً »[٤] ، وحينما نقف وقفة متأنية عند نصوص الرثاء التي قيلت في الملك عبد العزيز يرحمه الله يبرز أمامنا فئتان من الشعراء اصطلح على

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د/ بكري الشيخ ، ص ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

(٣) الشعر العربي المعاصر د/ عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، ط٥ ، ص ٢١ .

(٤) المصدر السابق ص ٢١ .

تسميتهم بالرواد الذين على أيديهم تشكلت ملامح الأدب السعودي حيث وضعوا اللبنات الأولى له في العصر الحديث ، نذكر منهم على سبيل المثال أحمد بن إبراهيم الغزاوي ، وعلي حافظ ، وعثمان حافظ ، وفؤاد شاكر ، ومحمد بن بليهد ، ومحمد بن علي السنوسي ، وغيرهم من الرواد أصحاب الاتجاه المحافظ ، والفئة الاخرى من الشباب الذين يُحسبون على التيار التجديدي أو ما يطلق عليه الاتجاه الرومانسي ، منهم حسن بن عبد الله القرشي وعبد الله بن إدريس ومحمد هاشم رشيد .

وكلا الفريقين كان موقفهما من التراث موقفاً واحداً تقريباً ، وهو موقف المسجل للتراث دون محاولة توظيفه ، وخصوصاً عند الفريق الأول - ونقصد بذلك أنهم لم يستخدموا التراث استخداماً فنياً يدخل في نسيج البناء الشعري ويعبر عن رؤية الشاعر المعاصرة لما هو بصدده « ولهذا نجد بعض المحدثين ينظم على طريقة القدماء في موضوعات يغلب عليها التقليد كالمديح - وهو قليل - والرثاء والإصلاح وما أشبه ذلك »[1] .

وبالتالي نستطيع أن نقول إن توظيف التراث تعد مرحلة متقدمة لم تُتح إلا للقليل من الشعراء على اختلاف انتماءاتهم « وليس كل من أصدر ديواناً أو مجموعة من الدواوين يعد شاعراً مؤهلاً للتعامل مع التراث ، فعملية الوعي بالتراث ووثوق العلاقة به ليست متاحة إلا لطائفة قليلة جداً من الشعراء »[2] . وحين ننظر في ديوان الشعر السعودي لدى أجياله المتعاقبة ، نقف على حقيقة فنية مهمة ألا وهي أن من نسميهم بالمحافظين هم من اشتد اقترابهم من التراث مستوحين إياه شكلاً ومضموناً ، بينما من نسميهم بالمجددين يقتربون من التراث

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د/ بكري الشيخ أمين ، ص ٢٨٨ .

(٢) قراءة في ديوان الشعر السعودي ، د/ يوسف حسن نوفل ، النادي الأدبي في الرياض ، ١٤٠١هـ، ص ٢٣ .

حيناً وينأون عنه حيناً آخر في مرحلة جمعهم بين التراث والمعاصرة[1] .

ولما كان الرثاء غرضاً عاماً فقد سار فيه الشعراء المعاصرون على نهج القدماء « في ثلاثة مظاهر ، أولها هوية المرثيين ، وثانيها في معاني شعر الرثاء وآخرها في أسلوب القصيدة الرثائية وشكل أدائها الفني .

فالمرثيون في الشعر السعودي هم مرثيوا القدماء والفارق الوحيد بينهم هو اختلاف الأسماء »[2] ، وهذه الرؤية من بكري شيخ أمين ليست على إطلاقها فالتجارب والموضوعات تتجدّد بتجدد الأزمان .

وقد ذهبت أشجان الهندي إلى ما ذهب إليه بكري شيخ من أن الشعراء السعوديين قد اكتفوا - في تعاملهم مع التراث - بتسجيله « حتى فيما يتعلق باستلهام العناصر التراثية إذ لم تتجاوز ذلك الاستلهام أنماط التضمين والاقتباس »[3] ولم يكن هناك توظيف لذلك التراث في نتاجهم الشعري بمعنى أن الشعراء قد اكتفوا بتسجيل تلك العناصر التراثية كما جاءت في مصادرها ، دون أن يسبغوا عليها أية دلالات أو رؤى معاصرة تعبر عن واقعهم المعيش[4] .

وقد تنوعت الجوانب التراثية المستلهمة عند الشعراء السعوديين في رثائهم للملك عبد العزيز يرحمه الله على اختلاف بين أولئك الشعراء ، تمحورت حول أربعة جوانب هي : التاريخ والسيرة ثم اللغة وأخيراً الأدب .

فقد ظل التاريخ العربي والإسلامي بما يحمله من أحداث عظام ، وما يظم بين طياته من رموز فاعلة ، كان لها الأثر الواضح في صنع ذلك أقول ظل التاريخ مورداً عذباً للشعراء ورافداً ثراً ، إليه يردون ومنه ينهلون ، كما كانت

---

(١) انظر : المصدر السابق .

(٢) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د/ بكري الشيخ أمين ، ص ٢٥٢ .

(٣) توظيف التراث ، أشجان الهندي ، ص ٣٦ .

(٤) انظر : المصدر السابق ص ٣٦ .

سيرة الرسول محمد ﷺ والخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم أجمعين مصدر إشعاع استضاء به الشعراء في رثائهم للملك عبد العزيز يرحمه الله .

حيث ربطوا « سيرة الملك عبد العزيز بسير الأبطال من رموز الأمة الإسلامية الذين سطروا تاريخهم في ذاكرة الشعوب بحروف من نور ، فكانت لهم أفعالهم البطولية في نصرة دين الله »[١] .

ولإبراز ما حققه الملك عبد العزيز من صفات معنوية فاضلة في ذاته ومجتمعه ، استُرفدت بعضُ الشخصيات الحاكمة التي هي على النقيض ، وذلك من باب (والضد يظهر حسنه الضد) ، وهذا ما نراه في قصيدة عبد الله بن شاهين ، حيث استرفد الشاعر شخصيتي كسرى وقيصر ، وهو يعدد مناقب الملك عبد العزيز ولم يكن استرفادهما من باب المقارنة ، بل لعرض الشيء ونقيضه ، فالملك عبد العزيز مشترك معهما في الحاكمية ويغايرهما في سيرته وعقيدته .

يقول عبد الله بن شاهين :

ما كنت فوق الأرض كسرى وقته ... أو قيصراً بل واحد ألاّ مار[٢]

ويعود الشاعر مرة أخرى ويسترفد بعض الرموز الإسلامية المميزة في التاريخ الإسلامي ويربط سيرتها بسيرة الملك عبد العزيز على سبيل المشابهة حيث يقول :

وأعدت عهد الراشدين وسمتنا ... مسترشداً في الحكم هدي الباري[٣]

فسيرة الملك عبد العزيز تشبه سيرة الخلفاء الراشدين ، ووجه الشبه يكمن

---

(١) انظر : مقدمة د/ محمد مريس الحارثي على كتاب الملك عبد العزيز في مرآة الشعر ، لعبد القدوس الأنصاري ، ط جامعة أم القرى ١٤١٩ هـ ، ص ٢١ .

(٢) انظر : اليمامة ، العدد الرابع ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .

(٣) انظر المصدر السابق .

في ترسم الملك عبد العزيز لسيرة أولئك الأفذاذ الذين ضربوا أروع الأمثلة في الحكم بما شرع الله على مر العصور ، كيف لا وهم أفضل البشر بعد المصطفى ﷺ فكانوا أنموذجاً سار على نهجهم المؤسس العظيم الملك عبد العزيز يرحمه الله فكان مثالاً للحاكم المؤمن التقي ، الذي حقق العدل في ربوع الجزيرة ، ونشر العقيدة السليمة ، وكان حكمه رحمة على رعاياه ، فساد الأمن وعم الرخاء ، يقول الدكتور محمد بن مريسي الحارثي : « ولقد كان الملك عبد العزيز مجمع صفات الحاكم المؤمن الذي نهض بالفئة القليلة لتكون كلمة الله هي العليا »[1] .

وكان للتقوى التي تحلى بها الملك عبد العزيز والإيمان العميق الذي امتلأ به قلبه أثره الواضح في سيرته التي اقتفى فيها أثر الصحابة الراشدين ، يقول محمود عارف :

قد ضم قلبك وهو ممتلئ هدى عطف الصحاب الراشدين الركع[2]

وكما استرفد الشاعر السعودي الرموز التاريخية ، استرفد كذلك بعض الأحداث المشرقة في التاريخ الإسلامي ، فهذا الشاعر علي حافظ في قصيدته الرثائية للملك عبد العزيز يرحمه الله يلتفت في نهايتها فيخاطب الملك سعود يرحمه الله في قوله :

فخض بنا البحر فالأنصار تسبقكم واسلك بنا البحر لا نعبأ بسفك دم[3]

وهذا البيت يذكرنا بما قاله الصحابي الجليل سعد بن معاذ يوم بدر مخاطباً النبي ﷺ حينما استشار الصحابة في هذه المعركة حيث قال : « امض يا نبي الله ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي

(١) انظر : الغزاوي يرصد المنجزات السعودية شعراً.

(٢) انظر البلاد السعودية العدد ١٤٠٣ هـ بتاريخ ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) انظر أم القرى بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

رجل »[1] .

فالشاعر وظّف هذه الحادثة في إعلان الولاء والطاعة للملك الجديد بعد وفاة المؤسس العظيم ، وهذا يدل على قوة التلاحم بين الحاكم والمحكوم في هذه البلاد الطاهرة .

أما الشاعر محمد بن أحمد العقيلي فقد وصف نعش الملك عبد العزيز وكيف أن الغمام يحييه ، والملائكة من حوله تسبح ، وعليه هالة من النور ، وهو بين الصحابة والصالحين في الجنة ، والشرعة الغراء تتباهى به ، لأنه كان ناصراً لها ولأوليائها ، والفتح يتباهى به ، لما حقق الله على يديه من فتوحات ، وحدت أجزاء الجزيرة المترامية الأطراف ، والقواد العظام يتباهون به لكونه مثلهم ، ومعاركه تشبه معركة بدر ، الكبرى وأعلامه كأعلام الصحابة في بدر ، والذين يحملون الألوية في غزواته من أمثال سعد وسالم ، حيث يقول :

أي نعش تقله الريح قد سا ... ر تحييه في السماء الغمائم
سار يحدوه للملائك تسبيـ ... ـح وفي هالة من النور عائم
تتهادى به الصحابة في الخلـ ... ـد وأرواح كل حبر وعالم
تتباهى به الحنيفة السمحة ... والفتح والغزاة الخضارم
رفرفت فوقه بإعلام بدر ... يستقل اللواء (سعد) و(سالم)[2]

ونلاحظ أن الشاعر استرفد أحداثاً وشخصيات في أثناء تصويره لنعش الملك عبد العزيز يرحمه الله :

وإذا كان الشعراء السعوديون قد استلهموا تاريخهم البعيد في رثائهم للملك عبد العزيز ، واسترفدوا شخصياتٍ وأحداثاً فاعلةً في ذلك التاريخ ، فإنهم لم يغفلوا تاريخهم القريب أيضاً، ويتمثل ذلك في قول الشاعر خير الدين الزركلي:

---

(١) السيرة لابن هشام جـ١ ص ٦٢٥ ، والمغازي للواقدي جـ١ ط٣ ص ٤٨ .
(٢) ديوانه الأنغام المضيئة ، ط١ ص ٣٠ .

ما يوم عجلان بمبتعد المدى ولرب دانٍ منك وهو بعيد
خفت إليه عصبة من وائلٍ قيد ومهما أسد يصول شديد
فإذا بشمر طيءٍ (ورشيدها) تعنوا ولا يأبى السلام رشيد
وتقلص الخاقان بين بنوده وله بإطراف الخليج بنود
لحقت به قواده واستسلمت أجناده والسالم المجدود
وهوت عوادي الملك (بابن رفادة) لم يغن عنه جمعه المحشود[1]

لقد استرفد الشاعر في أبياته السابقة أحداثاً كان لها وقعها في رسم خريطة الجزيرة العربية في العصر الحديث ، كما استرفد الشاعر أيضاً شخصيات كان لها حضورها البارز في الجزيرة العربية قبل الحكم السعودي ، وذكر أسماء قبائل ومواقع .

والشاعر يقصد من كل ما سبق أن يذكرنا بكفاح فارس الجزيرة وباني مجدها الملك عبد العزيز يرحمه الله ، وكيف استطاع بعزم القائد الملهم وشجاعة البطل المغوار ، أن يقهر أعداءً ليس من اليسير قهرهم والتغلب عليهم ، إلا لمن كان أكثر بطولة منهم وهذا ما تجسد في صفات الملك عبد العزيز الفروسية .

ويواجهك **المحور اللغوي** في قصائد الرثاء ، وهي تبرز بصورة واضحة مدى تأثر الشاعر السعودي بتراثه العربي والإسلامي ، ويظهر ذلك جلياً من خلال البناء الشعري للقصيدة ، ولعل من أهم العناصر التي تشكل ذلك البناء اللغة التي استخدمها الشاعر السعودي ، الذي استرفد كثيراً من ألفاظ القدماء وتراكيبهم وهذه سمة لغوية ظاهرة عند الشعراء الذين حرصوا على تمثل لغة الشعراء الأقدمين ، من جاهليين وأمويين وعباسيين وغيرهم « وقد نعثر على حظ كبير من ألفاظ وتركيب درج عليها الأقدمون ، فاستعارها المحدثون

---

(١) انظر : أم القرى بتاريخ ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

وسلكوها في عداد ألفاظهم وتركيبهم »[1] . ويستوي في ذلك التقليدون والمجددون ، ذلك أن أغلب أولئك المجددين أو المحسوبين على التيار الرومانسي ذي النزعة التجديدية ، هم من المبتدئين في ذلك الوقت ، وقصائدهم تعبر عن بواكير أعمالهم الشعرية ، ولما تتبلور عندهم النزعة التجديدية بعد ، لذلك كان التقليد سمة ظاهرة في أشعارهم .

كما أن المخزون من الموروث الشعري في أذهان أولئك الشعراء كان له أثره على لغتهم ، وهذا ما صرح به عدد منهم ، فهذا الشاعر حسن بن عبد الله القرشي يقول « لقد حفظت الكثير من شعر شعراء المعلقات المعروفين ثم كثير من قصائد الشعراء العرب ، في عصريه الأموي والعباسي كعمرو بن أبي ربيعة والأحوص والعرجي و... إلخ »[2] .

لذلك تجد أن التأثر بالتراث اللغوي أصبح واضحاً في الشعر السعودي في هذه المرحلة ، ولكن على تفاوت بين الشعراء ، في حين أن أكثر الشعراء تأثراً بذلك التراث هو الشاعر أحمد الغزاوي ، حيث نجد معجمه تراثياً صرفاً ، سواء كان ذلك في الألفاظ أم في التراكيب ، فتجد من الألفاظ كلمات مثل - يباب - وطاب - صلداً - اللغاب - ملاب - الظِبي - الفرند - القرضاب ... إلخ .

انظر إلى قوله في معرض ذكر إنجازات الملك عبد العزيز يرحمه الله :

وإذا العرب دولة ذات بأسٍ ... وهي من قبله (لقى) ويباب[3]

فالقارئ حينما يقرأ هذا البيت يجد نفسه مضطراً لمراجعة المعجم لمعرفة

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د. بكري الشيخ أمين ص ٣٩٤ .

(٢) مقدمة ديوان حسن بن عبد الله القرشي مج١ ص ١٥ .

(٣) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ١٢٧٦ .

معنى كلمتي - لقى - ويباب[1] .

أمـا مـن حيث التراكيب التراثية فهناك الكثير أيضاً مثل - ثقف النصر فدح الخطب - مهل مذاب ... إلخ .

فـدح الخطـب واسـتطار المصـاب　　　وبـكى الشـعب حسـرة والشـعاب
وكـأن القـلوب توقـد نـاراً　　　وكـأن العيـون مهـل مـذاب[2]

ثم يقول :

ثقـف النصـر والعـتاد يقـين　　　واقتضـى الدهـر مـا طـواه الـتراب[3]

وإذا كان الغزاوي من التقليديين التراثيين ، فهذا الشاعر عبد الله بن إدريس مـن المحسـوبين عـلى الـتيار الجديـد وتجد في معجمه الشعري الكثير من الألفاظ والتراكيب التراثية[4] .

فهناك ألفاظ تراثية مثل - الجحافل - حفلاً - الذمار ... إلخ .

مشـت الجحـافل والفيـالق حفـلاً　　　تحمـي الذمـار وتعمـر الأقطـارا[5]

ولعـل هـذه الأمثـلة توضـح مـدى تأثـر الشاعر السعودي في رثائه للملك عبد العزيز بالتراث القديم ، من حيث استرفاد اللفظة التراثية .

وكـان **للمخزون الأدبي** حضـوره في بناء قصيدة الرثاء وبخاصة المخزون الشعري التراثي ، ولذلك فلا غرابة أن تكون معاني الرثاء وصوره متأثرة بمعاني وصـور الأقدمـين ، وهـذا ما نلاحظه عند الشعراء السعوديين الذين رثوا الملك

---

(١) للمزيد من الشواهد انظر المصدر السابق من ص ١٢٧٥ - ١٢٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٧٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٧٦ .

(٤) ديوان في زورقي ، ص ١٦٩ - ١٧٩ .

(٥) المصدر السابق ص ١٦٩ ، واليمامة العدد الرابع ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .

عـبد العزيز يرحمه الله ، فحين ننظر إلى المعاني نجدها لا تكاد تختلف عن المعاني الـتي أوردها الشعراء الأقدمون في مراثيهم : « وجل المعاني دارت حول المصيبة التي حلت ، فكانت منشاراً للقلب تحز فيه وتقطع ، وأن الكارثة ليست مقصورة عـلى الـناس وحدهـم ، ولكـنها كارثة أصابت الشريعة الغراء ، التي مات عنها إمامها ، ولابد في الرثاء من استعراض شمائل المتوَفَّى ، وخصاله التي كان يتمتع بها »[1] .

هـذا مـن حيـث المعـاني أمـا مـن حيث شكل القصيدة فقد التزموا الشكل المعروف في قصيدة الشطرين .

والتزموا أيضاً بقافية واحدة من أول القصيدة إلى آخرها ، ولم يقفوا عند هذا الحـد بـل إنهـم عارضوا قصائد مشهورة في الشعر العربي « ومعارضة الأقدمين هي سمة من سمات التقليدية وخصيصة من خصائصها ، وهي تنم عن إعجاب بـالتراث تنعكس أصداؤه في العمل الأدبي سواء كان ذلك في اختيار الفن أم في اختيار الديباجة والصورة الشعرية أم في المعاني »[2] .

ولم يقـف الأمر عند هذا الحد بل نجد أنهم ضمنوا قصائدهم الرثائية مقاطع مـن قصـائد المشـهورين ممـن سـبقوهم ، والقارئ حين يتأمل قصائد الرثاء التي قيـلت في المـلك عـبد العزيـز يرحمه الله يقف على صوت المتنبي وأبي تمام وأبي العلاء المعري وغيرهـم .

ولم يقتصر تأثر الشاعر السعودي بأولئك الشعراء بل إنك لتقف على صدى صـوت شـعراء النهضـة الحديثة في مصر ، من أمثال البارودي ، وأحمد شوقي ، وحـافظ إبـراهيم « والشـعر السـعودي في الجزيـرة العـربية هـو جزء من الشعر

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د/ بكري الشيخ أمين ص ٢٥٥ .

(٢) دراسات في الأدب السعودي ، محمد الصادق عفيفي ط١ - ١٤١٣ هـ ، ص ١٣٢ .

العربي المعاصر ، لذا فإنه من الطبيعي أن تتأثر البيئات المختلفة ببعضها البعض وأن يتضح ذلك التأثر في محاكاة فريق من الشعراء السعوديين لمعاصريهم من الشعراء العرب »[1] .

ونلمس ذلك بوضوح عند أصحاب الاتجاه المحافظ من أمثال أحمد الغزاوي وعبد الله بن خميس وفؤاد الخطيب وفؤاد شاكر وغيرهم ، فهؤلاء بالإضافة إلى تمسكهم بالقصيدة ذات الشطرين والقافية الموحدة ، نراهم يطرقون البحور التي تمتاز بقوة الإيقاع وكثرة التفاعيل ، مثل الخفيف ، والكامل ، والطويل ، والبسيط وهي من البحور التي لها امتداد للكميّات الصوتية وفيها نفس طويل ، انظر مثلاً قصيدة أحمد الغزاوي التي مطلعها :

فدح الخطب واستطار المصاب　　　وبكى الشعب حسرة والشعاب

وكأن القلوب توقد ناراً　　　وكأن العيون مهل مذاب[2]

وحين نبحث عن صورة أخرى من صور التراث عند الشاعر السعودي في رثائه للملك عبد العزيز يرحمه الله ، نجد أنه كان يعمد إلى تضمين الحكم والمواعظ في مراثيه . انظر مثلاً إلى قصيدة فؤاد الخطيب حيث يقول :

قبر العظيم هو التاريخ فهو له　　　مثوى الكرامة لا الأجداث والرجم

ويقول أيضاً :

وإنما اللحد باب نحن ندخله　　　وإن ما خالف ذاك الباب يغتنم[3]

غير أن أصحاب الاتجاه الجديد من أمثال حسن عبد الله القرشي ،

---

(١) توظيف التراث في الشعر السعودي ، أشجان الهندي ص ٢٢٤ .

(٢) انظر : أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، جمع وتحقيق د. مسعد العطوي ، جـ٢ ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٢٧٦ .

(٣) انظر : ديوان الخطيب ط١ ١٣٧٨ ص

وعبد الله ابن إدريس ، ومحمد حسن فقي ، ومحمد هاشم رشيد ، وغيرهم وإن كانوا ساروا على النهج التقليدي للقصيدة من حيث التزام الشطرين والقافية الموحدة ، إلا أنهم اختلفوا عن الفئة السابقة في أن قصائدهم حيث جاءت مواكبة لروح العصر إلى حد ما ، وامتازت بسلاسة الأسلوب ، ورقة العبارة ، وقرب المأخذ ، بالنسبة للألفاظ ووضوح الفكرة .

ولبيان مدى تأثر الشعراء السعوديين في رثائهم للملك عبد العزيز بالتراث ، وصور ذلك التأثر ، فإنه من الأجدر إيراد بعض الأمثلة لذلك التأثر سواء كان ذلك في الشكل أم المضمون .

يقول فؤاد الخطيب :

وكيف أنسى الذرى الشماء عذت بها وقد مشيت إليها والطريق دم[1]

فهذا البيت في يشبه قول المتنبي :

قد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه والسيوف دم[2]

فالشطر الثاني في كلا البيتين معناهما واحد تقريباً ، وليس هذا فحسب بل إن البحر واحد والقافية واحدة أيضاً في كلا القصيدتين .

وفي بيت آخر يقول فؤاد الخطيب :

وما طمعت بدنيا شمسها اقتربت من الأفول نعاها الشيب والهرم[3]

فهناك تقارب مع بيت المتنبي :

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم[4]

(١) ديوان الخطيب ص ١٣٧٨ .

(٢) ديوان المتنبي شرح البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان جـ٤ ص ٨٨ .

(٣) ديوان الخطيب ص ١٣٨٧

(٤) ديوان المتنبي ص ٨١.

ففـؤاد الخطيب يقول : « نعاها الشيب والهرم » والمتنبي يقول « وذان الشيب والهرم » وليس بينهما كبير فرق .

وحيـنما تقـرأ قصـيدة ضياء الدين رجب فأول ما يتبادر إلى الأذهان قصيدة أبي تمام في فتح عمورية ، يقول ضياء الدين رجب :

لا ينظوي المجد باصمصامة العرب ولا يغيب الهدى في غمرة الحقب[(١)]

ويقول أبو تمام :

السـيف أصـدق إنـبـاءً مـن في حده الحد بين الجد واللعب[(٢)]

وكذلـك طاهـر زمخشري في قصيدته البائية فقد سار على نهج قصيدة مالك ابن الريب في قصيدته المشهورة ، يقول طاهر زمخشري :

مقادير أرست في حمانا المراسيا بضحوة يوم عاد بالرزء داجيا[(٣)]

ويقول مالك بن الريب :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا[(٤)]

والـذي نلاحظـه أن الغـرض واحـد ، وهـو الرثاء والوزن واحد ، والقافية أيضاً واحدة .

وما ذهب إليه طاهر زمخشري في بيته :

رمـتها بغـول المـوت يختـار سـيداً وعـادة هـذا المـوت يختـار غاليـاً[(٥)]

---

(١) البلاد السعودية العدد ١٤٠٣ - ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبد الله عزام ، مجلد (١) ط(٣) دار المعارف بمصر ص ٤١ .

(٣) المنهل جـ٣ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٤) جمهرة أشعار العرب ص ٣٦٩ .

(٥) المنهل جـ٣ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

يشبه إلى حدٍّ ما قول طرفة بن العبد :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة ما للفاحش المتشدد[(١)]

وهذا المعنى نجده أيضاً في قول أحمد شوقي في رثاء إسماعيل باشا :

وبعض المنايا تنزل الشهد في الثرى ويحططن في التُّرب الجبال الرواسيا[(٢)]

وبالإضافة إلى تقارب المعنى في كلا البيتين عند طاهر زمخشري وعند شوقي تجد الغرض واحداً ، وكذلك الوزن والقافية .

وإذا كان الشعراء السعوديون في رثائهم للملك عبد العزيز يرحمه الله قد تأثروا بالشعراء القدامى ، سواء كان ذلك على سبيل المعارضة ، أو التضمين والاقتباس ، فإنهم نهجوا نفس النهج مع المشهورين من الشعراء في العصر الحديث ، الذين سبقوهم في مجال الإبداع أو كانوا من المعاصرين لهم .

فهذا فؤاد شاكر يسير في قصيدته على منوال قصيدة حافظ إبراهيم في رثاء سعد زغلول يقول حافظ :

أي جنود الرئيس نادوا جهاراً فإذا لم يجب فشقوا الثيابا[(٣)]

والمعنى نفسه نجده عند فؤاد شاكر حيث يقول :

أيها المسلمون ماذا دهى الكون فهبوا ضحى وشقوا الثيابا[(٤)]

ويقول حافظ أيضاً :

قد جمعت الأشتات حولك صفاً ونظمت الشيوخ والنوابا[(٥)]

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٤٩ هـ - ١٩٧٩ م ص ٣٤ .

(٢) الشوقيات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ(٣) ، ص ١٨١ .

(٣) ديوان حافظ إبراهم ، دار العودة للصحافة والنشر جـ(٢) ص ٢١٩ .

(٤) وحي الفؤاد ، ط(٣) ص ٢٥٧ .

(٥) ديوان حافظ إبراهيم ، ص ٢٢٤ .

ويقول فؤاد شاكر في نفس المعنى :

كيف أسست أمة من هباءٍ وجمعت الأشتات والأحزابا[1]

والناظر إلى القصيدتين على وجه العموم يرى أن الأفكار واحدة ، وكذلك الوزن والقافية ، حتى لكأن القصيدتين سالت من فم واحد ، فحافظ إبراهيم يعدد مآثر سعد زغلول في مصر ويشيد بإنجازاته ، التي قدمها لأبناء الكنانة وفؤاد شاكر هو الآخر يعدد مآثر الملك عبد العزيز ويشيد بإنجازاته التي قدمها لأبناء الجزيرة العربية .

وحينما ننظر إلى قصيدة عبد الله بن خميس نسمع صدى قصيدة أحمد شوقي في رثاء أحمد فؤاد : يقول أحمد شوقي :

اليوم ارتجل الرثاء وانزوي في مأتم أبكي مع الباكينا[2]

ويقول ابن خميس :

لا غرو أن تلقى أخاك حزيناً فاليوم حتماً يكثر الباكونا[3]

فالمعنى في كلا البيتين متشابه ، بالإضافة إلى وحدة الغرض ، والوزن ، والقافية .

وحينما تقرأ قصيدة محمد بن بليهد في رثائه للملك عبد العزيز تسمع من خلالها صوت البارودي وحافظ إبراهيم يقول د/ محمد بن سعد بن حسين في معرض تحليله للقصيدة إنه « بلغ الذروة فيها إحساساً وشعوراً ، وإبداعاً وتصويراً ، حتى يخيل لك وأنت تقرؤها أنها سالت من فم البارودي وحافظ إبراهيم »[4] .

---

(١) وحي الفؤاد ، ط(٣) ص ٢٥٧ .

(٢) الشوقيات جـ٣ ، ص ١٦٨ .

(٣) البلاد السعودية ، العدد ١٤٠٢ في ٥ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) الشيخ ابن بليهد وآثاره الأدبية ، د/ محمد بن سعد بن حسين جـ(١) ط(١) ص ٤٠٦ .

ومطلع قصيدة ابن بليهد :

مـا للمـنية أمـس ليـس يكفيهـا   مـا القت العرب والأحداث في فيها[1]

هـذه بعـض الأمثـلة أوردناهـا لـبيان شـيء مـن صـور التأثر في رثاء الملك عبد العزيز .

(١) ديوان ابتسامات الأيام ، ط(١) ١٤٠٥ ، ص ٤٣٤ .

الفصل الثاني

صدمة الحدث

صدمة الحدث

لم تكـن وفاة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه وفاة حاكم أو ملك ، بل كانت وفـاة زعيـم أسـس دولـة وبـنى أمـة ، وفـاة بطلٍ من أبطال التاريخ وعظيمٍ من عظماء العالم ، وفاة أعظم شخصية إسلامية عربية في القرن العشرين .

ولما كانت هذه الشخصية الفذة مؤثرة في حركة التاريخ المعاصر فقد أحدثت وفاتـه هزة في العالم بأسره ، تمثل ذلك في خطابات النعي والتأبين التي أبرزت ما كـان يتمـتع بـه المـلك عبد العزيز من حب واحترام منقطعي النظير ، وجسدت الحـزن العميـق على فقده وأسهبت في تعداد سجاياه ومناقبه ، التي أكسبته ذلك الحب والاحترام .

و« لقد استقبلت هيئة الأمم المتحدة الفاجعة بحزن عميق ، ونكّست الأعلام في مقـر الهيـئة حداداً على الراحل ، وافتتح رئيس الجلسة بكلمة أبَّن فيها الفقيد الـراحل وقـال : إنه من أعظم ولاة بلاده العربية ، وأوقفت الجلسة حداداً على الفقيد الراحل بضع دقائق »[1] .

ويقول الرئيس الأمريكي (ايزنهاور) في برقيته التي أرسلها إلى الملك سعود يـوم الوفـاة « بشعوري المفعم بالخسارة الفادحة أعبر عن عميق مشاركتي للعائلة المالكـة والشـعب السـعودي بوفـاة والدهم المجيد ، وحاكمهم الملك عبد العزيز آل سعود .

إن إدارتـه الحكمـة وحكمـته الـبالغة جعلته عزيزاً في قلوب الناس وأكسبته شـهرة عالمية وإن الشعب الأمريكي لفخور بأن يعده وأمته من بين أعز وأصدق آيات الأكرمين »[2] .

---

(١) أيامه الأخيرة طيَّب الله ثراه ، خليفة إسماعيل الإسماعيل ، ط(١) ١٤١٩ هـ ، ص ٧٧ .

(٢) صحيفة أم القرى العدد ١٤٠٩ في ٦ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ١٣ / نوفمبر / ١٩٥٣ م .

وجـاء في برقية الملكة إليزابث ملكة بريطانيا التي بعثت بها في يوم الوفاة إلى الملك سعود « لقد أصابني حزن عميق لدى سماعي بوفاة والد جلالتكم الكبير ، لقد اكتسب لنفسه بحكمته وشجاعته مكاناً خالداً في تاريخ بلاده وتاريخ العالم »[1] .

وقد انهالت على الملك سعود يرحمه الله برقيات العزاء ، من كل مكان كلها تعبر عن فداحة الخسارة وهول الخطب .

وتعددت المقالات في الصحف المحلية والعربية وغيرها وكلها تتحدث عن هذا المصاب الجلل ، وسوف يعرض البحث لمقتطفات مما كتب في الصحف في الأيام الأولى لوفاته ومن ذلك ما كتبه سماحة الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية في ذلك الوقت حيث يقول : « مات الملك التقي ، مات الملك الصالح ، مات الإمام العادل ، مات عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن فيصل آل سعود الذي سجل له التاريخ بطولة لا تعدلها بطولة، وشجاعة فذة في الحق ، وإقامة العدل ، وإحياء سنن الإسلام ، وإماتة البدع التي أوهنت المسلمين »[2] ثم يعدد إنجازاته يرحمه الله ، وخصوصاً في مجال الأمن لحجاج بيت الله ، وزوار مسجد رسول الله ﷺ ويقول أيضاً : « وأنه منذ حمل عبء الحكم في البلاد المقدسة لا يغمض له جفن ، ولا يشعر براحة وطمأنينة ، إلا إذا اطمأن إلى أنه وفّى ما عاهد الله عليه ، وهيهات أن يوفي فهو دائماً في حساب عسير لنفسه ، عما قدمت من عمل وعما تركت من علم »[3] .

وسوف يورد البحث فيما يلي بعض افتتاحات الصحف السعودية مما

---

(١) صحيفة أم القرى العدد ١٤٠٩ في ٦ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ١٣ / نوفمبر / ١٩٥٣ م .

(٢) صحيفة الأهرام المصرية بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٥٣ م وانظر الملك عبد العزيز رؤية عالمية د/ ساعد العرابي الحارثي ، دار القمم ط(١) ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٥٥٠ .

(٣) المصدر السابق .

يوضح مدى الحزن والأسى الذي عم البلاد لفقد العاهل العظيم يرحمه الله ، في أول افتتاحية لصحيفة سعودية في اليوم الثاني لوفاة الملك عبد العزيز قالت صحيفة البلاد : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مات الملك ، مات ملك البلاد ومنشؤها ومؤسسها ، أحقيقة أن ذلك الرجل قد مات ، وأن تلك الشخصية الفذة قد قضت نحبها ، لقد هلعت النفوس ، وجزعت القلوب عند سماع النبأ ، لقد خرست الألسن ، من أن تعبر عن وقعه في النفوس وعجزت الأقلام عن تصويره ، والكتابة فيه ، أي خطب فادح حل بالأمة العربية السعودية ؟ أي مصاب جلل رزئت به ؟ وأية خسارة كبرى خسرها العالم ؟ لم يكن ذلك الذي انطوت صفحة حياته ملكاً فقط ، بل كان بطلاً من أبطال التاريخ ، وكان عظيماً من عظماء العالم ، وكان أكبر زعماء العرب والمسلمين ، وكان أكبر شخصية إسلامية في هذا القرن ، وأكثر عن ذلك أنه ، كان أباً رحيماً لكل أفراد شعبه وكان إنساناً وأيّ ، إنسان ، أنشأ مملكة عظيمة مترامية الأطراف بجهاده وعزيمته الصادقة ، وبنى مجداً تالداً للأمة السعودية خاصة ، وللأمم العربية والإسلامية عامة إن القلم مهما أوتي من المقدرة عاجز اليوم في غمرة هذا الحزن الجارف أن يفعل أكثر مما فعل الشعب من جميع الطبقات . لقد بكاه الشعب بدل الدمع دماً وذرفت عليه الأمة العربية الهتون وعمَّ الحزن والأسى كل بيت وكل مكان وكل فرد في المملكة ، بل في العالمين العربي والإسلامي أجمعهما ، وأقبل الناس يعزون بعضهم بعضاً في تلك الخسارة الجسيمة ، بفقد ذلك الرجل العظيم ، ولو أعطي الشعب الخيار لافتدته الآلاف المؤلفة من أفراد شعبه ، ولكنّها مشيئة الله التي لا نملك أمامها حولاً ولا طولاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون »[1] .

---

(١) البلاد السعودية عدد ١٤٠١ في ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

وجـاء في أول افتتاحية لمجلة سعودية بقلم عبد القدوس الأنصاري ما يلي :

« لئن وجلت القلوب ، وذرفت العيون الدموع مدرارة غزاراً على الملك العظيم الـراحل عـبد العزيـز آل سعود ، باني المملكة العربية السعودية ، وموئل العرب والإسـلام في العصـر الحديـث ، ورجل الشرق والغرب في العالم الحديث ، فإنما ذلـك مـن أثـر الإحسـاس بعظـم الخسارة ، وهول الفاجعة بفقد جلالته »[1] ثم يستطرد في ذكر سجايا المغفور له بإذن الله ، ويعدد مناقبه وإنجازاته إلى أن يقول: « وقـد انطلقت الأقلام والحناجر بعد وفاته تنشر وتذيع مزايا جلالته ، وما قدمه مـن مـزايا لـلعالم ، وقد ساهمت الدنيا جمعاء في البكاء عليه ، لا فرق بين عربي وعجمـي ولا بـين غـربي وشـرقي ، وبذلـك أصـبح واحداً من عظماء التاريخ الذين يقول عنهم أبو الطيب المتنبي :

وتـركك فـي الدنيـا دويـاً كأنمـا تـداول سـمع المـرء أنملـه العشـر

حقاً لقـد ترك جلالته دوياً في الدنيا دوياً تجاوبت أصداؤه في عصر لا يجمع على ذلك إلا لعظيم »[2] .

وإذا مـا التفتـنا إلى ما عبر به الشعراء السعوديون من قصائدهم الرثائية فإننا نجـد شـعراً يجسد مرارة الألم ، وعظيم الحزن حيث استجاب الشعراء لمكنوناتهم وأحاسيسـهم فانطـلقوا يعبرون أصدق تعبير عن ذلك الحدث المفجع ، وتتابعوا يرثون جلالته بقلوب مكلومة أسال دموعها الحزن الممض للحادث الأليم .

فهـذا الشاعر أحمد الغزاوي يبين فداحة الخطب وعظم المصيبة بوفاة العاهل العظيـم ، ويصـور الحسـرة الـتي عمـت الأرض والشـعب ، ثـم يتساءل تساؤل المفجـوع هل ما يقوله النعاة صحيحاً حتى أرجف من شدة وقع النبأ على نفسه ثـم يكـرر السؤال بما لا يتصور أن يقع وهو نضوب البحر فهل ينضب البحر ؟

---

(١) مجلة المنهل ربيع الأول ١٣٧٣ هـ / نوفمبر ١٩٥٣ م .

(٢) المصدر السابق .

وكأنه لا يتصور أن يموت الملك عبد العزيز .

فدح الخطب واستطار المصاب	**وبكى الشعب حسرة والشعاب**
ما يقول النعاة ويحي أرجف	**زلزل الأرض أين مني الصواب**
مات عبد العزيز رحماك ربي	**أتغيض البحور وهي عباب**(١)

أما الشاعر حسن عبد الله القرشي فيصور الحالة التي أوقعها نبأ الوفاة على العالم ، فقد روع ذلك النبأ العرب وأذهل العالم أجمع ، كيف والملك عبد العزيز كان زعيماً عربياً له مكانته وله تأثيره ، ثم يصور حالته وما انتابه من حزن وأسى فيقول :

روع العرب واستفز العوالم	**ودهى الشرق فهو اسيان واجم**
نبأ يصدع الرواسي وتهذي	**لصداه النهى وتبكي العواصم**
وربوع الإسلام تجهش روعاً	**من مصاب فذ ورزء قاصم**
قيل أودى عبد العزيز فمادت	**من صروح العلا أشد الدعائم**
قيل أودى عبد العزيز فقلب	**طافح بالأسى وطرف ساجم**(٢)

والراحل الفقيد بكاه الوجود كله ، وجميع الأديان والملل شاركت في الحزن والأسى عليه ، يقول خالد الفرج :

قالوا قضى عبد العزيز فياله	**هول يهد من الأمور جسامها**
رجل قضى فبكى الوجود لفقده	**ثكلت به دنيا الكرام أنامها**
وتساوت الأديان في تأبينه	**فترى النصارى شاركت إسلامها**(٣)

والمقادير التي تحمل الموت تطوف وتتجول بين الخلق ، وقد أرست مراسيها في حمانا فكان الخطب حين كان عبد العزيز المقصد ، فدكدكت العزائم وأصمت

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ١٢٧٥ .

(٢) انظر : أم القرى ١٣ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .

(٣) انظر : أم القرى في ٣٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

الأذان ، وقطَّعت نياط القلوب ، وأجرت الدموع ، وهذا ما يصوره طاهر زمخشري حين يقول :

مقادير أرست في حمانا المراسيا ... بضحوة يوم عاد بالرزء داجيا

مقادير فلت بالعوادي ودكدكت ... عزائم صدقٍ لا تبالي العواديا

رمتها فأصمت كل سمع ومزقت ... نياط فؤاد سال بالدمع باكيا(1)

ويشبه الشاعر الموت الذي جاءت به المقادير بالغول المفزع المخيف ، الذي اختار سيد هذه البلاد وباني صرحها ، ومشى به فأدمى القلوب واستعبر المآقي:

رمتها بغول الموت يختار سيداً ... وعادة هذا الموت يختار غاليا

تخير باني صرحها فمشى به ... فأدمى الحنايا واستفاض المآقيا(2)

وهذا شاعر آخر يطلق تأوهاته على عبد العزيز ، وليس هو فحسب بل كل فم يردد تلك التأوهات ، ولقد بكى عبد العزيز كل من عرفه وبكته انجازاته التي ستبقى خالدة تذكرنا بذلك الراحل العظيم .

يقول عبد الرحمن بن يحيى المعلمي :

آه على عبد العزيز تأوهاً ... يلفى بكل فم ترديد

تبكي العروبة شجوها لفراقه ... ولقد بكاه العدل والتوحيد

تبكي السما والأرض خيراتٍ لها ... كان انتشار فيهما وصعود(3)

كل مظاهر الفرح والبهجة اختفت ، حتى في حياة الطبيعة ، فكل شيء تغير حتى لم تعد تغني الطيور ، ولم تعد تتمايل الأغصان والوحشة ، والصمت يلفان الكون . هكذا صور الشاعر عبد الله بن شاهين أثر الفاجعة على الإنسان والحيوان والطبيعة :

---

(1) انظر : المنهل جـ٣ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(2) المصدر السابق .

(3) انظر : المنهل جـ(٣) ربيع الأول ١٣٧٣ ، ص ٢٠٠ .

بكرت لـلروض الشجير وقـد صبت	**نفســـي إلى الأطيــار والأشــجار**
فـإذا الصـوادح والغصـون وزهـرها	**فـي وحشـة وكـذا الـنهير الجـاري**
وإذا الظـلام يـلف فـي أردائـه	**رضـوى ويغمـر فـي دجـاه مـزاري**
والزهـر لـم يخـرجه مـن أكمامـه	**ظـل الصـباح ولا النسـيم السـاري**
والـنخل يـبكي مصـرع الـنُّوار	**مـاذا دهى الأرواح قـل مـا الجـاري**
والدائـم الـتغريد مـاذا راعـه	**لكـأن لـم يشـدو مـع الأسـحار[١]**

وهكـذا رسـم لـنا الشـاعر صـورة الطـبيعة وهـي تلـبس ثوب الحزن على عبد العزيز .

لقد كان الملك عبد العزيز أباً حنوناً وولي أمرٍ عطوفاً ، وقد ترك بموته غصة في قـلوب اليـتامى والأيامى الذين طالما شملهم بإحسانه وأبوته الحانية ، فكيف كان وقع النبأ عليهم ؟ هذا ما يصوره الشاعر علي حسن غسال إذ يقول :

دهى الأرض رزء فادح الخطب أوحد	**غـداة نـعى الـناعي وعـزَّ التجـلد**
ونـاح اليـتامى والأيـامى وأعولـوا	**وفاضـت عيـون باكيـات وأكـبد**
سرى نعيه في الأرض حتى أقضها	**وطـاف بهـا لـون من الحـزن يكمـد**
فـلم يـبق مـن لـم يحـترق لوفاتـه	**ولـم يـبق من لـم يخترمه الـتوجد[٢]**

إن وقـع المصـيبة كـان شديداً وعظيماً استخفت من هوله العقول وأعجزت الألسـن فمـا تـدري مـاذا تقـول وبماذا تنطق وهذا ما يعبر عنه فؤاد شاكر - في قصيدته التي جاءت مجللة بالحزن والأسى وكأن القارئ لها في مأتم حيث يقول :

جـل أعجـز الـنهى والخطابـا	**واسـتخف العقـول حـين أصـابا**
أيها المسلمون من ذا لـقى الـناعي	**مـن المسـجدين حـين أهابـا**
أيهـا المسـلمون مـاذا دهى الكـون	**فهـبوا ضـحى وشـقوا الـثيابا[٣]**

(١) اليمامة ، العدد الرابع ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .

(٢) البلاد ، العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) وحي الفؤاد ص ٢٥٧ .

ويستمر الشاعر في إطلاق الصرخات التي يعقبها التساؤلات المرة المجلّلة بالحزن والأسى وكأن الشاعر يهذي :

واخفضوا رأسكم من الحزن حتى لكأن النفوس حزناً مذابا

واذرفوا دمعكم فما الدمع إلا ألم النفس إذ يسيل انكبابا

واسألوا كل كائنٍ وجمادٍ أين عبد العزيز ولّى وغابا

اسألوا كل مهجة وشغاف اسألوها فلن تحير جوابا

كيف أقوى منه الندى ومن ذا يرسل الرأي المعيا صوابا

لم ير الناس قبل يومك خطباً اعجز القول والنُّهى والخطابا[1]

ويرسم لنا الشاعر محمد بن أحمد العقيلي صورة ملؤها الأسى والحزن جللت كل الأرجاء في العالم العربي ، من دجلة إلى النيل مروراً ببردى :

أيه عبد العزيز قم وانظر الضاد وقد هب بالمناحات قائم

صعقته من حادث الرزء ما قد شيب الطفل في عقود التمائم

دجلة تستجيش حزناً وبردى مستفيض العيون بالوجد هائم

وعلى النيل وحشة الثاكل المحزون قد هاضه من الخطب داهم[2]

ثم يصف الشاعر حال المسجدين الشريفين المسجد الحرام والمسجد النبوي اللذين جللهما الحزن والأسى ، وقد صورهما الشاعر في صورة من يبكي ، نظراً لما قدم لهما الملك عبد العزيز من عناية ، ورعاية ، وتأمين سبل الوصول إليهما والتوسعة الكبيرة لهما التي بدأت في عهده يرحمه الله .

وبكى المسجدان واستعبر النا س وناحت على المقام الحمائم[3]

---

(١) وحي الفؤاد ص ٢٥٧ .

(٢) ديوانه الأنغام المضيئة ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق .

إنـه خطـب عظيـم يصـم المسـامع ويلجم الأفواه ، ويقصم الظهور خطب الشعوب العربية والإسلامية بل والعالم أجمع ، وإن كان عبد العزيز قد رحل عن هـذه الدنيا فإن أثره باقٍ ، وهو وإن كان مات فإنه في القلوب لم يمت ، وهو وإن كـان في بطـن الأرض فإنـه عـلى ظهرها حيٌّ بأفعاله ومآثره التي لا تموت أبداً ، يقول محمد حسن عواد :

ولكـنه خطـب يصـم مسـامعاً	**ويـلجم أفواهـاً ويقصـم أظهـرا**
كذا فليكن خطب الشعوب التي لها	**مـن الضـاد عـزٌّ فجَّـر الضـاد انهـرا**
وخطب بـني الإسـلام ايـان يمموا	**وجوهـاً وخطـب الشـرق أنّى تبعـثرا**
ومـا فقـدت عـبد العزيـز قلوبـنا	**إذا فقدتــه العــين فــذاً مطهــرا**
تغـير فـوق الأرض موضـع شخصـه	**ولكـنه فـي الـناس لـن يـتغيرا**(١)

لقد تركت وفاة الملك عبد العزيز لوعة وأسى عند كل محبيه وأصحابه ، فهم يتـلظون بهـذا الأسى ، ليس لبعده وفراقه فقط ، بل لهول المصيبة ووقع الخطب أيضــاً ، فالــرزء مضــاعف عــلى عــبد العزيــز الإنســان وعــلى عبد العزيز الملك الذائد عن الحمى . يقول محمد حسن فقي :

إن فـي الأرض ثـلة مـن مـريديه	**شـجاها الأسـى ومـن أصـحابه**
تتـلظى ومالظاهـا مـن الـبين	**ولكـن مـن رزئهـا بمصـابه**
فهـو رزءٌ مضـاعف بمعانيـه	**بمـا يسـتمد مـن أسـبابه**(٢)

إن وفـاة المـلك عـبد العزيـز طيـب الله ثـراه لم تكـن وفـاة حاكم فقط ، أو شـخص عـادي ، إنها وفاة عظيم سجل التاريخ اسمه بأحرف من نور ، عقمت الجزيـرة العربية أن تنجب مثله في القرن العشرين ، لقد بسط ملكه على الجزيرة وقـلوب أبـناء الجزيـرة ، بل تعدى أبناء الجزيرة فملك قلوب العالم أجمع ، أحبه

(١) أم القرى في ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) ديوانه قدر ورجل ص ٣٣٧ .

القريب والبعيد ، فملَّكوه جميعاً . ولعل قصائد الرثاء في الملك عبد العزيز تعبر أصدق تعبير عن مدى تغلغل حب هذا العظيم في قلوب الناس ، فقد جاءت صادقة الإحساس ، تعبر عن مشاعر الحزن والأسى ، واللوعة واللظى ، لفقد ذلك العاهل العظيم ولذلك « لم يحظ زعيم ولا قائد عربي في العصر الحديث بمثل ما حظي به الملك عبد العزيز يرحمه الله من قصائد دُبِّجت ، وقرائح فاضت في رثائه ، فلقد رثاه شعراء عرب في كل قطر بقصائد يعجز كتاب على احتوائها جميعاً »(١) .

تلك نماذج صوّرت بجلاء عمق الأسى وفداحة الخطب ، وأبرزت ما يكنه المواطن السعودي من حب وإخلاص لموحد الجزيرة وباني نهضتها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه(٢) .

---

(١) الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى الدارة جـ٢ ، ١٤١٩ هـ ، ص ٩٣٩ .

(٢) للمزيد انظر مراثي حامد المحضار ، خير الدين الزركلي ، صالح بن سحمان ، ميمية طاهر زمخشري ، عبد الرحمن عثمان ، عبد الله بن إدريس ، عبد الله بن خميس ، عبد الله المبارك ، علي حافظ ، فؤاد الخطيب ، فيصل المبارك ، محمد بن بليهد ، محمد سراج خراز ، محمد بن علي السنوسي ، محمد علي قطب ، محمد هاشم رشيد ، محمود عارف .

الفصل الثالث

قضية الحياة والموت

قضية الحياة والموت

الحياة والموت وما بعد الموت كانت ولا تزال من المحاور الرئيسة في قصيدة الرثاء في الشعر العربي ، على مر العصور فكل من يبكي ميتاً أو يعزي فيه لابد أن يعرض للحياة وأنها زائلة ، وأنها ليست بدار قرار ، وأن الموت نهاية كل حي .

« وأن على الناس أن يفكروا دائماً في هذا المصير الذي ينتظرهم ، وأن يتجهزوا له ويعدوا لزادهم قبل أن تأزف الآزفة ، وتحل الكارثة وهي كارثة واقعة لا مفر منها ولا محيص »[1] .

ولابد لنا من وقفة نستعرض فيها موقف الشعراء من هذه القضية منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث ، إذ أن الشاعر ابن بيئته ، يعبِّر بلسانها ، ويعكس أفكارها ومعتقداتها ، ولذلك فإن الشاعر الجاهلي عندما وقف على قضية الموت والحياة وقف وقفة تأمل وتفكر ، وانتهى إلى حقيقة محتومة وأمر لابد منه طال العمر أم قصر ، ألا وهو أنه لا مفر من الموت ، وأنه واقع لا محالة ولذلك يقول عمرو بن كلثوم :

وإنا سوف تدركنا المنايا ... مقدرة لنا ومقدرينا[2]

وهو بذلك يلخص رأيه ورأي الجاهليين في هذه القضية .

أما طرفة بن العبد فيقول مصوراً حتمية الموت :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخي وثنياه باليد

متى ما يشأ يوماً يقده لحتفه ... ومن يك في حبل المنية ينقد[3]

---

(١) الرثاء ، شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) شرح المعلقات السبع ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ٣٧٤ .

(٣) ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق علي الجندي ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٥٣ .

فالشاعر هنا يشبه الحياة بدابة أرخى لها الحبل لترعى ، فإذا أرادها صاحبها شدَّ إليه الحبل ، فتركت مرعاها الخصيب ، صاغرة لا تملك رفضاً وهو تصوير رائع جميل .

ونتج عن هذه الحتمية الدعوة إلى التهافت على ملذات الدنيا ، والتمتع بما فيها ، قبل الرحيل عنها ، يقول امرئ القيس :

تمتع من الدنيا فإنك فان ... من الشئوان والنساء والحسان

من البيض كالأرام والأدم كالدّمى ... حوامنها والمبرقات روان[1]

وهذا يعكس لنا أيضاً أنهم لا يؤمنون بحياة غير هذه الحياة ، فلا يؤمنون ببعث ولا حساب ، وأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العدم ، وهذا ما ذكره القرآن الكريم في غير ما آية من ذلك قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[2] .

« ولما لم يؤمن الجاهليون بغير هذه الحياة ، وجدوا حلاً واحداً يخلق بكرامة الإنسان ورجولته ، أن يتحدى بقوته المفردة صروف الدهر وأن يبذل كل جهده في استنزاف كل قطرة من الحياة ، قبل أن تنتهي انتهاءها الأبدي »[3] .

لذلك سعى بكل جهده للتمتع بالحياة ولذاتها ، بل وحتى مشاقها وآلامها فهو يعيش صراعاً مع الموت الذي يتهدده في كل لحظة ، صراعاً من أجل البقاء والخوف من الفناء ، فهو يرى لزاماً عليه أن يعيش هذه الحياة بحلوها ومرها وأن يتحمل المشاق في جلد وصبر ، وأن ينفعل بكل نشاط من مناشطها ، وحركتها ،

---

(١) ديوان امرئ القيس ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) سورة التغابن ، الآية ٧ .

(٣) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، د. محمد النويهي ، جـ١ ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ، ص ٤٢٦ .

قبل أن يخمده الموت الأبدي[١] .

وحينما نتأمل شعر أولئك الجاهليين نرى أنه يمثل ذلك الصراع أتم تمثيل ولذلك يصدق عليه أنه شعر هذه الحياة بكل حدودها ، وكل إمكاناتها الفانية فمن وراء هذا الشعر يكمن إحساسهم بالزمن ومأساة انقضائه إحساساً قوياً بليغ المرارة . ومن الأبيات التي تصور تلك النظرة أصدق تصوير قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا اللائمي احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي[٢]

ثم ذكر الشاعر الثلاث التي هي سر الحياة في نظره وهي شرب الخمر ، والإسراع على ظهر حصانه الذكي لإغاثة المستغيث به من عدوه والإستمتاع بالمرأة الحسن الخلق السمينة الناعمة في قوله :

فمنهن سبقي العاذلات بشربة كميتي متى ما تعل بالماء تزبدِ
وكري إذا نادى المضاف فجنَّباً كسيد الغضا نبَّهته المتوردِ
وتقصير يوم الدجن والدجن معجبٌ ببهكنة تحت الخباء المعمَّدِ[٣]

وحينما جاء الإسلام رسم صورة واضحة لهذه الحقيقة ، ففناء الدنيا أمر لا محالة واقع ، ومن ثم وجب على الإنسان ألا يغتر بزخرفها وزينتها ، وأن يعمل لذلك اليوم الذي تعرض فيه الأعمال على الخالق عز وجل ، فمن عمل صالحاً فنعم أجر الصالحين ، ومن عمل سوءاً فجزاؤه من جنس عمله ، يقول عز وجل : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ

(١) المصدر السابق .

(٢) ديوان طرفة بن العبد ، ص ٥٣ .

(٣) المصدر السابق .

فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[1] .

فقد أوضح الحق سبحانه وتعالى في الآية السابقة أن الدنيا زائلة ، وأن هناك بعثاً وحساباً ، وجنةً وناراً ، وأن هذه الدنيا متاع الغرور ، يغتر بها الغافلون عن مصيرهم المؤلم .

وبين سبحانه وتعالى أن الموت نهاية كل حي ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ ﴾[3] .

فقرار الحق سبحانه وتعالى حتمية الموت ، وبالإضافة إلى ذلك فقد قرر سبحانه وتعالى أن هناك حياة أخرى يكتب فيها الخلود في أحد الدارين ، إما الجنة وإما النار ، وبين سبحانه الطريق المؤدي إلى كل دار منهما ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾[4] .

ولذلك أحس الإنسان المسلم بالطمأنينة إزاء هاتين الحقيقتين: حقيقة الموت، وحقيقة البعث والمصير ، مسلماً بقضاء الله وقدره ، وتحلى بالصبر امتثالاً لقوله

---

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٥٧) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٧٨) .

(٤) سورة النازعات ، الآيات (٣٧ - ٤١) .

تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[1] .

وبهـذه القيـم السـامية الـتي جاء بها القرآن الكريم نجد الإسلام قضى على أفكار جاهلية كثيرة ، بكل ما طُوي فيها من كهانة وأساطير وخرافات ، وبذلك ارتقـى عقـل الإنسان وأخذ يفكر ويمعن النظر في هذا الكون من حوله ، وعرف بعد تأمل أنه لم يخلق عبثاً ، وأن الواحد الحي هو الذي أحكم نظام هذا الكون ، وعـرف أنـه سـيعرض على الله حتماً يوم القيامة ، وأن خلود الإنسان في الدنيا مستحيل ، وإنما الخلود في الآخرة ، إما في الجنة ، وإما في النار ، حيث يجزى كل إنسان بما قدمت يداه .

ولذلـك نجـد الشـعراء المسـلمين في رثـائهم ينطـلقون من هذا المنهج الذي رسمه القرآن الكريم .

تقول صفية بنت عبد المطلب في رثاء النبي ﷺ[2] :

فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

وفي العصـر العباسي وبعد اختلاط العرب بالأمم الأخرى ، والإطلاع على ما عندهم من حكم وآراء فلسفية ، أخذت الآراء تتشعب وتتفرع .

وأول من بسط الحديث في الموت والحياة من الشعراء هو أبو العتاهية ، وقد سـلك في ذلـك مسـلك الوعـظ الإرشـاد والتنفير من الحياة ، والاستعداد ليوم

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٥٥ - ١٥٧) .

(٢) الدر المنثور ، ص ٢٦٢ .

الرحيل ، وعدم الاغترار بملذات الدنيا[1] .

ثم جاء بعد ذلك أبو الطيب المتنبي ، فلوّن شعره بألوان فلسفية فيما يتعلق بالحياة والموت ، متأثراً في ذلك بما قرأه من كتب الفلسفة ، وما شاع عند العرب من حكم تتصل بالدهر ، وما يرمي به الإنسان من سهام الزمن ، يقول في مرثية يعزي بها عضد الدولة بن بويه ، وقد ماتت عمته[2] :

نحن بنو الموت فما بالنا ... نعاف ما لابد من شربه

وتبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمان هي من كسبه

فهذه الأرواح من جوده ... وهذه الأجسام من تربه

لو فكر العاشق في منتهى ... حسن الذي يسبه لم يسبه

لم ير قرن الشمس في شرقه ... فشكت الأنفس في غربه

يموت راعي الجهل في جهله ... موتة جالنيوس في طبه

وربما زاد على عمره ... وزاد في الأمن على سربه[3]

ثم يأتي بعده أبو العلاء متأثراً بعاهته وفقده بصره ، وبما قرأ في كتب الفلاسفة من التشاؤم والزهد في الدنيا ، وما قرأه عند المتنبي من سخط على الحياة وذم شنيع لها[4] :

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شادي

وشبيه صوت النعي إذا قيـ ... ـس بصوت البشير في كل نادي

أبكت تكلم الحمامة أم غنـ ... ـت على فرع غصنها المياد

صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ... ـب فأين القبور من عهد عاد

---

(١) انظر الرثاء ، شوقي ضيف ، ص ١٠٠ بتصرف .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٣) شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوني ، جـ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٤) انظر : الرثاء ، شوقي ضيف ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، ص ١٠٠ بتصرف .

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد[1]

ونلحظ في الأبيات السابقة التشاؤم والاضطراب النفسي ، والشك في الخير والشر ، وحينما اطمأنت نفسه بعض الاطمئنان ، وهدأت ثورته ، أخذ يتحدث عن بقاء الإنسان بعد الموت فقرر له الخلود ، وبين أن الدنيا دار ممر ، والموت انتقال من دار ، إلى دار وفي ذلك يقول :

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما لٍ إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الـ جسم فيها والعيش مثل السهاد[2]

والإنسان يرتاح في نومه ويتعب في سهده ، ولذلك شبه في البيت الأخير الحياة باليقظة ، والموت بالنوم ، وكأنه يفضل الموت على الحياة ، وقد اعتبر طه حسين أن دالية أبي العلاء المعري التي رثى بها الفقيه الحنفي من أجود ما قيل في الشعر العربي الرثائي ، يقول طه حسين : « يعتقد أن العرب لم ينظموا في جاهليتهم ولا إسلامهم ، ولا في بداوتهم ولا حضارتهم ، قصيدةً تبلغ مبلغ هذه القصيدة في حسن الرثاء »[3] .

وقد سلك الشعراء مسلك أبي العتاهية والمتنبي وأبي العلاء في كثير من قصائد الرثاء ، يقول شوقي ضيف : « وهذه الأفكار والمعاني الدائرة حول الحياة والموت والخلود ، التي تناولها أبو العتاهية والمتنبي وأبو العلاء ، تعلق بها شعراء الرثاء في الأقطار الإسلامية المختلفة ، فأينما وليت وجهك رأيت أسراباً منها في رثاء الشعراء ، إذ أعجبوا بها إعجاباً لا حد له ، فذهبوا يطوفون حولها ، ويتشبثون بها ، ويستوردون في أشعارهم منها ، وخاصة من المتنبي وأبي العلاء ،

---

(١) المصدر السابق ص ٩٧١ .
(٢) شرح سقط الزند ، جـ٣ ص ٩٧١ .
(٣) تجديد ذكر أبي العلاء ، دار المعارف بمصر ، ص ٢١٣ .

فقد يممت لهما وجوه الشعراء على مر العصور ، وأصبحا المورد الذي لا ينفد ، والكنز الذي لا يفنى »[1] .

وقد أفاد الشعراء السعوديون من أولئك الشعراء الثلاثة ، بل وتأثروا بهم مثل غيرهم من شعراء الأقطار العربية في العصر الحديث ، إلا أن شعراء المملكة العربية السعودية ينطلقون في رثائهم من المنهج الإسلامي الذي رسمه القرآن الكريم ، فلا تشاؤم ولا تسخط ، وإنما تسليم بقضاء الله وقدره ، وإيمان بأن الموت حقيقة ، وأن هناك دار أخرى ينتقل إليها الإنسان بعد الموت ، فإما جنة أو نار ، وينبغي للإنسان المسلم أن يستعد ويعمل الأعمال الصالحة .

وحينما نقول بمبدأ التأثر فإن ذلك ظاهر من خلال الحكم التي أوردها الشعراء السعوديون في رثائهم ، وفلسفة بعضهم للحياة والموت ، ولكن ذلك ضمن الإطار الذي رسمه القرآن الكريم .

ولعل أهم ما يميز الشعراء السعوديين عن غيرهم من الشعراء هو صفاء العقيدة ووضوح المنهج ، فلم يدخل شعرهم شيء من البدع والخرافات ، ولم يشبه ما يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة ، نعم هناك شيء من المبالغة ، ولكن ذلك يجسد الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر مما لا يخرجه إلى دائرة الزلل والخطأ ، التي تعتري كثيراً من الشعراء في رثائهم عبر العصور .

ومن خلال استعراض نصوص الشعراء الذين رثوا الملك عبد العزيز - يرحمه الله - نلحظ إيمان الشعراء السعوديين بثلاث قضايا رئيسية دار حولها حديثهم في قضية الحياة الموت ، وهي : حتمية الموت ، وحتمية البعث والجزاء ، وأن المبادئ العظيمة لا تموت بموت أصحابها وذكر الإنسان حياة له وإن غيبه الموت .

(١) انظر : الرثاء ، شوقي ضيف ، ص ١٠٥ .

ولقد أكد الشعراء السعوديون الذين رثوا الملك عبد العزيز على حتمية الموت ، وأن كل حي مصيره إلى الزوال كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1] ، هذه الحقيقة الإيمانية تمثلها أولئك الشعراء في رثائهم للملك عبد العزيز .

يقول عبد الله بن خميس :

لولا اليقين بأن كلاً راحل	**وإلى سبيل واحد يغدونا**
والمصطفى للناس أكبر قدوة	**يهدي بها الماضون والباقونا**
لأبي الأولى عرفوا الحياة سعيدة	**لم تمتزج بالحادثات سنينا**
إن يشهدوا عبد العزيز وقد قضى	**ولأقسموا ألا يموت يمينا**[2]

فالشاعر يقرر أن الموت حقيقة ، وكل على يقين تام بأن الموت سبيل كل حي ، وهو طريق سار فيه حتى الأنبياء ، فهذا المصطفى ﷺ أكبر قدوة ولو كان الخلود في الدنيا لشخص لكان أولى به .

ولولا ذلك اليقين ، وتلك الأسوة ، لآبى الذين عاشوا في رخاء وسعادة في ظل الملك عبد العزيز أن يشهدوه وقد مات ، ولأقسموا أنه لا يموت ، ونلحظ أن الشاعر استخدم أسلوب القسم لتأكيد هذه الحقيقة .

وهذا محمود عارف يقول : إن الموت حق لازم ليس منه مهرب ولا مفر :

يا من قضى والموت حق لازم	**نفديك في المحيا وبعد المصرع**[3]

أما محمد بن بلهيد في تقريره لحتمية الموت فإنه يصور المنية ، وقد هجمت على الملك عبد العزيز في صورة حيوان ضخم شرس طويل اليدين جثا على

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية (٥٧) .

(٢) البلاد ، العدد ، ١٤٠٠ ، في ٥ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) البلاد ، العدد ١٤٠٣ ، ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

فريسته ، ولف ذراعين من حولها تيهاً وتفاخراً أن تمكن من القضاء على هذا الفارس الذي دان له الزمان :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها ... ما ألقت الحرب والأحداث في فيها
حتى تخطف أعلام البلاد على ... رغم النفوس التي ظلت تفديها
أرى المنايا بضخم من كلاكلها ... ومستطيل عنيف من أياديها
جثت وعضت على قطب الزمان وقد ... لفت ذراعين منها حوله فيها
أن حطمت صارماً دان الزمان له ... وخافه في الدنا القاصي ودانيها[1]

وقد وقف الشعراء السعوديون الذين رثوا الملك عبد العزيز من حقيقة الموت موقف المسلم بقضاء الله وقدره ، وهذا شاعر الملك أحمد الغزوي يقف أما هذا الحدث المؤلم موقف المسلم بقضاء الله وقدره فيقول :

آه آه لله ما قضى وإليه ... يرجع الأمر كله والمئاب[2]

والإيمان بقضاء الله وقدره يستدعي الصبر والاحتساب ، فالشاعر عبد الرحمن عثمان يوضح أن الصدمة كانت قوية ، ولكن الإنسان المؤمن بقضاء الله وقدره يصبر عند نزول المصيبة ، يقول :

لكننا للصبر ثبنا ... إذ تأملنا سريره[3]

أما الشيخ محمد بن بليهد فيبين أجر الصابرين الذين سلموا بقضاء الله وقدره ، وصبروا عند نزول المصيبة ، وكأنه يتمثل قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[4] .

---

(١) ديوان ابتسامات الأيام ، ط ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٤٣٤ .

(٢) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، جمع وتحقيق د/ حسن العفوي ، جـ٢ ، ط ١٤٠٦ هـ ، ص ١٢٧٥ .

(٣) المنهل جـ ٣ ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٣ .

(٤) سورة البقرة ، الآيات (١٥٥ - ١٥٧) .

يقول ابن بليهد :

والموت أمر قضاه الله خالقنا	**على البرية قاصيها ودانيها**
نرضى به مثل ما رضي الإله لنا	**وأجر صبر الثكالي عند باريها**[1]

وهنا نلاحظ الإيمان المطلق بما قضاه الله ، ثم الرضى بذلك والصبر عليه ، وهذا من كمال الإيمان ، وأجره عند الله عظيم[2] .

وحينما نسلم بحتمية الموت وأن الحياة زائلة ، وأنه مهما عاش المرء في الدنيا فإنه راحل يتأكد لنا بوضوح ظلال الدنيا وغرورها ، وأنها كما وصفها الحق سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[3] .

يقول فؤاد الخطيب :

تلك الحياة وللآثار دولتها	**فما تدول ولا الأعمار تخترم**
وأين أخلق من عبد العزيز بها	**وأين منه ومنها الموت والعدم**[4]

فالحياة كما رآها الشاعر لا تثبت على حال ، فهي تتقلب ، وهذا مسارها الذي لا يتغير ولا يتبدل ، والأعمار لا تستأصل ، وإنما تنتهي نهايتها التي قدرها المولى عز وجل ، فهي سنة من سنن الله الخالدة .

ولو كانت تتغير لكان عبد العزيز - في هذا العصر - أحق وأجدر بالحياة من غيره .

ويأتي الشاعر محمد حسن فقي بأسلوب راق وتصوير رائع ، فيشبه الحياة بالماء ، والملك عبد العزيز بالنبع ، ويطلق صرخة تهكم على هذه الحياة التي

---

(١) ديوان ابتسامات الأيام ، ط١ ، ١٤٠٥ / ١٩٨٥ م ، ص ٤٣٤ .

(٢) المزيد من الشواهد ، انظر

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٥٧) .

(٤) ديوان الخطيب ، ط١ ، دار المعارف بمصر ، ص ٣٠٨ ، ٣١٦ .

تروي ببقائها ، وتظمئ بانقطاعها :

ويح هذي الحياة تروي من النـ	**ـبع وتظمئ ببعدة واقترابه**
أيها النبع صافياً سلسبيلاً	**كان يروي العطاش عذب شرابه**
كيف جف النمير منه وكنا	**يوم أمس نرى غزيز عبابه[١]**

وكما آمن الشعراء السعوديون الذين رثوا الملك عبد العزيز بحتمية الموت ، وسلموا بقضاء الله وقدره ، وصبروا واحتسبوا ، فقد آمنوا أيضاً بحقيقة البعث ، وأن الناس بعد الموت ينتقلون إلى الدار الآخرة ، وهناك الجزاء والحساب ، فإما الجنة وإما النار ، يقول تعالى مبيناً حقيقة البعث : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[٢] .

ويقول سبحانه وتعالى مبيناً المصير ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾

وهذا فؤاد الخطيب يقرر هذه الحقيقة فيقول :

وإنما اللحد باب نحن ندخله	**وإن ما خلف ذاك الباب يغتنم**
والدار إن هان منها الباب متضعاً	**فما تهون لها الأقدار والقيم**
والروح باقية ليست بفانية	**والجسم كالثوب يبلى نسجه القدم[٤]**

---

(١) ديوان قدر ورجل ، ص ٣٣١ .

(٢) سورة الحج ، الآيات (٦ ، ٧) .

(٣) سورة الواقعة، الآيات: (٨٨ : ٩٤)

(٤) ديوان الخطيب ، ط١ ، ص ٣١٢ .

فالموت نقلة من حياة فانية إلى حياة باقية ، وهي الدار الآخرة ، والشاعر هنا يشبه اللحد بالباب الذي من خلاله يتم الولوج إلى الدار الآخرة .

ثـم يبين حقيقة إيمانية ، وهي عدم فناء الروح حتى وإن بلي الجسد وتحلل ، وفي الحديث : « إن أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق بشجر الجنة »[1] .

وفي نفس معنى البيت الأخير ، يقول الشاعر محمد حسن فقي[2] :

إن للجسـم أن يـزول وقـد زال وللروح خـالد الذكـر نابـه[3]

ومصـير المؤمـن الجنة ، أما الكافر فمصيره النار ، إن هذه حقيقة إيمانية آمن بهـا الشـعراء السـعوديون ، ووصـفوها في رثـائم للملك عبد العزيز ، وفي هذا المجال حرصوا على ذكر أجر الملك عبد العزيز نظير ما قدم في سبيل إعلاء كلمة الـتوحيد ، وما بذله لشعبه وأمته ، وتصوروا ما يمكن أن يعده المولى عز وجل له مـن أجر ومثوبة ، كذلك حرصوا على الدعاء له بالرحمة والمغفرة وحسن المآل ، يقول علي حافظ :

حصن العروبة والإسلام من فخرت بـه العوالـم مـن عـرب ومـن عجـم

عـليه مـن سحب الـرحمن هاطـلة بـالعفو والفضـل والغفـران كـالديم[4]

والعـبد المؤمـن الذي جاهد لإعلاء راية الإسلام ونصر دين الله في الأرض قد وعده الله سبحانه وتعالى بالفوز بالجنة : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[5] .

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المجلد الثاني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط (٢) ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٢٩ .

(٢) انظر ديوان : قدر ورجل ، ص ٣٣٧ .

(٣) المـزيد ، انظـر : مراثي صالح بن سحمان ، محمد بن أحمد العقيلي ، محمد السنوسي ، فؤاد شاكر ، فؤاد الخطيب .

(٤) أم القرى ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٥) سورة يونس ، الآية (٢٦) .

ويقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1] . ومن هذا المنطلق يقول الشاعر حامد الحضار :

أجاب إلى الفردوس حيث مقامه ... كريم وحيث العيش ثمَّ رغيد[2]

وهذا فؤاد شاكر يقول أيضاً :

فارقد اليوم في ظلال من الخلد ... وفيما صنعت واسعد مآبا[3]

فالشاعر هنا يتصور ما أعده الله سبحانه لعبده عبد العزيز . الذي جاهد في سبيل الله جهاد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، فتوحدت الجزيرة تحت لواء التوحيد الخالص وأصبحت الشريعة هي الفيصل في كل شأن من شؤون الناس فكان عبد العزيز مثال المؤمن المجاهد الذي امتثل أمر الله قولاً وعملاً . والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر المحسنين .

والموت ليس انتهاء الأجل ، ومفارقة الروح للجسد ، كما أن الحياة ليست أن يعمر الإنسان فقط .

فقد يكون الإنسان حياً بين الناس لا ذكر له يقول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء[4]

وقد يكون ميتاً قد فارقت روحه جسده لكنه حيٌّ بذكره الطيب وإنجازاته العظيمة يقول أبو العتاهية :

عمر الفتى ذكره لا طول مدته ... وموته خزيه لا يومه الداني

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية (٦٩) .

(٢) أم القرى ، العدد ١٤٩٥ ، الجمعة ١٩ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) ديوان حجي الفؤاد ، ط٣ ، ص ٢٥٨ .

(٤) البيت لعدي بن الرقا علاء ، انظر الشوارد ، عبد الله بن خميس جـ(١) ، دار اليمامة ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م ، ص ٣٨ .

فأحي ذكرك بالإحسان تصنعه   يكن لنفسك في الدنيا حياتان[1]

ولقد أدرك الشعراء السعوديون هذه الحقيقة في رثائهم للملك عبد العزيز وأبرزوها ، يقول محمد حسن فقي :

ليس طول الحياة أن عمَّر المرء   سنيناً ونال من آرابه
إن طول الحياة أن يخصب العمر   فيجني الأنام من إخصابه[2]

فالشاعر هنا يبين أن طول الحياة ليس في عدد السنين ، بل طول الحياة أن يزين العمر ويخصب بالأعمال الجليلة ، التي لا تموت بموت صاحبها حيث ستبقى تلك الأعمال خالدة بين الناس .

والملك عبد العزيز وإن فارق هذه الحياة بجسده ، فهو لا يزال حياً بأعماله الخالدة ، ومنجزاته التي تفرد بها ، يقول محمد سراج خراز :

أيها الراحل العزيز علينا   أنت فينا وإن نأيت قريب
خالد أنت رغم موتك في النا   س بآثارك التي لا تغيب[3]

ولابد لنا من وقفة نكشف من خلالها عن نظرة الشاعر السعودي للحياة من خلال قصيدة رثاء الملك عبد العزيز .

لقد انطلق الشعراء السعوديون الذين رثوا للملك عبد العزيز في نظرتهم للحياة من طبيعة التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة[4] .

فإذا كانت الحياة عند الجاهلي صراعاً من أجل البقاء ، فإن هذا الموقف يتبدل عند الشاعر السعودي ، باعتباره مسلماً فهو يرى بأنه مستخلف في الأرض ويتحتم عليه أن يعمرها ، فيتحول الصراع الذي عرفه الجاهلي إلى

---

(١) ديوان قدر ورجل ، ص ٣٣٧ .

(٢) أم القرى ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) أم القرى ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) انظر منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط٦ ، ص ٩٧ - ١٠٩ .

جهاد من أجل تحقيق معنى الاستخلاف في الأرض عند المسلم .

والاستخلاف يكون بأمرين **الأول** : عبادة الله تعالى وحده لا شريك له **والثاني** : عمارة الأرض .

وها هو الشاعر عبد الله بن إدريس يصور لنا كيف كانت حياة الملك عبد العزيز يرحمه الله فيقول :

يا رافع الدين الحنيف على السهى ... والجاعل الوحي الشريف شعارا
قد كنت لعرب الكرام أمينهم ... ولدين ربك حارساً ومنارا
مشت العروبة في جيوشك مصلحاً ... بل فاتحاً وممصراً أمصارا
مشت الجحافل والفيالق حفلاً ... تحمي الديار وتعمر الأقطارا
حتى استتب لك الولاء مظفراً ... وبنيت شعباً واعياً جبارا(١)

فقد كانت حياته يرحمه الله حياة المجاهد المصلح الذي أخلص في جهاده لله فأظفره الله وحقق على يديه الخير والنماء .

والشاعر السعودي في نظرته للحياة ، يرسم صورة لما يجب أن يكون عليه المسلم في هذه الحياة ، وما يتحتم عليه فعله ، ويضرب مثلاً لذلك بشخص الملك عبد العزيز يرحمه الله الذي سخر نفسه لعبادة الله وجاهد من أجل عمارة الأرض ، فكان أنموذجاً للمسلم الحق .

يقول طاهر زمخشري في الجانب الأول وهو تحقيق عبادة الله تعالى :

نعم كان مضَّاءً يبارك خطوه ... تقىً وصلاح أسهراه اللياليا
إذا الليل أضواه ولف جناحه ... عليه تولى نحو مولاه داعيا
ويسأله العقبى وحسن ثوابها ... وعيناه تستهمي الدموع الهواميا
فيبكي ويبكي في الحنايا يقينه ... فلما قضى أبكى القلوب لدواميا ٢

(١) ديوان فى زورقى ، ص ١١٧

(٢) مجلة المنهل جـ ١٣٧٣هـ

وهكـذا فقد كان سلوك الملك عبد العزيز سلوك الإنسان المؤمن الذي حقق معـنى وجـوده في هـذه الحيـاة ، فلم تشغله الدنيا عن عبادة مولاه ، ممتثلاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

وإذا كـانت عـبادة الله هـي المعـنى الأسمى وغاية وجود الإنسان على ظهر الأرض فـإن هـناك معـنى آخر من معاني الوجود ، وغاية سامية أخرى لا تقوم حياة الإنسان إلا بها ، ألا وهي عمارة الأرض ، ولذلك سعي الملك عبد العزيز مـن أجل تحقيق هذه الغاية ، وناظل وجاهد سنيناً طوالاً فكان له ما أراد ، يقول خير الدين الزركلي :

عـرشٌ بـناه عـلى النضـال عمـاده ... ودعامـــه الإيمـــان والتســـديد
مـا نـام عـنه مؤسسـاً ومـنظماً ... ســتين حــولاً يبتــني ويشــيد

فحياتـه يـرحمه الله كـانت كـلها عمـل دائب وجهاد مستمر فكانت إنجازاته أعظـم وأطـول عمـراً مـن عمـره فلئن طواه الردى فلا تزال أعماله خالدة باقية تتجدد في كل جيل .

دهـر مـن الـتاريخ فـي عمـر امرئ ... قصـرت حيـاة الدهـر وهـو مديـد
تتـــناقل الدنيـــا حديـــثاً بعـــده ... تـــتقادم الأجيـــال وهـــو جديـــد[2]

وبذلـك ضـرب الملك عبد العزيز أروع الأمثلة في تحقيق معنى الاستخلاف في الأرض ، وحقق معنى العبادة الأشمل ، فعبادته عمل ، وعمله عبادة ، فكان مـن الذيـن آمـنوا وعمـلوا الصـالحات « والعمـل الصـالح كـل عمل يتوجه به الإنسـان إلى الله مـن عـبادة وزرع وصـناعة وعمـارة واسـتخراج لكـنوز الـبر والبحر »[3] .

• • • •

(١) سورة الذاريات ، الآية (٥٦) .

(٢) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، ص ٣٩ .

وحينما نبحث عن العمق الفلسفي في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز نجد أنه يكاد يكون معدوماً باستثناء ما نجده عند محمد حسن فقي ، وبعض ومضات عند محمد هاشم رشيد إذ يغلب على تجارب الشعراء السعوديين في تناولهم لقضية الحياة الموت الجانب الوعظي الذي يهدف لأخذ العبرة .

من ذلك قول صالح بن سحمان :

ما هذه الدار إلا للفنا خلقت	**ما هذه الدار إلا دار مضمار**
ونحن في غفلة عما يراد بنا	**كأننا غنم في بيت جزار**
نلهو ونلعب في دار الغرور وما	**في القلب من واعظ ناه بإنذار**
فخذ لنفسك زاداً للرحيل إلى	**دار البقاء ولا ترحل بأوزار**(١)

ويأتي محمد حسن عواد برؤية خاصة للحياة لكنها لم تخرج عن إطار أخذ العبرة فيقول :

فهل يدرك الفانون أن حياتهم	**تجارب تجتاز الممر المكررا**
وإن لها فيها مجالاً ممهداً	**تمارس فيه المسترد المخيرا**
فإما جهادٍ تستزيد فمرحباً	**وإما خمولاً تستبيح ومخسراً**(٢)

ولعل غلبة الناحية الوعظية في تناول الشاعر السعودي لهذه القضية راجع إلى أن أغلب الشعراء الذين رثوا الملك عبد العزيز هم من المحافظين التقليديين(٣) الذين يسيرون على منوال الشعراء القدامى ، فيكررون ما كرره أولئك من معاني تتصل بالحياة الموت وبالتالي فلم يكن للشاعر المحافظ أو التقليدي نظرة خاصة في قضية الحياة والموت بل في معظم معاني الرثاء .

---

(١) انظر : قلائد الجُمان في سيرة آل سحمان لابن سعيد ، مطابع نجد بالرياض ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) أم القرى ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربيةالسعودية ، عبد الله الحامد ص ٢٢٦ .

وكثير من أولئك الشعراء لجأوا إلى قصائد مشهورة فعارضوها [1] وهذه المعارضة تجعل القصيدة نسخة مكررة من غيرها باستثناء تغيير بعض المعاني وشخصية المتوفى .

ومن القصائد التي نستطيع أن نقول أن فيها عمقاً فلسفياً ، قصيدة محمد حسن فقي (مصرع ورجل) ولعل العنوان الذي عنون به الشاعر قصيدته في رثاء الملك عبد العزيز ، ينطوي على مضمون فلسفي فيه من العمق مايجعل القارىء يقف عنده طويلاً ، وحينما تقف على القصيدة تلمس ذلك العمق الفلسفي في كل بيت من أبياتها [2] .

وقد جاءت فلسفته مصحوبة بالحكمة من ذلك قوله :

والحسيب الحسيب في هذه الدنيا … الذي يستضاء من أحسابه

رب ذي نسبة إلى المجد يخفيها … فيفشي الزمان سر انتسابه [3]

ونلمس في قصيدة محمد هشام رشيد عمقاً لكنه ليس ذاك العمق الفلسفي الذي نجده عند محمد حسن فقي ، ومع أن عاطفته واضحة فإن العمق والدقة والوعي واليقظة من أهم مقوماتها [4] .

انظر إليه وهو يقول :

ورنا العالم المروع للكوكب … يهفو في لجة اللألاء

يتهادى شعاعه بجلال … عبقري يرف ملء الجواء

ثم يقول :

فلتنم في رفارف الخلد والأمن … قريراً مظللاً بالرضاء

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر ص ٧٩ .

(٣) انظر : ديوان قدر ورجل ص ٣٣٨ .

(٤) دراسات في الأدب السعودي ص ١١٢ .

فـلقد عـدت للسـنوات روحـاً	**جنحـتها مفاخـر الشـهداء**
ومـثالاً حيـاً يعيـش عـلى الأزمـان	**رمـز الـبطولة الشـماء**
عـاد ياللأسـى إلى المنـبع الأول	**للـنور فـي رحـاب السـماء**
عـاد فلـتعول القـلوب عـليه	**فمصـاب الـبلاد فـوق العـزاء**(١)

وتلاحـظ في نـص محمـد هاشـم رشيد تلون الكلمات بألوان ترتبط إرتباطاً نفسياً بالموقف مع شيء من العمق الفلسفي لكنه لا يكاد يصل إلى ما قدمه نص محمـد حسـن فقي الذي حاول أن يجعل من موت القائد المؤسس قضية كونية في صورة فلسفية أخاذة(٢) .

(١) اليمامة ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .

(٢) انظر : ديوان قدر ورجل ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .

الفصل الرابع

منجزات الملك عبد العزيز

* تحقيق وحدة الدولة والمعتقد .

* تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة العدل .

* تحقيق الأمن .

* تحقيق التنمية الشاملة .

* السعي لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية .

منجزات الملك عبد العزيز

حينما يحاول الدارس التحدث عن منجزات الملك عبد العزيز وحصرها فإنه لابد أن يقر بعجزه عن رصد كل تلك المنجزات العظيمة ، إذ لابد له من وقت وجهد للوقوف على المصادر والمراجع ، التي تناولت تاريخ المملكة العربية السعودية في طورها الثالث : « لذلك تجد مهمة الدارس في هذا الشأن مهمة صعبة فيما يخص محاولة الإحاطة بتلك المنجزات ، أو بإعطاء بعضها حقها من الدرس والتحليل »[1] .

لقد أقام الملك عبد العزيز أرقى مشروع حضاري عرفته الجزيرة العربية مرتكزاً على دعائم قوية من عقيدة صافية ، ونظام حكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولم يكن ذلك النظام شعاراً فقط بل تمثل ديناً وسلوكاً ، وكان ذلك منطلقاً لتحقيق وحدة الدين والدولة ، حتى أصبحت المملكة العربية السعودية مضرب المثل في ذلك النظام الذي جمع بين الانتماء العقدي ، وقوة السلطة ، وما تحقق على أثرها من رقي وتقدم ، وأخذ بكل أسباب المدنية والتطور . أضف إلى ذلك الأمن الذي كان حلماً طالما راود أبناء الجزيرة العربية بعد عقود من التخلف ، والضعف ، والخوف ، وسيطرة القوي على الضعيف ، وسيادة شريعة الغاب « فقد قامت ركائز الحكم السعودي ومنطلقاته منذ محمد ابن سعود على المعرفة الشرعية ديناً وسلوكاً ، وتوسيعاً للنظرة إلى الحياة . هذا ما أكده نظام الحكم في المملكة السعودية ، وهذا ما قامت عليه الدولة منذ جذورها الأولى التي جمعت بين السلطة الإدارية والدعوة إلى الله ، فاجتمع لها

---

(١) الملك عبد العزيز في مرآة الشعر ، عبد القدوس الأنصاري ، تقديم د/ محمد مرسي الحارثي ، ص ٧ .

قوة الانتماء العقدي وقوة السلطان »[1] .

رفع الملك عبد العزيز شعار التوحيد ، وانطلق ليوحد الجزيرة العربية تحت راية التوحيد ، (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعانى في ذلك الشيء الكثير وخصوصاً إذا علمنا أن الجزيرة العربية كانت مقسمة ، يسودها الفقر والجهل وتنتشر فيها البدع ، والخرافات ، ويحكمها نظام قائم على تسلط القوي على الضعيف . بالإضافة إلى تضاريسها المناخية ، ما بين صحارى مترامية الأطراف وجبال وعرة المسالك . أضف إلى ذلك قلة الموارد التي اعتمد عليها المؤسس في هذا التوحيد العظيم ، ولكن عزيمة القائد ، وإيمانه القوي بربه ، ويقينه بنصره له ، جعله يتخطى كافة الصعاب ويتحقق له ما أراد . يقول الدكتور / عبد الله ابن عبد المحسن التركي : « وحينما ينظر المرء إلى إنجازات الملك عبد العزيز آل سعود ينبغي أن يتذكر على الفور أن هذه الانجازات لم تتحقق بالنصر في معركة ، أو بضربة حظ ، أو بمساعدة أجنبي ، ولكنها تحققت بفضل الله ثم بجهد موصول ، وجهاد قائم دائم لعشرات السنين ، جهاد في ساحة قتال ، وجهاد بكلمة حق وصدق تقال ، وجهاد أكبر وأعظم وأشق في الاحتمال وهو جهاد ضد الجهل والتخلف ، والأهواء ، والأغراض ، والعقبات ، التي كانت تواجه الملك في كثير من الأحيان من العدو والصديق على السواء »[2] .

وبعد ما تحققت وحدة الدين والدولة ، سعى الملك عبد العزيز إلى الأخذ بأسباب التقدم والرقي ، واستطاع في زمن قياسي أن يقضي على الثالوث الخطير الذي يهدد حياة الأمم وهو (الجهل والفقر والمرض) .

وأهم من ذلك استطاع أن يحقق الأمن ، الذي هو ثمرة العدل المستمد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، بعد ذلك شخص الملك عبد العزيز ببصره إلى العالم

(١) الغزاوي يرصد المنجزات السعودية شعراً د. محمد مرسي الحارثي ، ص ٤ .

(٢) الملك عبد العزيز ، أمة في رجل ، ص ٨٦ .

من حوله ، فرأى تشرذم المسلمين وتفرقهم ، وضعفهم ، فرأى لزاماً عليه أن يسعى إلى وحدة العرب والمسلمين ، نظراً لمكانته الدينية ، حيث أن بلاده قبلة المسلمين ، وبها أنزلت آخر الرسالات السماوية « لذلك كان الاهتمام الإسلامي الأمثل ، والأكبر ، وهو جمع كلمة المسلمين ، واتحادهم في مواجهة التحديات ، التي تعوق حركتهم عن الوصول إلى أهداف الأمة ، وغاياتها وقضاياهم المصيرية »[١] .

إنها فترة قصيرة لا تتجاوز الخمسين عاماً ، استطاع فيها الملك عبد العزيز أن يغير ملامح الجزيرة العربية ، وأن يرسم خريطتها من جديد ، ويجعلها تنصهر في بوتقة واحدة ، تحت شعار واحد ، في دولة واحدة ، قوية متماسكة ، تأخذ بأسباب الرقي والتقدم ، حتى أصبحت دولة عصرية ، لها وزنها ، وفاعليتها في المحافل الدولية إذن فلا غرو أن يتغنى الشعراء بهذه الانجازات العظيمة ، وأن يطرزوا بها قصائدهم ، وهذا ما نجده في شعر الشعراء السعوديين الذين رثو الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، فقد رصدوا تلك المنجزات شعراً ، أجملها دون الدخول في تفاصيلها ، لأن طبيعة الشعر تقتضي ذلك الإجمال ، والشعر كما يقول الشيخ عبد الله بن إدريس: «يشبه الخلاصات الغذائية المركزة [فيتامينات] حيث يوفي البيت والبيتان ، أو الأبيات القليلة ، من المعاني الجزلة الوافية ، والصورة البديعية ، بما لا يوفي المقال الضافي »[٢] .

وقد رصد الشعراء السعوديون تلك المنجزات التي حققها الملك عبد العزيز يرحمه الله رصداً مستفيضاً ، تمحورت مضامينها في الأغلب الأعم ، حول : تحقيق وحدة الدولة والمعتقد ، وتطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة العدل ،

---

(١) الملك عبد العزيز في مرآة الشعر ، ص ٢١ .

(٢) الملك عبد العزيز كما صوره الشعراء العرب ، نادي الرياض الأدبي ، ط(١) ، ١٤٢٠ هـ ، ص ١٠ .

وتحقيق الأمن ، وتحقيق التنمية الشاملة ، والسعي لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية .

ففيما يتعلق **بتحقيق وحدة الدولة والمعتقد** : تجد أن الجزيرة العربية قد عاشت فترة طويلة من الزمن وهي ترزح تحت وطأة الجهل والتخلف ، تعمها الفوضى ويسودها التفكك ، ويحكم معظم أرجائها أمراء متناحرون ، ومشايخ قبائل متفرقون ، يتقاتلون على الأرض وعلى النفوذ ، ويسعون لكسب ود القوى الكبرى التي لها بعض النفوذ في بعض أرجائها[1] وكانت العقيدة مشوهة فالبدع والخرافات منتشرة ، ولم يرفع أحد من أولئك الأمراء أو المشايخ راية التوحيد أو الوحدة السياسية ، بل كان همهم التنافس على الأرض ، والسعي لبسط السلطان[2] فقام عبد العزيز يبعث شعباً ، ويبني أمة ، شعارها التوحيد الخالص لله تعالى « ولم يكن الطريق ممهداً أما عبد العزيز لتطبيق ما يؤمن به ، فقد جاهد في سبيل ذلك ، ليس فقط للدعوة إلى التوحيد ، بل الحفاظ عليه نقياً خالصاً لله تعالى ، وهو بذلك حسم موقفه مبكراً في تطهير شبه الجزيرة العربية من الخرافات الشركية ، والبدع ، والعادات ، والخزعبلات ، والفرق المنحرفة ، التي تفسد على الناس توحيدهم الخالص »[3] يقول طيب الله ثراه : « إن سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص والخروج من أسر البدع والخزعبلات والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله الكريم »[4] .

لقد سعى الملك عبد العزيز تحت راية التوحيد ، ليجمع شتات الجزيرة العربية ويصهرها في قالب واحد ، هو قالب الأخوة العربية الإسلامية ، تجمعهم

---

(١) انظر : الملك عبد العزيز أمة في رجل ، ص ٨٥ .

(٢) انظر : المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) عناصر القوة في توحيد المملكة ص ٤٨ .

(٤) عبد العزيز وعبقرية الشخصية الإسلامية ص ٥٨ .

وحـدة الأرض ، والتصـور ، يقـول طيب الله ثراه : « لقد فتحت هذه البلاد ولم يكـن عندي من العتاد سوى قوة الإيمان وقوة التوحيد »[1] ولم يكن ذلك الإنجاز أمـراً سهلاً بل كان عملاً مضنياً ، استمر سنوات غير قليلة ، ولكنها بمقياس بناء الشـعوب والحضـارات ، تعـد قليـلة ، يقـول الجنرال البريطاني كلايتون مخاطباً المـلك عبد العزيز : « إن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا بعد مئات السنين ، أما أنـت ففـي ثلاثـين سـنة أسسـت مـلكاً واسـعاً ، إذا اطـرد سـيتم لـك تأسيس امبراطورية مثل امبراطوريتنا وأكبر منها »[2] .

إن وحدة الدين التي دعا إليها الملك عبد العزيز ، أثمرت وحدة وطنية ، قل أن يوجـد لهـا نظـير ، فعقيـدة الـتوحيد التي دعا إليها ، وجاهد لنشرها ، كانت السبب في تحقيق هذه الوحدة العظيمة ، فأمة موحدة منهجها شرع الله ، ليس لها خيـار سـوى خيـار واحـد : وهـو الوحـدة المبنية على التآخي والتآزر ، فوحدة الإيمـان كـانت سـبباً في الوحـدة الإندماجيـة الجغـرافية والبشرية ، وكانت هذه الوحدة هي الأعظم والمفخرة الأولى لعبد العزيز طيب الله ثراه[3] .

لقـد كـان جهـاداً دام لعشـرات السنين ، استطاع عبد العزيز خلالها أن يلم ويـرمم أشـلاء وطـن ممـزق ، فكـانت النتـيجة لوحـة وحدويـة ، كـان احتمال وجودها ضرباً من المستحيل[4] .

إذن فقضـية التوحيد والوحدة ، قضيتان متلازمتان ، فمتى ما توحد التصور توحـد المقصـد والغايـة و« لقد كانت قضية التوحيد جوهر الإسلام ، هي قضية الديـن عـند المـلك عـبد العزيـز الـتوحيد الخـالص لله بمعـناه الشامل الكامل ،

---

(١) الملك الراشد ، عبد المنعم القلامي ، ط٢ ، دار اللواء ١٩٨٠ م ، ص ٣٧١ .

(٢) الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، ص ٢٤١ .

(٣) انظر : عناصر القوة في توحيد المملكة ، ص ٥ .

(٤) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

- كما تلقاه - وكما رسَّخ مفهومه الصحيح أسلافه الكبار[1] ، حين أقاموا الدولة السعودية الأولى في القرن الثاني عشر ، على هدى القرآن الكريم وبقوة السلطان .

وكذلك كانت قضية الوحدة وهي جوهر العروبة ، هي قضية السياسة عند الملك عبد العزيز ، الوحدة التي حققها فعلاً أجداده ، من قبل »[2] .

لقد حقق الله لعبد العزيز ما أراد ، لأنه علم صدق نيته ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[3] فهذه المملكة العربية السعودية اليوم ، يضرب بها المثل في وحدتها وتماسك بنائها ، وهاهم الشعراء الذين رثوا الملك عبد العزيز يصورون هذه الوحدة التي قامت على التوحيد .

يقول أحمد الغزاوي :

طأطأت دونه العروش وألقت	**بعصاها الخطوب والأسباب**
واستفز التوحيد فيه هزبراً	**تتهادى بسيفه الأنصاب**
أنجز الله وعده فيه حتى	**أسلمته زمامها الآراب[4]**

إن عبد العزيز لم يكن ملكاً فحسب ، بل كان مصلحاً عظيماً ، رفع عقيدة التوحيد ، وأسس أمة من هباء ، وجمعها على كلمة سواء ، بعدما كانت مشتتة فبدل الله به التفرق وداً ، واجتماعاً ، والعداوة ألفة ، ومحبة ، فكيف تسنى له ذلك لولا إخلاصه وتوفيق الله له .

يقول فؤاد شاكر :

---

(١) يقصد الإمام محمد عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود .

(٢) الملك عبد العزيز أمة في رجل ، ص ٨٨ .

(٣) سورة الحج ، الآية رقم (٤٠) .

(٤) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، جـ ص ١٢٧٥ .

أيها المصلح العظيم سلام ... **يتهادى إلى علاك انتسابا**
كيف أسست أمة من هباء ... **وجمعت الأشتات والأحزابا**
كيف بدلتها الضراوة وداً ؟ ... **والعداوات ألفة واصطحابا**
كيف ألفت باقة من قلوب ... **ما استقرت من الحياة اضطرابا**
كيف سويت بين شرق وغرب ؟ ... **وجمعت الأضداد والأحبابا**[1]

ويقول محمد طارق الأفريقي ، رئيس أركان حرب الجيش العربي السعودي سابقاً : « وحد الملك عبد العزيز عرب الجزيرة ، وجمع شتاتها وعشائرها توحيداً تاماً ، لأنه طهر جسمها من الأمراض ، وجعلها شعباً واحداً قابلاً للنهوض والتقدم والسير مع الأمم الحية ، وجعل لها كياناً سياسياً . وشيد دولة حديثة اعترفت بها دول الأرض »[2] .

فما مات من أعماله وخصاله ... **ملأن من الخلد السجل المعطرا**
ومن رفع الأساس في خلق وحدة ... **مؤزرة ضمت كياناً مؤزرا**
به اعترف الأعداء شرقاً ومغرباً ... **وكان كما يهوى اعترافاً مصوراً**[3]

لقد بنى عبد العزيز أمة قوية مؤزرة بالدين ، كما شاء الله لها أن تكون ، وكانت قبل متفككة متصارعة ، تعيش في فقر مدقع ، وشتات مفزع .

يقول طاهر زمخشري :

بنى أمة قامت على الأرض قوة ... **مؤزرة بالدين تحكي الرواسيا**
بناها كما شاء الإله انبعاثها ... **تغنت بها الأمجاد تزهو روانيا**
بناها وكان العدم ينخر عودها ... **فقامت وعاد الخير يدفق راويا**
روى أنفساً كان الشتات يلفها ... **فوحدها حول المناهل ساقياً**[4]

---

(١) وحي الفؤاد ، ص ٢٥٨ .

(٢) عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ، ص ١٤٦ .

(٣) قصيدة [خطوة التاريخ في اليوم المزدوج] لمحمد حسن عواد أم القرى في ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) المنهل ص ١٩٩ .

وهـذه الوحـدة العظـيمة لم تقـم بـين عشية وضحاها ، بل قامت بعد جهاد طويل استمر طيلة نصف قرن أو يزيد ، فكان ذلك مع الإيمان من أقوى الدعائم الـتي بفضـلها تحققـت تـلك الوحـدة ، القائمة على التوحيد ، يقول خير الدين الزركلي :

عـرش بـناه عـلى النضـال عمـاده ... ودعامـــة الإيمـــان والتســـديد

مـا نـام عـنه مؤسسـاً ومـنظماً ... ســتين حــولاً يبتـــني ويشـــيد

ضـم القـلوب موحـداً أشـتاتها ... لله ثـــم لشـــعبه الـــتوحيد[1]

يقول الدكتور محمد مريسي الحارثي : « لقد حقق عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لهذه الدولة وحدة الدين ، على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فجمـع الـناس على اختلاف مشاربهم ، وتصوراتهم على كلمة سواء هي كلمة التوحيد ، وحقق وحدة الأرض ، في دولة قوية ، جمعت أشتات الناس من بادية وحاضـرة ، أصبحوا ينتمون إلى أرض واحدة ، بعد تفرق دام كثيراً فأخرهم عن أسباب التمدن والتحضر »[2] .

فيالهـا مـن وحـدة مـا كـانت لتـتحقق لـولا أن هيأ الله لها الملك عبد العزيز فانتظمت عقداً متلألئاً على صدر الجزيرة العربية يقول فؤاد الخطيب :

حققت ما شئت في دنياك من وطر ... ووحـدة لـم تكـن لـولاك تنـتظم[3]

(١) انظر أم القرى في ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) الملك عبد العزيز في مرآة الشعر ص ١٢ .

(٣) ديوان فؤاد الخطيب ص ٣٠٨ .

أما تطبيق الشريعة الإسلامية وتحقيق العدل :

فمنذ أن أقام الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية ، وتحققت الوحدة المنشودة ، وهذه البلاد يميزها خط واضح في نظامها ، وفي تشريعها ، وفي مسيرة حياتها ، فهي دولة إسلامية ، دستورها القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، تتمسك بهما في كل مجالات حياتها وعملها[1] .

ولقد أدرك الملك عبد العزيز طيب الله ثراه أن هذه البلاد ، تختلف عن غيرها من البلدان الأخرى ، فهي أرض الإسلام الأولى ، وفيها يقوم الحرمان الشريفان - الحرم المكي ، والحرم المدني - ونور الإسلام شع من هذه البلاد ، وأشرق على الدنيا كلها ، وأبناء هذه البلاد عرب مسلمون ، والارتباط بين العروبة والإسلام وثيق ، فالقرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين ، وخاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام عربي من جزيرة العرب .

لذلك اختار الملك عبد العزيز منهج القرآن والسنة ، ليكون دستوراً يطبق وليس شعاراً يرفع ، وقد نظر يرحمه الله فرأى الناس في الممالك من حوله يختارون دساتير حياتهم[2] ، متأثرين بحركات التغريب التي أبعدت الناس عن دينهم .

وزعموا ذلك من التحديث والمعاصرة ، وأن متغيرات العصر توجب ذلك ، ولكنه يرحمه الله لم يلتفت إلى ذلك كله ، وكان يؤمن أن بلاده لها دستور قائم ودائم هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأنه هو الذي يضمن بقاءها ، ونماءها ، وتطورها .

لقد عرف « أن نظرة الإسلام إلى الدولة هي نظرة منهجية متكاملة ،

---

(١) انظر : الملك عبد العزيز أمة في رجل ، ص ١٠٧ .

(٢) انظر : المصدر السابق نفس الصفحة .

فالإسلام ليس إيماناً وديناً فقط ، بل دولة ، ونظاماً أيضاً »[1] .

والملك عبد العزيز حينما التزم منهج الشريعة نظاماً للدولة والمجتمع واجه صعوبات عديدة ، من أطراف داخلية ، وخارجية ، اتفقت على نقد منهجه المبني على تطبيق الشريعة الإسلامية ، الآخذ بكل أسباب التقدم والرقي ، الذي لا يتعارض مع هذه الشريعة السمحة . يقول يرحمه الله : « من الناس من عاب علينا التمسك بالدين ، فوالله لا أغير شيئاً مما أنزله الله على لسان رسوله ﷺ ، ولا أتبع إلا ما جاء به »[2] .

لقد وقف يرحمه الله من فلسفة الغرب الملحدة والمخالفة لمنهج الإسلام موقف الرافض ، في وقت كان كل من يحيط به واقع تحت سيطرة الاستعمار ، الغربي « وأغلب من يقوده فكرياً من أبنائه ، أناس خدعهم وهج تلك الحضارة فنفروا من دينهم ، ونفَّروا الناس من كل ملتزم بالدين محتمٍ بظلاله »[3] .

ومن جهة أخرى تفاعل مع الجانب الإيجابي للحضارة الغربية ، فلم يرق ذلك لمجتمع كان منغلقاً على نفسه ، لذلك عانى يرحمه الله معاناة مزدوجة ، فمن الخارج يرمى بأن اتخاذ الشريعة الإسلامية نظام حياة يعد جموداً وتخلفاً ، ومن الداخل تعنت بعض المغالين من الذين يحرمون استخدام . الأساليب والمخترعات العلمية الحديثة[4] .

يقول يرحمه الله : « إن خطتي التي سرت ولا زلت أسير عليها هي إقامة

---

(١) عناصر القوة في توحيد المملكة ص ٤٨ .

(٢) الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية ، المنهج القويم في الفكر والعمل د/ عبد الله عبد المحسن التركي ، ط٢ ، الرياض للإعلام العربي ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م ، ص ٤٤ - ٥٦ .

(٣) تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية ، د/ عبد الرحمن الزبيدي ، ط١ ، الدارة ١٩٩٩ م ، ص ٨١ .

(٤) انظر : عناصر القوة في توحيد المملكة العربية السعودية ، ص ٥٠ .

الشـريعة السـمحة ، كمـا أنـني أرى مـن واجـبي تـرقية جزيرة العرب ، والأخذ بالأسـباب الـتي تجعـلها في مصـاف الـبلاد الناهضة ، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف »[1] .

لذلـك نجحـت نظريـته الـتي ترى صلاحية تطبيق الشريعة الإسلامية في كل مكـان وزمـان ، فجنَّب هـذه البلاد التخبط في الأنظمة التي تخبط فيها غيره من القادة والزعماء العرب والمسلمين ، الذين ابتعدوا عن الإسلام ، وقلدوا الغرب في نظمهـم ، ففشـلت تجاربهم ، وأضـحت تجربة عبد العزيز النموذج الأمثل ، فالممـلكة مـنذ عهـد المؤسـس وإلى يومـنا هذا تتمتع بالاستقرار في جميع جوانبه السياسي والاجتماعي والثقافي[2] .

ويـأتي العدل نتيجة طبيعية لتطبيق الشريعة الإسلامية ، فالإسلام يحث على العـدل ويحرم الظلم ، قال تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[3] ولقد جسد المـلك عـبد العزيز هذا العدل قولاً وعملاً ، يقول يرحمه الله « لا يدوم الملك إلا بدولة عادلة »[4] .

كمـا عمل يرحمه الله على تطبيق العدل في الواقع ، سواء على نفسه أو على بـنيه ، أو بـين شـعبه ، وصـور ذلك كثيرة منها أنه فرض العقوبة على من يثبت عـليه أنـه مـنع مشـتكياً من الوصول إليه « ومثل عدم استثناء نفسه من الخضوع للشريعة وقضائها مساوياً نفسه بالآخرين »[5] .

---

(١) أمة في رجل ، ص ١٠٩ .

(٢) انظر المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٣) سورة الشورى ، الآية رقم (١٥) .

(٤) توحيد المملكة العربية السعودية ، محمد المانع ، ط(١) ، ١٤١٢ ، ص ٢٣٧ .

(٥) تطبيق الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية ، ص ٤٣٣ .

يقول الملك فيصل يرحمه الله : « إن والدي لا يفرق بيننا وبين أبناء شعبه وليس للعدالة ميزانان ، يزن بأحدهما لأبنائه ، ويزن بالآخر لأبناء الشعب ، فالكل سواء عنده والكل أبناؤه »(١) .

لقد تجسدت العدالة واقعاً ، سواء كان ذلك بين الحاكم والرعية ، أو بين الرعية أنفسهم ، فشريعة الله تحكمهم وتنظم شؤون حياتهم « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً »(٢) .

وهاهم الشعراء السعوديون يسجلون هذا المنجز الحيوي [تطبيق الشريعة الإسلامية] ويشيدون به وبمن أنجزه .

فالشاعر عبد الله بن إدريس يشيد بدور الملك عبد العزيز في رفع لواء الدين واتخاذه شعاراً ، ودستور حياة ، وكيف أنه كان له حارساً أميناً .

يا رافع الدين الحنيف على السهى ... والجاعل الوحي الشريف شعاراً
قد كنت للعرب الكرام أمينهم ... وللدين ربك حارساً ومناراً(٣)

ثم يبين ابن إدريس أن حكم الملك عبد العزيز كان مبنياً على العدل ، ونبذ الظلم ، وذلك لأنه طبق الشريعة السمحة ، واتخذ القرآن دستوراً ، فتحققت الكرامة الإنسانية ، وانقشع ظلام الجهل والجور ، وحل محله نور الإسلام الخالد .

وحكمت أرجاء الجزيرة بالنهى ... والعدل لا ظلماً ولا استهتارا
دستورك القرآن أشرف منزل ... يعلي النفوس ويرفع الأقدارا
فبه حكمت وكنت أفضل حاكم ... كشف الظلام وأشعل الأنوارا(٤)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣٣ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية رقم (١١٥) .
(٣) ديوان في زورقي ، ص ١١٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١١٧ .

ولا ينفك الشعراء يجمعون بين تحكيم كتاب الله والعدل ، في اشادتهم بتطبيق الشريعة الإسلامية ، ولعل ذلك يرجع إلى أن تطبيق الشريعة من الحاكم على المحكومين ، هو العدل الذي أمر الله به ، وما سوى الشريعة من القوانين الوضعية هو الظلم الذي لا يرضاه الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[1] .

لقد حكم الملك عبد العزيز بكتاب الله وحماه من أن يخلط معه الأحكام الوضعية فلم يتخذ دستوراً سواه ، وكان عاملاً بما فيه ، فعدل وبر ، فقوي ملكه لأن دعامه القرآن الكريم يقول طاهر زمخشري :

عاش في كفة الأبى كتاب الله ... يحميه زلة الأحكام

عاش فيها ولم يدنس بإثم ... لا ولم يبد قسوة الظلام

. . . .

عادلاً ساس بالعدل ملكاً ... وبنى صرحه قوي الدعام[2]

ويقول محمود عارف في نفس المعنى :

ومشى حجاك على توقد نوره ... بالرشد في منهاج خير مشرع

فوقفت بالقسطاس تعدل في الحمى ... والعدل شيمة كل أصيد أروع[3]

لقد حكَّم عبد العزيز دين الله (الشريعة الحنيفية) فسما بتطبيقها وسمت به أن طبقها . لذلك فإنه حي في قلوب وألسنة شعبه تلهج بالدعاء له والثناء عليه نظير ما تحقق لهذه البلاد من استقرار ورخاء ، بفضل الله ثم بفضل تطبيق الشريعة الإسلامية .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٤٥) .

(٢) البلاد السعودية ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) اليمامة ، العدد الرابع ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ١٧ .

يقول عبد الله بن شاهين :

ما مات من صرع الضلالة سيفه وسما بدين راشد الآثار
بهدى الحنيفة كان يحكم شعبه لا بالهوى وسوافل الأوطار(١)

وهاهو عبد العزيز قد لبى نداء ربه ، نقي من الآثام ، بعد أن نصر شريعته وأقامها خير إقامة ، فطبقها على نفسه وعلى رعيته ، والتزم بها قولاً وعملاً ، وحماها من كل معتد أو مفسد ، لا يحابي في دين الله أحداً ، فلا يغضب إلا لله ، ولا يرضى إلا فيه ، فهو مؤمن بالله أرسى قواعد عرشه على هذا الإيمان ، وهو من البقية الصالحة من سلالة السلف الصالح رضي الله عنهم يقول محمد السنوسي :

لبى نداء الحق موفور الهدى ومضى نقي الذيل والأكمام
وأجاب دعوة ربه من كان في نصر الإله مظفر الأعلام
يمضي على سنن الرشاد وهديه ويذود عن أحواضه ويحامي
لله غضبته وفيه رضاؤه صعب على العذال واللوام
أرسى قواعد عرشه مستلهماً إيمان قلب رائع الإيمان
تلك البقية من سلالة أمة نهضت على الإيمان والإسلام(٢)

ويعد تحقيق **الأمن** حجر الزاوية ، فيما شهدته وتشهده المملكة العربية السعودية من نهضة ، وتطور ، ورخاء ، واستقرار .

ونظراً لوجود الحرمين الشريفين في هذه البلاد ، فقد أصبح تحقيقه واجباً دينياً لتسهيل وصول حجاج بيت الله الحرام ، ولضمان سلامتهم ، وراحتهم ، حتى يتمكنوا من أداء فريضتهم ، ويعودوا إلى بلادهم سالمين ، ولم يكن تحقيق الأمن بالأمر اليسير ، خصوصاً إذا علمنا كيف كانت حال الجزيرة العربية قبل

---

(١) اليمامة ، العدد الرابع ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ١٧ .
(٢) المنهل ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ٢١٠ .

توحيدها على يد المؤسس طيب الله ثراه « حيث كانت الغارة والسلب والنهب من وسائل العيش ، وكسب الرزق ، لدى كثير من القبائل التي تعيش في الجزيرة العربية ، ولم يكن الأمن متوفراً في أرض الحرمين الشريفين لأهلها ولا لحجاج بيت الله الحرام »[1] .

من هنا كان تحقيق الأمن واحداً من أبرز إنجازات الملك عبد العزيز الكبرى ولم يكن ذلك ليتحقق لولا تطبيق الشريعة الإسلامية ، التي تتضمن عقوبات رادعة للمخالفين والخارجين على النظام « وبتطبيق النظام الإسلامي في الحكم وإقامة حدود الله في جميع أنحاء البلاد الواسعة ، استتب الأمن وسادت الطمأنينة نفوس سكان المملكة ، ولم يعد هناك من يخاف على نفسه أو عرضه أو ماله ، حتى وهو يقطع الفيافي ويطوي القفار وحيداً ، إلا من المعية الإلهية ، ثم هيبة السلطان التي قضت على السلب والنهب ، وسفك الدماء ، وإشاعة الذعر ، والخوف بين الناس مما جعل المملكة العربية السعودية مثالاً نادراً في العالم بأمنها واستقرارها »[2] .

وقد أسهمت خطوته التي قام بها لتحضير البدو ، وحثهم على الاستقرار وتعليمهم وتثقيفهم دينياً إسهاماً إيجابياً في تحقيق الأمن[3] .

ثم إنه يرحمه الله كان حازماً صارماً في تطبيق الحدود ، على من يخل بالأمن يقول في منشور صادر عنه : « إن البلاد لا يصلحها غير السكون ، وإنني أحذر الجميع من نزغات الشياطين ، والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار المقدسة ، فإنني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً »[4] .

---

(١) أمة في رجل ، ص ١١٥ .

(٢) الملك عبد العزيز كما صوره الشعراء العرب ، ص ٣٥ .

(٣) انظر : عناصر القوة في توحيد المملكة ، ص ٩٠ .

(٤) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص ٩٠ .

إن الأمن من النعم الكبرى على سكان هذه البلاد والمقيمين فيها والوافدين إليها من الحجاج والعمار وغيرهم .

لقد أصبح استتباب الأمن في المملكة العربية السعودية مضرب المثل في جميع أنحاء العالم بشهادة الكثير ممن بهرهم هذا الإنجاز الكبير للملك عبد العزيز طيب الله ثراه يقول موريس جرند مؤلف كتاب » تحقيق حول ابن سعود «[1] ، « إذا كان ابن سعود قد نجح في لم شعب المملكة العربية السعودية تحت لوائه وإذا كان قد جعل من بلد مضطرب آهل بالعصابات جعله البلد الأكثر أمناً في العالم فمرد ذلك ليس إلى القوة والسيف فحسب بل لأنه سكب في أعماق الأمة الناشئة أقوى عواطف التماسك أي التقيد الشديد بأحكام القرآن ، فالجرائم التي ترتكب حالياً في المملكة العربية السعودية خلال عام أقل مما يرتكب في باريس خلال يوم واحد »[2] .

إن هذا الإنجاز الذي حققه الملك عبد العزيز كان محل الإعجاب والإكبار في نفوس الناس ، وهذا ما أكده الشعراء السعوديون في رثائهم له يرحمه الله .

فهذا الشاعر محمد بن بليهد يؤكد ما حققه الملك عبد العزيز من أمن واستقرار ، وكيف أن كل شيء قد بكى الفقيد يرحمه الله صاحب ذلك الإنجاز العظيم ، فلقد بكته الكعبة المشرفة وقاصدوها ، حتى أعداء الإسلام بكوه ، كما بكته المساجد والمآذن ، ومجالس العلم ومدارسه ، ومسالك الأرض التي أمِنَ بها السالكون .

بكته في الحرم المكي كعبته وقاصدوها ، بكى حتى أعاديها

بيوت ربي بكت بل كل مئذنة وكل روضة علم عزّ ناديها

---

(١) انظر : أيامه الأخيرة ، ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص

وكل درب على حافاتها غرست يمينه الأمن فاكتضت بساريها[1]

لقد أمِنَ المسافرون عبر هذه الجزيرة المترامية الأطراف ، التي تكتنفها الصحاري والوهاد ، فلم يعد هناك خوف لغاد أو رائح .

يقول خير الدين الزركلي :

أمن المخاوف غادياً أو رائحاً جوَّاب مقفرة رعاها السيد[2]

وهذا الأمن الوارف الظلال ، استوى فيه أهل هذه البلاد ومن يفد إليها من خارجها ، ينعمون به جميعاً .

يقول محمد سراج خراز :

وأمان على الجزيرة قد مدّ استوى فيه أهلها والغريب[3]

إن الجزيرة العربية لم تظفر بالأمن قروناً طوال بعد عهد الرسول ﷺ ، وهاهو يتحقق على يدي الملك عبد العزيز وفي صورة رائعة ، حتى صار يضرب به المثل .

يقول عبد الرحمن المعلمي :

الأمن قد ضربت به الأمثال لم تظفر به بعد الرسول عهود[4]

ورحل الملك عبد العزيز إلى ربه بعد ما شاد صروح الأمن داخل بلاده ، وبعد ما شاد صروح الإكبار لبلاده في العالم خارج بلاده .

يقول فؤاد الخطيب :

تبكي الديار على حامي الذمار وما للعرب صبر ولا الأوجاع تنحسم

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٤٣٤ .

(٢) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) أم القرى في ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) المنهل ، جـ٣ ، ربيع الأول ١٣٧٣ ، ص ٢٠١ .

أودى وكل حمى من أرضهم حرم وكل أشهر هم في ظله حرم[1]

إن الناظر إلى المملكة العربية السعودية وما تنعم به من أمن واستقرار ، يغبط شعبها على هذه النعمة الكبرى ، كيف لا والناس من حولنا يتخطفون ، فالحروب الطاحنة والفتن والقلاقل تعم أرجاء المعمورة ، ونحن في هذه البلاد في أمن وطمأنينة ، نحسد عليها ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[2]، يقول محمد علي الخطيب في هذا السياق :

فتجنبت هول الحوادث أمة واستسلمت لسدادك الأذهان
الناس في حرب ضروس ساعر تصليهموا الآلام والنيران
وملاء شعبك غبطة وسعادة تذكو بما تحظى به وتعان[3]

• • • •

وفيما يتعلق **بتحقيق التنمية الشاملة** فإن المملكة العربية السعودية منذ أن قامت دولة موحدة مستقلة ، بدأ الملك عبد العزيز مرحلة جديدة من الجهاد، ألا وهو النهوض بهذه البلاد ، والرقي بها لتكون في مصاف الدول المتقدمة .

ولقد كان جهاداً كبيراً ، خصوصاً إذا ما علمنا المساحة الشاسعة للمملكة العربية السعودية ، التي تترامى على أكثر من مليوني كيلو متر مربع ، وسكانها المبعثرون في المدن والقرى ، والصحارى المتباعدة والنائية ، وقلة الموارد المالية[4] إنها مهمة شاقة بالغة التعقيد ، تصدى لها عبد العزيز بكل قوة واقتدار ، وسطر

---

(١) ديوان الخطيب ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية رقم (٦٧) .

(٣) البلاد في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) انظر : عناصر القوة في توحيد المملكة ، ص ٨٦ .

أروع صور البناء والنماء ، وواجه بعزم الثالوث الخطير الذي كان يضرب بإطنابه في أنحاء الجزيرة العربية ، ألا وهو : [الفقر ، والجهل ، والمرض] .

لقد أطل الملك عبد العزيز بالمملكة على العالم بكل ما يموج به من علوم ومخترعات ومبتكرات ، دون أن يتخلى لحظة واحدة عن العقيدة والشريعة ، والقيم الاجتماعية[1] .

« وعلى قدر ما وفق الملك عبد العزيز في معاركه مع خصومه من أجل توحيد المملكة ، كان توفيق الله له في معركة التنمية والبناء »[2] فقد بدأ تدفق البترول عام ١٣٥٢ هـ وكان ذلك إيذاناً ببدء عصر جديد لم تعهده الجزيرة من قبل ، حيث سخر عبد العزيز هذه الثروة لبناء هذا الوطن المعطاء ، وكان من أولى اهتماماته طيب الله ثراه العناية بالحرمين الشريفين ، وإصلاح بيوت الله وتعميرها ، وتعبيد الطرق في عرفات ومنى ومزدلفة على نفقته الخاصة ، وهدفه أن ييسر على حجاج بيت الله تأدية فريضتهم بكل يسر وسهولة .

كما أنشأ يرحمه الله مصنعاً لكسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ، وقام بإيصال المياه من عيون وادي فاطمة إلى جدة[3] .

وفي مجال الاهتمام بتنمية الإنسان وإصلاحه كانت خدمة الملك عبد العزيز للدعوة التي كانت من أهم علامات عهده ، وكان يقوم بنفسه بالدعوة ويحث على التمسك بتعاليم الإسلام ، والابتعاد عن المعاصي والآثام ، وكانت دعوته بالقدوة التي جسدت فيه كل معالم الحرص على اتباع تعاليم الإسلام ، ثم بما يؤكده في خطبه ومنشوراته الملكية في هذا المجال ، كما كان يحث الدعاة على وعظ الناس ، ويأمر بطبع كتب العلم والفقه ، وكان لذلك العمل قيمته

---

(١) انظر : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٢) أمة في رجل ، ص ١٣٣ .

(٣) انظر : أمة في رجل ، ص ١٣٣ .

وقدره ، خصوصاً أنه صادر من ملك عربي في العصر الحديث[1] .

وفي عهده يرحمه الله شقت الطرق وعبدت ، وخصوصاً في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة ، وتم إنارة مدينة جدة ومكة المكرمة بالكهرباء ، وإنشاء ميناء بري في جدة ، وإصلاح مساكن الحجاج ، وإنشاء مظلات للحرم الشريف ، واستحداث قطار في المدينة المنورة ، وأنشئت محطة الإذاعة في مكة المكرمة ، وزاد عدد الجسور والطرقات الممهدة ، واستحدثت مجازر في مكة ومنى[2] .

وفي مجال وسائل الاتصال تم ربط مناطق المملكة بالطرق ، واستحداث اللاسلكي ، والهاتف ، والبرق ، وبدأت محطة الإذاعة إرسالها يوم عرفة سنة ١٣٦٨ هـ ، وأخذ أناس يستخدمون وسائل الانتقال الحديثة : السيارات ، والطيارات ، والقطارات ، ووضعت أنظمة للسير ، وأنشئ ميناء تجاري في الدمام ، ومد خط للسكة الحديدية يربط بين الدمام والرياض[3] .

وبدأ الملك عبد العزيز في مشروع حضاري طموح ، وهو توطين البادية و« لقد كان الملك يؤمن بأن التنمية الكاملة ، هي تنمية الإنسان والمكان تتطلب استقرار البشر ولذلك بدأ بإنشاء الهجر »[4] .

بالقرب من مواطن القبائل المستهدفة بالتوطين وأبقى شيوخها في مناصبهم جاعلاً ذلك امتداداً طبيعياً لحياة الصحراء وأصالتها وتراثها[5] .

---

(١) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٢) انظر : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، جـ٤ ، ص ١٣٣٦ .

(٣) انظر : تاريخ المملكة العربية السعودية ، د/ عبد الله الصالح العثيمين ، جـ٢ ط٣ ، الرياض ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٢٥٠ - ٣٥٣ .

(٤) الملك عبد العزيز آل سعود أمة في رجل ، ص ١٣٨ .

(٥) انظر : عناصر القوة في توحيد المملكة ، ص ٨٧ .

وفي مجال التعليم بدأ يرحمه الله بإنشاء المدارس وإرسال البعثات ، بعد دخول الحجاز ، واستقدم يرحمه الله المعلمين من مصر والدول الأخرى ، وافتتحت كلية الشريعة في مكة المكرمة عام ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، وأنشئت المعاهد العلمية عام ١٣٧٠ هـ ، وكلية الشريعة في الرياض عام ١٣٧٣ هـ .

وأنشئت مدرسة دار التوحيد ، ومدارس نموذجية في الطائف ، وفتحت مدارس أخرى على نفقة بعض الأفاضل من الناس إسهاماً منهم في نشر العلم(١) .

كما كانت عنايته يرحمه الله كبيرة بالحرمين الشريفين ، فعمل على توسعة الحرم النبوي التي بدأت عام ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م(٢) وكذلك اهتم بإعمار المسجد الحرام وصيانته ، وهو عمل جليل استمر عليه أبناؤه البررة سعود ، وفيصل ، وخالد ، يرحمهم الله ثم كانت التوسعة العظيمة في عهد خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله ، التي لم يشهد لها الحرمان مثيل من قبل .

وفي مجال الزراعة اهتم يرحمه الله بها ، لأنها قرينة الاستقرار الذي كان يهدف إليه طيب الله ثراه ، فأقطع الأراضي الزراعية ، وأمر بأن توزع البذور وأثمان المواشي على من يباشرون الزراعة ، وامتدت المزارع في الرياض ، والخرج ، والقصيم وأنشئت مديرية الزراعة ، واستقدم الخبراء ، واستوردت الآلات الرافعة للمياه وأنشئت السدود وعمَّرت العيون(٣) .

وفي مجال الصحة كانت الأوبئة منتشرة في أنحاء البلاد فعمل الملك عبد العزيز على إنشاء المستشفيات ، والمستوصفات ، ومراكز العلاج المتنقلة ، وشكل حملات للتطعيم ضد تلك الأوبئة .

---

(١) انظر : تاريخ المملكة ، جـ٢ ص ٣٢٣ - ٣٣١ .

(٢) انظر : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ص ٨٥٦ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ١٠١٥ ، ١٠٢٢ .

وأقام يرحمه الله مراكز للحجر الصحي ودعمها على كل مداخل البلاد ، حتى يمنع دخول الأوبئة ، التي قد يحملها الحجاج الوافدون من الخارج ، ولم يكتف يرحمه الله بإنشاء المؤسسات الصحية فحسب ، بل أعلن مجانية العلاج ، والدواء ، لكل مواطن[1] .

لقد نجح الملك عبد العزيز في أن يصمم أنموذجاً متميزاً يجمع بين الحفاظ على الأصالة ، بكل ما تعنيه من حفاظ على العقيدة ، وعلى المضامين والقيم الاجتماعية ، وبين الأخذ بكل ما يضمن تحديث الدولة ، ويحقق نموها وتطورها[2] فكان نجاحاً باهراً أذهل العالم بأسره فشهدوا بذلك النجاح وذلك التمييز .

ولا غرو أن تكون تلك المنجزات التنموية محط إعجاب وتقدير الشعراء ، وأن يطرزوا بمفرداتها قصائدهم ، على نحو ما نراه عند الشعراء السعوديين . الذين رثوا الملك عبد العزيز يرحمه الله ، فهذا الشاعر خير الدين الزركلي يشهد بهذه الإنجازات التي تمت في عهده يرحمه الله ، فالذهب الأسود [البترول] قد سال وأصبح الحصى دراً ، ولآلي النجوم عقوداً ، تنظم فيها تلك الدرر المتوهجة من شبه الجزيرة العربية في ظل الحكم السعودي الميمون[3] .

ردَّ الجزيرة وهي نسي بلقع	**حوضاً عليه للورود وفود**
التبرسال بها عيوناً والحصى	**در ولآلأ النجوم عقود**
رفلت بأبراد الحضارة أربع	**كانت عليها للعفاء برود[4]**

(١) انظر : عناصر القوة في توحيد المملكة ، ص ٩٢ .

(٢) انظر : الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، ص ٤٤٠ .

(٣) انظر : الملك عبد العزيز في مرآة الشعر ، ص ٥٩ .

(٤) قصيدة خير الدين الزركلي ، أم القرى في ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

هـذه هي البلاد السعودية قد سرى بها نور الحضارة ، وهي كل يوم في تقدم ورقـي ، إنهـا نهضـة مذهـلة في فـترة لا تـتجاوز الخمسين عاماً ، أصبحت فيها المملكة تلبس أبهى حلة ، فواكبت قمماً أخرى سبقت في مجال الرقي قروناً .

هـذه هـي آثـار عـبد العزيز كالشمس في وسط الضحى ، فعن أي شيء من تـلك الآثـار العظـيمة يتحدث المتحدثون ، وبأيها يشدو الشعراء ، فهذه المملكة تسابق الزمن نحو التطور والتقدم يقول عبد الله بن خميس :

وسرى بها نور الحضارة واغتدت   [تبني وتنشىء] قوة وفنوناً

من ذا يظن بأنها في فترة   لما يجاوز عدها الخمسينا

تغدو بأبهى حلة عرفت بها   أمم سرى فيها الرقي قرونا

آثاره كالشمس في رأد الضحى   فبأيها يتحدث الراوونا(١)

حقـاً عن أي من تلك المنجزات يكون الحديث ، وبأي شيء يشدو الشادون أبالاهـتمام بـالدعوة والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ أم بتعمير المساجد ؟ أم بإنشـاء معـاهد العلم ؟ أم بإقامة الهجر لتطوين البادية ؟ أم بإيواء اليتامى ؟ ، يقول محمد علي قطب :

ولكم جهول ليس يعرف ما التقى   والدين قد أضحى له عرفان

فبدا بفضلك للفضيلة داعياً   يدعو لها قلب له ولسان

ولكم أقمت مساجداً ومدارساً   فيها الصلاة تقام والفرقان

ولكم عمرت منازلاً وملاجئاً   يأوي إليها البائس الجوعان

فيقيم من أود ويروي من ظمأ   ودموعه عن شكره إعلان(٢)

وفي إرسـال البعـثات التعليمية للخارج وتوفير المياه للشرب والزراعة يقول محمد سراج خراز :

---

(١) البلاد في ٥ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) البلاد في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

وبعــوث أوليــتها بــالغ ، العــ ـطـف وأنـت الأب الشـفوق الحـبيب
وميـــاه تدفقـــت جاريـــات فـــارتوى ظـــامئٌ ورق جديـــب[1]

لقد صنع عبد العزيز معجزة فوق الصحراء ، وشهد بذلك القريب والبعيد يقول اللورد أوف أثلون حاكم كندا[2] : « شهدت بنفسي عندما زرت المملكة العربية السعودية ، ماذا صنع عبد العزيز لرفاهية شعبه ، لقد استقر بفضله السلام والأمن في البلاد ، التي كانت من قبل تمزقها المنازعات الداخلية ، وأتيح لي أن أشهد كيف تم الاعتراف به ملكاً وزعيماً على شعبه ، الذي أضاء له حكمه الطريق إلى الارتقاء في جميع المناحي الاجتماعية والثقافية »[3] .

لقد أثمر جهاده يرحمه الله في سبيل التنمية والرقي[4] :

فـإذا الصـعب فـي يديـه ذلـول وإذا الجـدب فـي ذراه اختصـاب
وإذا الديـــن لـــلهداة مـــنار وإذا العــلم فــي حمــاه قــباب
وإذا العـــرب دولـــة ذات بـــأس وهـــي مــن قــبله لــقى ويــباب
وإذا الـــناقمون مـــن كــل قيــل وقـــبيل بشـــدقه أنيـــاب
وإذا الـــبؤس والشـــقاء نعيـــم وإذا الشـــاء والذئـــاب صـــحاب
وإذا الأرض بالكـــنوز تـــنزَّي وإذا المـــال والـــثراء وطـــاب
وإذا الـــبيد بـــالحدائق زهـــر وإذا الغيـــد عفـــة وحجـــاب
جمـــع الله فـــي هـــواه شـــتاتاً وأبـــاة ولـــم يعـــزه العقـــاب
وبـــه استمســـك البـــناء وزانـــت شـــرعة الحـــق وازدهى المحـــراب[5]

• • • •

(١) أم القرى في ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) انظر الملك عبد العزيز وعبقرية الشخصية والإسلامية ص ٤٢٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٤) للمزيد من الشواهد انظر مراثي عبد الرحمن المعلمي ومحمد العقيلي ومحمد بن بليهد .

(٥) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ص ١٢٧٦ .

أمـا السـعي إلى تحقيـق الوحدة العربية والإسلامية فحين تحققت الوحدة الكبرى في الجزيرة العربية بقيام المملكة العربية السعودية ، موحدة أرضاً وشـعباً، كـانت معظـم الـبلاد العـربية والإسـلامية مـا تـزال تـرزح تحت وطأة الاسـتعمار الأجـنبي مـن جهـة ، ومن جهة أخرى يسودها التفرق والتشرذم في الآراء والـتوجهات ، وهـو الأمر الذي ما يفتئ الاستعمار يغذّيه ، ويبرزه تحقيقاً لمآربه الاستعمارية .

ولقـد رأى المـلك عـبد العزيـز أن مـن مسـئوليته وبلاده تحتضن رمز وحدة المسـلمين - الكعـبة المشـرفة - التي هي قبلة المسلمين جميعاً - أن يسعى جاهداً لجمـع كـلمة العـرب والمسـلمين ، ويوحد صفوفهم في مواجهة أعدائهم ، حتى يتحقق لهم ما يريدون من عز ورفعة[١] .

وقـد أعـلن عـن هـذه الرغـبة في العديـد من أقواله وخطبه يرحمه الله حيث يقـول : « إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسملين ، فيؤلف بين قلوبهم ثـم بعـد ذلك أن يجمع كلمة العرب ، فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ، ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير »[٢] .

وعـندما دخـل طيـب الله ثـراه مكة المكرمة ، دعا المسلمين إلى اجتماع عام ومؤتمـر شعبي ، ضم وفوداً من كل الأقطار الإسلامية عام ١٣٤٤ هـ[٣] . وكان هـذا الاجـتماع البذرة الأولى في سبيل الدعوة إلى التضامن الإسلامي ، ومما قاله يـرحمه الله في خطابـه الموجـه لهـذا المؤتمر « أيها المسلمون الغير ، لعل اجتماعكم هذا في شكله وموضوعه أول اجتماع في تاريخ الإسلام ، ونسأله تعالى أن يكون

---

(١) انظر : صور من حياة عبد العزيز ، الأمير طلال بن عبد العزيز ، ص ٦٥ - ٦٧ .

(٢) الملك عبد العزيز الشخصية والقيادة ، ص ١٣٠ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ١٣٠ ، وانظر صقر الجزيرة ص ٩١٢ .

سنة حسنة تتكرر في كل عام »[١] .

وقد اهتم يرحمه الله بالأقليات المسلمة في كل مكان ، ومنحها الشيء الكثير من رعايته ، وكان يتطلع إلى أن يعيش العالم كله في سلام ووئام وأمن ، لأن في ذلك الخير كل الخير لشعوب الأرض عامة[٢] .

وفي مجال الوحدة العربية فإن النموذج الذي أقامه الملك عبد العزيز في شبه الجزيرة العربية كان سبباً في يقظة الشعوب العربية ، التي رأت فيه رمزاً للوحدة في عصر كانت فيه هذه الشعوب في أمس الحاجة إلى الوحدة والتآلف ، يقول الكاتب الأمريكي » إدوار بكنج « عن سبب يقظة الشعوب العربية : « وإذا بحثنا عن يقظة الشعوب العربية ، وجب أن نبحث عن شخصية ابن سعود ، فهذا الرجل الذي ظهر في الجزيرة - مهبط الوحي وأخذ ينشر دعوته بين العرب ، قد أثار في النفوس شيئاً من الحيوية والنشاط .

وأرغم شعوب العرب على الاعتقاد بأنها كانت راقدة وفي وسعها أن تستيقظ ، وعلى هذا فإن كل حركة تقوم في مصر وسورية وفلسطين يجب أن نبحث فيها عن صوت ابن سعود ، في آذان الجميع ففي كل الآذان العربية يدوي صوت ابن سعود ، داعياً العرب إلى الاتحاد والتظامن والتحرر من التسلط الأجنبي ، وما دام صوت ابن سعود يدوي فيجب أن ننظر بين يوم وآخر قيام الحركة العربية »[٣] .

ولقد كان الملك عبد العزيز من أوائل من فكر في الجامعة العربية ودعا إليها وعمل من أجل تحقيقها[٤] ، يقول أحمد عبد الغفور عطار : « فإن كان لأحد

---

(١) صقر الجزيرة ، ص ٩١٣ .

(٢) انظر الغزاوي يرصد المنجزات السعودية شعراً ، ص ٦ .

(٣) الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، ص ٤٥٦ .

(٤) انظر صقر الجزيرة ، ص ١١٩٥ .

فضل في جامعة الدول العربية - الآن - بعد الله تعالى فذلك الفضل لابن سعود ، وإن كان يقاسمه أخوته ملوك العرب ، وأمراؤهم ، وحكامهم ، وأدباؤهم ، وشعراؤهم ، ومفكروهم ، هذا الفضل ولكن الفكرة في الأساس فكرة ابن سعود »[1] .

ثم يقول : « وبغير ابن سعود لا يمكن أن يقام بناء جامعة الأمم العربية بحال وبغير الحجاز ونجد ومكة والمدينة والحرمين لا تكون عروبة ولا إسلام »[2] .

ولقد كانت قضية فلسطين من أكبر القضايا التي شغلت ذهن الملك عبد العزيز وتفكيره ، فقد ناصر قضية فلسطين عربياً ودولياً ، وما فتئ يؤكد في كل مناسبة على قدسية مسرى رسول الله ﷺ ، وأنها قضية العرب والمسلمين جميعاً يقول يرحمه الله : « إن قضية فلسطين إسلامية عربية ، ولا يمكن لأي بلاد عربية أو إسلامية أو لأي حاكم عربي مسلم أن يغفلها ، أو يهملها ، من دون أن يعرض نفسه للانتقادات والتخطئة »[3] .

وفي هذا المجال سعى يرحمه الله إلى الإعلان أن فلسطين أرض اغتصبها اليهود ، ويجب أن يرحلوا عنها ، وأن وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود لا يستند إلى شرعية دولية .

وكان حريصاً يرحمه الله على أن يكون للفلسطينيين حضورهم المباشر والفاعل في المحافل الدولية ، والمؤتمرات الخاصة بهذه القضية[4] .

لكي يطالبوا بحقوقهم المشروعة في رحيل المحتل ، وإقامة دولتهم المستقلة على ترابهم الوطني .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١١٩٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٩٦ .

(٣) الملك عبد العزيز القيادة والشخصية ، ص ١٣٠ .

(٤) انظر الملك عبد العزيز في مرآة الشعر ، ص ١١ .

كما كان يرحمه الله يدعو إلى مناصرتهم ، ومنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين والدعوة إلى عدم تفريغ الأرض من سكانها الفلسطينيين ، وإحلال اليهود محلهم مهما كانت ذريعة المحتل .

لقد كان واضحاً وصريحاً تجاه قضية فلسطين فهي قضية دينية وعربية وكانت تصريحاته تدعو إلى وجوب إخراج اليهود من فلسطين ومقاتلتهم ، وألا يقام لهم كيان فيها يقول يرحمه الله : « إذا قلت لكم : إنه يوجد في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود فإني غير صادق ، ولو أن المقصود اليهود وحدهم فإني أفضل أن تفنى الأموال والأولاد والذراري ، ولا يتأسس ملك اليهود في فلسطين »(١) .

وقد عقَّب الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار على هذه الكلمة بقوله : « وهذه الكلمة الموجزة تدل على عظم قضية فلسطين ، فهي أكبر من الأولاد ، بل هي أعظم لأنها أكبر من الذراري التي يدخل فيها النساء ، فالقضية هي الحياة كلها بما تحوي ومن تحوي »(٢) .

وكانت تعليمات الملك عبد العزيز لأبنائه وسفرائه في مختلف أنحاء العالم هي أن يؤكدوا دائماً في المؤتمرات العامة واللقاءات الخاصة ، على أنَّ أرض فلسطين أرض عربية إسلامية ، قد اغتصبت من أهلها بغير وجه حق ، وأن إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين إنما هو على حساب تشتيت أهلها الحقيقيين(٣) .

إن هذا السعي الحثيث والجهد المتواصل من لدن الملك عبد العزيز لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية ، ومناصرة قضايا المسلمين والعرب ، كانت محل حفاوة الشعراء السعوديين الذين رثوه يرحمه الله فقد أشادوا بهذا المنجز المتميز

---

(١) صقر الجزيرة ، ص ١٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر : الغزي يرصد المنجزات السعودية شعراً ، ص ٧ .

وسجلوه في قصائدهم إعجاباً وإكباراً ، فهذا الشاعر عبد الرحمن المعلمي يبين.أن الملك عبد العزيز طيب الله ثراه كان همه الأكبر أن يجتمع العرب والمسلمون على كلمة سواء ، تحت مظلة واحدة ، وينتمون فكراً ومعرفة إلى المرجعية الشرعية ، فيقام الدين فيها وتنصب أحكامه بينهم . يقول عبد الرحمن المعلمي:

ومداه جمع بني العروبة ثم جمـ ـــع المسلمين على الهدى المقصود

فيقام دين الله خير إقامة فيفيض فيضاً ماله تحديد[1]

ولذلك كان الملك عبد العزيز مناصراً لقضايا المسلمين في كل مكان ولا يخشى في مساندته لهم ونصره إياهم لومة لائم ، وإنما يرجو من الله تعالى الأجر والثواب يقول حسن بن عبد الله القرشي :

يا نصير الإسلام في كل صقع لم يحاذر في نصره لوم لائم

وحليف الهداة تأرز للحـ ـــق وترجو لدى الإله الغنائم[2]

وفي مجال سعيه لتحقيق الوحدة العربية المبنية على العمق الإسلامي كان مشروعه الوحدوي في شبه الجزيرة العربية سبباً في يقظة العرب وانتباههم للأخطار المحدقة بهم .

وأصبح العرب ملء العين يقظتهم من بعد ما قيل عنها أنها حلم[3]

فيوم أن قام عبد العزيز بمشروعه ذلك ، وأقام كياناً مستقلاً ، ودولة مترامية الأطراف ، تطبق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ، كانت معظم البلاد العربية ما تزال ترزح تحت الاستعمار الغربي ، ينهب خيراتها ، ويعبث بمقدراتها ، والعرب مثخنون بالجراح ، فكلما قامت ثورة تحريرية قمعها ذلك الاستعمار ، أو خدرها بوعوده الكاذبة .

---

(١) المنهل ، ربيع الأول ١٣٧٣ ، ص ٢٠٠ .

(٢) أم القرى ١٢ ربيع الأول ١٣٧٣ .

(٣) ديوان الخطيب ، ص ٣١٤ .

لذلك فإن ما قام به الملك عبد العزيز أيقظ العرب من سباتهم العميق ، وكان شعلة حررت النفوس العربية من أسر الذل والخنوع ، وأذكت فيها روح الوحدة ، وذكرت بأمجاد العرب في العصور القديمة ، حينما كانوا سادة أقوياء ، يقول محمد بن أحمد العقيلي :

قمت والغرب والغ في دماء الضـ	**ـاد والشرق شارد الفكر واهم**
مثخن بالجراح ينهشه الدا	**ء وتنتاشه النسور القشاعم**
كلما أنَّ خدروه بمصل	**من وعود السراب أو بالدراهم**
أنت بعث لنهضة قد أقامت	**سنن المجد [للعصور] القوادم**
شعلة حررت نفوساً وأذكت	**هِمماً فاستفاق من كان نائم[1]**

ونظراً لهذا الدور العظيم الذي قام به الملك عبد العزيز ، فقد كان رمز الوحدة العربية والإسلامية .

والمتأمل لقصائد الرثاء التي قيلت فيه يرحمه الله ، يجد أن الشعراء السعوديين يوردون ألفاظاً وعبارات توحي بالانتماء العربي الإسلامي الوحدوي ، فعبد العزيز عاهل الشرق ، وعاهل الإسلام ، وحصن الإسلام ، وأبو النهضة العظيمة للضاد ، وباعث العرب ، وأبو العروبة ، يقول فؤاد الخطيب[2] .

والباعث العرب من أعماق مصرعهم	**والجامع الشمل منهم وهو منفصم[3]**

لقد وهب الملك عبد العزيز عمره لدينه وعروبته ولم يتوانى لحظة واحدة في حياته عن السعي لتحقيق المكانة المرموقة للإسلام وعز العرب والمسلمين ، يقول محمد سراج خراز :

وهب الدين والعروبة عمراً	**كله كان نهضة ووثوب[4]**

---

(١) الأنغام المضيئة ، ص ٣٠ .

(٢) ديوان الخطيب ص

(٣) للمزيد من الشواهد انظر مراثي أحمد الغزوي ، حسن القرشي ، ضياء الدين رجب ، محمد العقيلي ، محمد السنوسي ، محمود عارف .

(٤) أم القرى في ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

الباب الثاني

أدبيات الشعر

الفصل الأول

المعجم الشعري

* الألفاظ .

* التراكيب .

* أهم الظواهر الأسلوبية .

المعجم الشعري

اللغة هي البنية الأساسية التي تشكل العمل الأدبي ، وبعبارة أخرى هي أداة الأدب ، ومن المقومات الأساسية فيه ، وهي بالنسبة للشاعر « المادة الأولى التي يشكل منها وبها بناءه الشعري بكل وسائل التشكيل المعروفة »[1] ويدور النقد الأدبي حول فنية استخدام تلك اللغة ، وتوظيفها توظيفاً فنياً معبراً ، ولذلك ((فالشعر هو فن اللغة))[2] ولا يمكن الحكم على تلك اللغة ((إلا باستعراض الصورة الفنية التي وردت فيها ، وبيان ما تنقله هذه الصورة إلينا من حقائق ومشاعر))[3] وبالتالي فالمقصود باللغة في العمل الأدبي ليس مجرد الدراسة الوضعية للألفاظ والتراكيب ، بل المقصود بها لغة الأديب الخاصة ، التي تكسب العمل الأدبي دلالة إيحائية ، ذات قيمة تكسب الصورة الشعرية رونقاً وبهاءً ، ونجاح العمل الأدبي يتوقف على الدقة في الصياغة ، والشاعر المتميز هو الذي يستثمر خصائص لغته التي يعبر بها باعتبارها مادة بنائه .

((وعلاقة تجربة الشاعر بلغته أوثق وأهم من علاقة تجربة القاص ، أو مؤلف المسرحية في العصر الحديث ، وذلك أن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير من إيحاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به))[4] ويكسبها قيمة جديدة يبعد بها عن ميدان النثر وعن قيمتها فيه ، فهي لغة راقية تختلف عن اللغة العادية

(١) بناء القصيدة العربية الحديثة ، د/ علي عشري زايد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط(٣) ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م ، ص ٤٥ .

(٢) « رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني في العراق » ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط(١) ، ١٩٨٨ ، ص ١٢٤ .

(٣) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب - بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٣٧ .

(٤) النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، بدون تاريخ ، ص ٣٨٦ .

« لأنها لغة أرقى المدارج الشعورية ، تعلو فوق جميع المشاعر ، فهي لغة الخلق الفني »[1] .

ولغة الشعر الحية المتحركة هي تلك اللغة التي يحسن الشاعر التعامل معها ، فيسكب فيها مشاعره وأحاسيسه ، عندما يخرجها عن نمطية الاستعمال ، ويشكل بها كلمات معبرة ، تأخذ أبعاداً وجدانية مغلَّفة بالخيال والمشاعر ، وتتجلى بها طبيعة اللغة في ثرائها وإيحائها[2] .

والشعراء هم سادة اللغة ، وهم الأقدر على إمداد اللغة بمقومات التجدد والحياة . « صحيح أن لكل لغة عبقرية خاصة ، تمد الشاعر بما لديها من تراكيب وصيغ جاهزة ، وطريقة خاصة في الأسلوب ، ولكن الفضل والمزية في حياة اللغة إنما يكون لأدبائها الذين يعبرون بها ، ويبدعون من خلالها »[3] .

وحينما نقف على اللغة التي حملت مشاركات الشعراء السعوديين في رثاء الملك عبد العزيز يرحمه الله ، لابد أن نشير إلى المؤثرات التي أثرت في لغة الشعر عندهم .

وهنا نشير إلى عاملين أساسيين أثرا في المعجم الشعري عند أولئك الشعراء، فالعامل الأول : ثقافة الشعراء اللغوية التي اكتسبوها بقراءاتهم المختلفة في مصدري التشريع الإسلامي ، القرآن الكريم والحديث الشريف ، وفي تراث أمتهم الخالد ، في مصادره الأساسية أدبية وتاريخية[4] .

---

(١) خليل مطران شاعر الأقطار العربية ، جمال الدين الرمادي ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٠٧ .

(٢) انظر : الصورة الشعرية د. ساسين عساف ، ط(١) ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت .

(٣) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث د/ شلتاغ عبود ، دار المعرفة ، ط(١) ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧، ص ٦٦ - ٦٧ .

(٤) انظر ص ٤٤ من هذه الدراسة(مبحث التراث) .

والعـامل الـثاني : تأثـرهم بواقـع العصـر الـذي يعيشـون فيه « ذلك لأن الشاعر يعيش وسط المجموع ، وفي إطار فترة تاريخية تتميز عن سابقتها ولاحقتها أهمهـا الـتطور الحضـاري ، الـذي يؤثـر بصـورة أو بأخرى بكل مجريات الحياة ويطبعها بالطابع العصري »[١] .

فالشـعراء لم يكونـوا بمعـزل عـن هـذا الـتطور ، وذلـك واضـح من خلال ألفاظهم ، وخصوصاً فيما يتعلق برصد المنجزات .

والألفـاظ أول مـا يصـادفنا عند الحديث عن المعجم ، لأنها اللبنة الأساسية في أي تعبير ، سواء أكان ذلك التعبير أدبياً أم غير أدبي .

وهـي [الألفـاظ] تـراث مشـترك بـين أصحاب اللغة منذ الوضع الأول ، ومهمـة الشاعر والأديب تتمثل في انتقاء ما يحقق أغراضهم ، ويفي بمقاصدهم ، ولا يمكن أن يكون لهذه الألفاظ مزية خارج إطار التركيب ، لأنها والأمر كذلك لا تفيـد فائدة يحسن السكوت عليها ، ولا يقوم بها كلام « وإنما يحسن السكوت عـليها إذا أجـريت وراءهـا خيطاً من العقل والحس ، يربط بعضها ببعض وهذا الخيـط الـذي يجـري وراء الكـلمات ، هـو محـض الكـلام ، وهو حقيقة ناطقية الإنسان »[٢] .

وقـد وقـف الـنقاد عند الألفاظ باعتبارها جوهر الصياغة ، ولبنتها الأولى ، فاشـترطوا لهـا شـروطاً ، وحرصـوا أن تكـون سـالمة مـن العيـوب ، بعيدة عن الإبتذال .

---

(١) شـعر حسـين سرحان ، دراسة نقدية ، أحمد عبد الله المحسن ، النادي الأدبي في جدة ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ١٧١ .

(٢) دلالات التراكيـب ، د. محمـد أبـو موسـى ، مكتـبة وهـبة ، ط(٢) ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٠٤ .

وعند الوقوف على القاموس اللغوي في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ، يبرز لنا بعض صفات الألفاظ .

من ذلك ألفاظ تتعلق بحالة الراثي وما جسده الحدث في نفسه من ألم وحزن ، فنجد ألفاظ الخطب ، والمصاب ، والحسرة ، والبكاء ، والجزع ، والخوف ، والتوجع ، والأرق ، واللهفة ، والإحساس بالفقد ، والهموم ..

وباستطاعتنا الوقوف على كثير من هذه الألفاظ عند كثير من الشعراء من ذلك ما جاء عند أحمد الغزاوي في قوله :

فدح الخطب واستطار المصاب وبكى الشعب حسرة والشعاب(1)

انظر إلى الألفاظ (فدح - استطار - حسرة) تجدها ألفاظاً تنبئ عن نفسٍ حزينة ملتاعة وقوله :

أنصفوني فلست والله إلا مضغة شفها البلا واللغاب

كبت الحزن والردى كل قلبٍ صهرته الفجيعة المنعاب

وأراني وقد شرقت حطاماً لا أعي ما أقول لولا المثاب(2)

انظر إلى الألفاظ (كبت - الحزن - الردى - صهرته - الفجيعة - شرقت - لا أعي) كلها تصور لنا الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر .

ومن ذلك قول فؤاد الخطيب :

وكيف أملك حتى النطق من جزعٍ إني لينطق عني وحدة الألم(3)

---

(1) أحمد الغزوي وآثاره الأدبية ص ١٢٧٥ .

(2) المصدر السابق ص١٢٧٦

(3) ديوان الخطيب ص ٣٠٨

وقوله :

يـا ويلـتاه لقـرب قـد لقيـت بـه … من صـدمة الصد مـا شابت له اللمم[1]

وقوله :

وإنَّ لـي زفـراتٍ عـندما اندلعـت … مـني اتقت حرها النيران تحتدم[2]

ولـك أن تـتأمل الألفـاظ في الأبيات السابقة ، وما يشع فيها من حزن وألم ، يجسـد مـا يعانيـه الشـاعر ، انظر إلى الألفاظ (جزع - الألم - يا ويلتاه - صدمة الصد - زفرات - اندلعت - حرها - النيران) .

وهـناك ألفاظ تتعلق بالمرثي نفسه ، بوصفه نقطة الارتكاز في قصيدة الرثاء ، وهي ألفاظ تتناول شخصية المرثي ، وتبرز ما يتمتع به من صفات وخصال ، تميز بهـا مـثل : الشـجاعة ، والكـرم ، والعـدل ، والتقوى والحزم .. وغير ذلك من الألفاظ التي وردت قاموس البطل في الشعر العربي في سياق المدح والرثاء[3] .

وبـرزت ألفـاظ دارت حـول الـبكاء ، ومـا يسـتتبع ذلـك من تقرح العيون وقذاها وانهمار الدموع ، وحرارتها .

انظر إلى قول أحمد الغزاوي :

فكـأن القـلوب توقـد نـاراً … وكـأن العيـون مهـل مـذاب

وقوله :

ايـه يـا عـبرة تحـور اختـناقاً … أنـت لا الـنزع لـلحياة اسـتلاب

صـاعق لـم يـذر ولـم يـبق مـاءً … فـي جفـون غمـارهن السـحاب[4]

---

(١) ديوان الخطيب ص ٣١٠

(٢) ديوان الخطيب ص ٣١٤ .

(٣) انظر مبحث شخصية الملك الفصل الأول من هذه الدراسة ص ٢٢-٤٣.

(٤) الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ١٢٧٧ .

وقول عبد الله بن خميس :

فأجهش بدمعك ما استطعت وهاته   حـــران يلـــتذع الخـــدود ســـخينا[1]

٢ - وفي مجـال رصـد المـنجزات بـرزت ألفـاظ ذات طـابع يجسـد الإعتزاز والتـباهي بتـلك المـنجزات : مـثل - الـزهو ، والفيـض ، والـثمار ، والـرواء ، والتيه ، والمجد .. الخ .

يقول طاهر زمخشري :

روى أنفســاً كــان الشــتات يــلفها   فوحدهـــا حـــول المـــناهل ســـاقيا

مـــناهل يجـري بالـــروافد فيضـــها   ويسـقي بأحـلى الأمـنيات الصـواديا

إلى أن زهـت أرضـاً وطـابت ثمـارهـا   توسـد مـنها الـترب وارتـاح راضيا[2]

كمـا بـرزت ألفـاظ الموت ، والدهر ، والمؤت ، والمنية ، بجانب ألفاظ القبر ، والدفن ، والنعش ، والدعاء ، والجنة ، والخلود ... الخ .

يقول محمد علي قطب :

مـــا دار فـــي خـــلد الـــبرية كـــلها   أن الفخـــار يمـــوت والإحســـان[3]

ويقول الغزاوي :

مـــات عـــبد العزيـــز رحمـــاك ربـــي   أتغيـــض الـــبحور وهـــي عـــباب[4]

ويقول محمد بن بليهد :

ماللمـــنية أمســـى لـيـــس يكفيهـــا   ما ألقت الحرب والأحداث في فيها[5]

---

(١) البلاد ٥ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) المنهل ص ١٩٩ .

(٣) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ١٢٧٥ .

(٥) ابتسامات الأيام ص ٤٣٤ .

ويقول فؤاد شاكر :

فارقد اليوم في ظلال من الخلد وفيما صنعت واسعد مآباً
وعليك الرضوان كالأنبياء والر سل طابوا في الخالدين وطابا(1)

ولما كانت وفاة الملك عبد العزيز حدثاً غير عادي بالنسبة لشخصية مثله ، لها ثقلها ومكانتها على الصعيدين الداخلي والخارجي ، برزت ألفاظ تجسد عظم الكارثة ، ووقع المصيبة : مثل : روع - استفز - دهى - يصدع - المصاب - الخطب - الذهول - الرزء - الثكل ... الخ .

يقول حسن القرشي :

روَّع العرب واستفز العوالم ودهى الشرق فهو أسيان واجم
نبأ يصدع الرواسي وتهذي لصداه النهى وتبكي العواصم(2)

ويقول عبد الله بن خميس :

لله أفئدة تذوب وأنفسٌ ثكلى على حرِّ المصاب طوينا
صعقت بهول لو يصاب بمثله (رضوى) لأمسي في التراب دفينا(3)

ولما كانت قصيدة الرثاء هي قصيدة الموضوع ، فقد كانت أدبيتها واضحة قريبة ، مع بروز القيمة المعرفية التي طغت على شعر الرثاء عند الشعراء السعوديين لذلك فالألفاظ تبدو واضحة سهلة ليس فيها تعمية ولا غموض ، ويصل الوضوح عند بعض الشعراء إلى مستوى يهبط فيه النص إلى درجة النثر ، فيصبح خالياً من الإنفعال ، والصور ، والظلال ، والإيحاء ، ولا يمتُّ إلى الشعر بصلة ، سوى من جهة الوزن والقافية ، من ذلك قصيدة عبد الرحمن المعلمي ومنها قوله :

---

(1) وحي الفؤاد ص ٢٥٨ .

(2) البلاد ٣ / ٣ / ١٣٧٣ .

(3) المصدر السابق ٥ / ٣ / ١٣٧٣ .

والعلم لا تحصى المدارس والمعا	**هد في البلاد تقود**
في كل قطر لـلحكومة موردٌ	**من مال طلاب العلوم تجود**
لكن حكومتنا على طلابنا	**بالمال طول مدى الطلاب تجود**
كم طالب تجري له مالم ينل	**في الهند استاذ لهم وعميد**[1]

فالألفاظ في النص السابق لم تتجاوز الدلالة المعجمية حيث نقلت إلى المتلقى الحقائق والأفكار كما هي دون أي مسحة فنية .

ومن ذلك قصيدة عبد الرحمن عثمان ومنها :

ومضى إلى الأخرى وخلف	**نا بأفئدة كسيرة**
وبأنفس (يا ويلها)	**من عظم فادحة حسيرة**
لكننا للصبر ثبنا	**إذا تأملنا سريره**[2]

فالألفاظ وإن كانت واضحة إلا أنها لم تحرك وجداناً ، ولم تستثر خيالاً ، إنما هي ألفاظ توصيلية ليس إلا .

ونقف على مثل ذلك عند عدد من الشعراء ومنهم صالح بن سحمان وعبد الله بن عبد العزيز المبارك ، وعلي حافظ ، ومحمود عارف ، وفؤاد شاكر . على تفاوت بينهم .

وإذا كان الوضوح هو السمة الغالبة في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز ، فإن بعض الشعراء قد وفق في انتقاء الألفاظ العذبة الرشيقة الخلاقة . نجد ذلك عند محمد هاشم رشيد ، ومحمد حسن فقي ، وطاهر زمخشري ، وحسن عبد الله القرشي .

ومن ذلك قول محمد هاشم رشيد :

إن تهاوت في لجة الألم الدامي	**وضجت مجروحة الأصداء**

(١) المنهل ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٣ .

فالشـــعاع الـــذي أنـــار ديـــا جيهـــا وضـــم الآفـــاق بالأضـــواء
غـير نجـم يـزجي الضـياء حزيـناً بـــين تـــلك الغمـــائم الدكـــناء
يـتحدى الضـباب والـليل واليـأس ويســـري فـــي عـــزة وإبـــاء
ورنـــا العـــالم المـــروع لـــلكوكب يهفـــو فـــي لجـــة الـــلألاء[(١)]

والـذي نـلحظه عـلى الألفـاظ في الـنص السابق أنها لغة مجازية إيحائية ومع كونها قريبة من الإدراك لكنها تسطع بوهج الفن الشعري .

وحيـنما نقـف عـلى قصـيدة محمـد حسـن فقـي (مصرع ورجل) نجد أنه استخدم كثيراً من الألفاظ استخداماً مجازياً - النبع - الأمل - النجم - الشهاب ... الخ .

أيهـــا النـــبع صـــافياً سلســـبيلاً كـان يـروي العطـاش عذب شرابه[(٢)]

ونقـف عـلى نصـوص طائفة أخرى من الشعراء ، فنجد ألفاظاً قوية فخمة جـزلة . ويظهـر ذلـك عند أحمد الغزاوي ، وضياء الدين رجب ، وعبد الله بن خميس وفؤاد الخطيب .

وتلاحـظ بروز بعض الألفاظ الإبتداعية الجديدة عند بعض الشعراء المنتمين إلى المدرسـة (الرومانـتيكية) مثل - الرؤى - القيثارة - المعزف - العبقري ... وهي ألفاظ مستحدثة ذات دلالات نفسية ، تحمل شحنات إيحائية ، نجدها بكثرة في قاموس محمد هاشم رشيد :

والـرؤى البـيض فـي مـباهجها الـنـ ـشـوى شـعاع مضـرَّج بالدمـاء[(٣)]

ولك أن ترى ما في لفظة (الرؤى) من جمال في الإيقاع ورشاقة وعذوبة :

إيـه عبد العزيـز قـد حطـم الشعر جـــناحيه وارتـــمى فـــي عيـــاء

---

(١) اليمامة ، العدد الرابع ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ١٤ .

(٢) ديوان قدر ورجل ص ٣٣٦ .

(٣) اليمامة ص ١٤ .

ساهماً ترسل الدموع مآقيه ويهفو قيثاره للرثاء[1]

فالشاعر استخدم كلمة [قيثاره] بصيغة المفرد والمذكر .

وبنظرة عامة لألفاظ قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي نرى أنها في معظمها رقيقة موشحة بالحزن والأسى ، وذلك راجع لطبيعة الغرض وعاطفة الشاعر الحزينة ، التي تتطلب مثل تلك الرقة ، وذلك الحزن .

• • • •

أما التراكيب فهي لا تقل أهمية عن الألفاظ المفردة ، إذ هي نسق الكلام ونسجه المتألف من تلك الألفاظ ، وهذا النسج أو النسق ، هو الذي ينقل إلينا المعاني مترجمة في الصورة الشعرية التي أبدعها الشاعر ، من خلال التأليف والترتيب الذي سماه عبد القاهر (نظم الكلم) ذلك » لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني ، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وليس هو النظم الذي معناه ظم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق «[2] .

والشاعر المتميز هو الذي يحسن اختيار اللفظ المفرد ويضعه في مكانه المناسب من الجملة ، ثم يضع الجملة في المكان الذي يقتضيه المعنى من البيت ، أو المقطع ، وبذلك تتآزر الألفاظ والتراكيب لتقوم بالمعنى » لأن كل ما في النفس من قلق ونبض ، وكل ما تحسه الروح ، ويفور به القلب ، لا يجد مسرباً إلا هذه الكلمات وهذه التراكيب «[3] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمد محمد شاكر ، ط(١) ، مطبعة المدني ، ١٤١٣ هـ ، ص ٤٩ .

(٣) دلالات التراكيب ، د/ محمد أبو موسى ، ص ٢١ .

وعـندما نقف على قصيدة رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي ، نجد أن التراكيـب قـد ارتـبطت بالموضـوع ، مثلها مثل الألفاظ ، حيث نقلت لنا أثر الفاجعـة وصـورت لـنا خـلجات الـنفوس الملتاعة ، عند الشعراء ، وأبرزت لنا شخصـية الفقيـد الفـذة ، ومـنجزاته العظـيمة ، ولم يخـرج الشـعراء في أساليب الصياغة عن نمط القصيدة الرثائية في الشعر العربي .

ويـتفاوت أسـلوب الشـاعر داخـل القصيدة الواحدة ، وذلك راجع لطبيعة المعنى الذي يفرض ألفاظاً وتراكيب معينة .

فأسلوب الحزن غير أسلوب المدح ، ورصد المنجزات والإشادة بها .

انظر إلى قول محمد بن أحمد العقيلي :

قـلت والأفـق مدلهـم الحواشـي ... والأسى مطبق عـلى الأرض جـاثم
وهـزيم الأثـير يهـدر بـالأنـ ... ـباء والكـون مـرهف الحـس واجـم
والسـكون الـرهيب ينـتظم الآفـاق ... والـنجم سـاهر الطـرف سـاهم
أيهـا العـاهل العظيـم تـأمل ... (لـك فـي الأرض والسماء مآتم)[1]

ففـي الأبيـات السـابقة نلاحـظ أن الشـاعر رسم لنا صورة متشحة بالسواد والكآبـة (فـالأفق مدلهـم ، والأسـى مطـبق ، وهـزيم الأثـير يهـدر بالأنـباء ، والسكون الرهيب ، والنجم ساهر ، والطرف ساهم .. الخ).

ثم انظر إلى قوله :

يـا أبـا النهضـة العظيمـة للضـا ... د ومحيـي تـراثها والعظـائم
لـك مجـد مخـلد كسـنا الشـمس ... يجـوب الدنـا ويغشـى العوالـم
تـتوالى السـنون وهـو مضـيء ... يـتعدى أشـعة الفجـر باسـم
أنـت مـن صـاول الأسـود اقـتداراً ... واجتـنى النصر من نيوب الضراغم
يـتوقاك كـل ضـارٍ ويخشـى ... مصـعقات الدهـاء مـنك الحوائـم

(١) الانغام المضيئة ص ٣٠ .

عـرفو فيـك نيِّـر العقـل مقدامـاً   عـلى الحادثـات فـي الـروع حـازم[1]

فالصيـغ الـتي اسـتخدمها الشـاعر هـنا جـاءت مـتوافقة والمعنى الذي يريد والـذي هـو بصـدده ، فهـو في موقـف الإشادة بالمنجزات الحضارية التي حققها الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، لذلك بدت الألفاظ والتراكيب مشرقة ، تفيض بـالإجلال والـتقدير لصـاحب تلك المنجزات ، انظر إلى قوله (لك مجد مخلَّد - كسنا الشمس - وهو مضيء - يتحدى أشعة الفجر باسم - يتوقاك كل ضار - عرفو فيك نيِّر العقل ... الخ) .

وعـند الـنظر إلى تـراكيب الشعراء في رصدهم للمنجزات ، نجد أنها جاءت سـاردة لهـا ، تميل إلى التوجيه المباشر المقرر . غير أن بعض الشعراء استطاع أن يجمـع إلى ذلـك ، التعبير الوجداني المبرز لامتزاجه النفسي والروحي مع حدث الوفـاة ، في لغـة واضـحة ، بعيـدة عـن الإيهام والغموض ، كما هو الحال عند طاهر زمخشري في قصيدته اليائية ، ومحمد هاشم رشيد .

والشـعراء السـعوديون في قصيدة الرثاء متفاوتون في القدرة على الربط بين الـناحية الشعورية والناحية التعبيرية ، فهم ليسوا على درجة واحدة من الإقتدار والإجـادة ، في السـبك وتحقيـق جمـال العـبارة ، وسلاسة التركيب ، فمنهم من يـتميز بعـبارة آخـاذة فيها سلاسة ، وحسن تركيب وتآليف ، وهم قلة من أمثال الخطيـب والزمخشري ، والفقي ، ومحمد هاشم رشيد ، والقرشي ، وضياء الدين رجب .

وفي المقـابل نجـد الضعف التركيبي ، والتفكك الصياغي ، والتجافي عن فنية الشعر ، عند طائفة أخرى من الشعراء . انظر إلى قول عبد الله بن شاهين :

مـا كـنت فـوق الأرض كسـرى وقـتـه   أو قيصـــراً بـــل واحـــد الأمــار

(١) المصدر السابق ص ٣٢ .

وأعـدت عهـد الراشـدين وسـمتنا	**مسترشداً في الحكم هدى الباري**
إن غـبت عـنّا لـن تغيـب مآثـر	**لـك فـي القـلوب سـواطع الأنـوار**
خمسـون عامـاً بـل تـزيد قضـيتها	**تحمـي العدالـة مـن شـنى الأشـرار**[1]

وتمعّن قوله [واحد الأمار] التي حورها الشاعر عن بنائها اللغوي لتسلم له القافيـة ، وكذلك استخدامه كلمة [شنى] في غير موضعها ، وانظر إلى عبارة (سـواطع الأنـوار) التي ليس لها ارتباط بما قبلها ، وكيف اقحمت لإتمام الوزن ، وانظر عبارة (شنى الأشرار) وما فيها من ثقل وتجافي .

● ● ● ●

وإذا مـا انتقلنا لأهم الظواهر الأسلوبية في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي فإننا نجد من ذلك :

- **أسلوب التكرار** : وهو من أبرز الظواهر الأسلوبية التي اعتمد عليها الشعراء السعوديون في رثائهم للملك عبد العزيز يرحمه الله .

وهو ظاهرة أسلوبية عرفها الشعر العربي منذ عصوره الأولى ، وقد أشار إلى ذلك عدد من النقاد والدارسين قديماً وحديثاً[2] .

وقـد أكثر منه الشعراء في العصر الحديث ، تأكيداً للنزعة الذاتية عند شعراء النهضـة والإحيـاء ، ولأنـه يصـور حدة إحساس الشاعر الوجداني وتفاعله مع

---

(١) اليمامة ، العدد الرابع ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ١٧ .

(٢) انظـر الصـناعتين لأبـي هـلال العسـكري ، تحقيق د/ مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(٢) ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ، والعمـدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عـبد الحميـد ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط(٤) ، ١٩٧٢ م ، جـ(٢) ، ص ٧٣ - ٨٠ ، والمرشد إلى فهـم أشـعار العرب وصناعتها ، د/ عبد الله الطيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط(٢) ، ١٩٧٠ م ، ص ٤٩٠ .

العالم الخارجي[١] بل إنه في فترة من القرن العشرين عُدّ التكرار في بعض صوره لوناً من ألوان التجديد في الشعر[٢] .

ولم يقتصر الإهتمام بالتكرار على الشعراء فقط ، بل اهتم به أيضاً النقاد ودارسوا الأدب ، فتناولوه محاولين تحري أشكاله ودلالاته كنازك الملائكة[٣] وهلال ناجي[٤] وغيرهما .

وأهمية التكرار تكمن في الإيحاء الدلالي لتوالي الألفاظ والعبارات ، ولذلك «كثيراً ما نجد التكرار لغرض فني يثري التجربة الأدبية ويغنيها ، ولا يكون وروده محض تكرار لفظي »[٥] .

والمتأمل في هذا الأسلوب بمظاهره المختلفة لدى شعرائنا في قصائدهم الرثائية ، يدرك أنه لم يأت عبثاً ، وإنما جاء لتأكيد المعنى وتقويته ، وإقرار حقيقته في نفس المتلقي ، كما استقرت في نفس الشاعر فيدعوه للتفاعل معه ومع عواطفه التي يحاول إبرازها ، والتأكيد عليها من خلال التكرار .

والتكرار ذو دلالة نفسية فهو « يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها »[٦] .

---

(١) محمد حسن عواد شاعراً ، آمنة عبد الحميد ، دار المدني ، جدة ، ط(١) ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٣٥١ .

(٢) قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(٩) ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٦٣ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٢٦٣ - ٢٩١ .

(٤) انظر شعراء معاصرون ، لمصطفى السحرتي ، وهلال ناجي ، ١٩٦٢ م ، ص ٦١ وما بعدها .

(٥) في الأدب السعودي ، رؤية داخلية ، يوسف حسن نوفل ، مؤسسة الأصالة للثقافة والنشر ، الرباط ، ط(١) ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٨٩ .

(٦) قضايا الشعر المعاصر ص ٢٧٦ .

وقد جاء التكرار في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي على ثلاثة أنواع : الأول تكرار الحرف ، والثاني تكرار الكلمة ، والثالث تكرار الجملة .

فمن تكرار الحرف قول أحمد الغزاوي :

فإذا الصعب في يديه ذلول	**وإذا الجدب في ذراه اختصاب**
وإذا الدين للهداة منارٌ	**وإذا العلم في ضحاه قباب**
وإذا العرب دولة ذات بأسٍ	**وهي من قبله (لقى) ويباب**
وإذا البؤس والشقاء نعيمٌ	**وإذا الشاء والذئاب صحاب**
وإذا البيد بالحدائق زهرٌ	**وإذا الغيد عفةٌ وحجاب**[1]

ففي هذه الأبيات كرر الغزاوي الحرف (إذا) اثنتي عشرة مرة متبعاً إياه في كل مرة بمنجزٍ من المنجزات التنموية وصرحٍ من الصروح الحضارية التي حققها الملك عبد العزيز طيب الله ثراه والغزاوي يرمي من وراء هذا التكرار إبراز النهضة التي تحققت في الجزيرة العربية في زمنٍ قياسي وبشكل غير مسبوق مما يثير الدهشة والاستغراب ويدعو إلى الفخر والاعتزاز بهذه الإنجازات العظيمة التي حققها المؤسس العظيم في فترة زمنية قصيرة ، وكيف قامت هذه النهضة على أسس ودعائم لا تكاد تتوافر مجتمعة في أي مجتمع من المجتمعات بهذا الشكل وهذا الأنموذج الفريد ، فكل حضارة وتقدم في أي مجتمع من المجتمعات عرضة للتصدع والإنهيار لافتقاره لأهم المقومات التي تكفل استمراره وازدهاره وهي كما يرى شاعرنا تتمثل في الوحدة المبنية على العقيدة السليمة والعدل والأمن وعلى ذلك فالتكرار في الأبيات السابقة جاء ليؤكد إمكانية نهوض المجتمع السعودي معتمداً على تلك الأسس خلافاً للمشككين في ذلك .

وقد أتاح ذلك التكرار استيفاء كل الأدلة على نجاح المشروع السعودي

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ص ١٢٧٦ .

القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

كما نلاحظ في الأبيات السابقة تكرار حرف (الواو) وذلك لغرض الربط بين الأشطر والأبيات .

وحينما نطالع قصيدة محمد سراج خراز نجد أنه كرر (إذا) أربع مرات في قوله :

فإذا بالعيون وهي دموع وإذا بالقلوب وهي وجيب
وإذا بالنفوس وهي اضطرابٌ وإذا تكلم الوجوه شحوب(1)

وإذا تأملنا في التكرار في البيتين السابقين نجد أنه يشف عن نفسٍ مضطربة حزينة ، يعتصرها الألم لفقد العاهل العظيم ، يظهر ذلك من خلال تصوير الشاعر لمظاهر الحزن التي عمت الناس جميعاً ، والشاعر من خلال التكرار يحاول إبراز تلك المظاهر وتأكيدها في نفس السامع والمتلقي .

أما تكرار الكلمات فلا تكاد تخلو منه قصيدة وهو على شقين : تكرار أسماء ، وتكرار أفعال .

فمن تكرار الأسماء قول أحمد الغزاوي :

ما مصابي كواحدٍ من معدٍّ بل معد بإسرها الإنتحاب
بالعظيم ، العظيم ، يرتد عنه كل طرف وتقصر الأحساب(2)

فالشاعر كرر كلمة (معد) وصفة (العظيم) وفي ذلك دلالة توحي بالمكانة الرفيعة التي تبؤها الفقيد ، وأصبحت ميزة تميزه عن غيره مما يندر أن يشركه أحد في تلك الصفة ، ولذلك جاء التكرار ليؤكد ذلك ويثبته .

وحينما تطالع قصيدة طاهر زمخشري اليائية ترى التكرار في قوله :

---

(1) أم القرى ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(2) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ص ١٢٧٥ .

مقاديـر أرسـت فـي حمانـا المراسيا **بضـحوة يـوم عـاد بالـرزء داجيـا**
مقاديـر فـلَّت بـالعوادي ودكدكـت **عـزائم صـدق لا تـبالي العواديـا**[1]

فالشـاعر كـرر (مقادير) مرتين ، و(مقادير) هنا خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هـي) أو (هذه) وهذا التكرار الذي استهل به الشاعر قصيدته يبرز لنا مدى الصـدمة ، وهول الكارثة ، وفداحة الخطب ، بحيث اهتز لها كل شيء ، كما أنها في نفس الوقت توحي بالاستسلام الكامل لقضاء الله وقدره .

وإذا مـا انتقلـنا إلى الأفعـال فإنـنا نجـد تكـرارها قـليلاً جداً بالنسبة لتكرار الأسماء .

فمن تكرار الأفعال قول علي حسن غسان :

سل الجود كم أعطى وصدَّق واتقى **وكـم مـن يـد أسـدى تنافسـها يـد**
سل العفو كم قد صيَّر الخصم مخلصاً **ومـاتت بـه كـل السـخائم والحقـد**[2]

فالشـاعر كرر فعل الأمر (سل) وأعقبه بـ(كم) الخبرية التي تعني (كثير) وأراد بذلك التأكيد على ما كان يتمتع به الفقيد من كرم وجود والعفو جزء من كـرمه وجـوده طيـب الله ثـراه ، والتكرار هنا لفظي ، ومعنوي ، فاللفظي ظاهر والمعنوي فيما تحمله (كم) من دلالة الكثرة التي لا حصر لها .

أما تكرار الجمل فنجده عند بعض الشعراء من ذلك قول طاهر زمخشري :

مقاديـر فـلَّت بـالعوادي ودكدكـت **عـزائم صـدق لا تـبالي العواديـا**
رمـتها وأصـمت كـل سـمعٍ ومـزقت **نيـاط فـؤاد سـال بـالدمع شـاكيا**
رمتها بعـادٍ مـرعف الحد لا يـني **يصـايل جـباراً ويطعـن قاسـياً**
رمـتها بعـادٍ لا تفـل قـناته **إذا مـا رمى سـهماً أصـاب المـراميا**
رمـتها بغـول المـوت يخـتار سـيداً **وعـادة هـذا المـوت يخـتار غاليـا**[1]

---

(١) المنهل ص ١٩٨ .
(٢) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

فالشاعر كرر لنا عبارة (رمتها) أربع مرات ، كاشفاً عن حسرته وعمق حزنه ، ومن خلال التدقيق في الأبيات يتكشف لنا لماذا كرر الشاعر عبارة (رمتها) ولماذا اختار الفعل (رمى) أصلاً .

وقصد الشاعر أن يكشف أن الموت لم يقع مصادفة ، ولذلك صوّر المقادير في صورة صيادٍ ماهر ، خبير يتفرس الصيد ويعرف ماذا يختار ، فالصيد كثير وهو لا يريد إلا السمين منه[2] . كما أن آلة الصيد عند ذلك الصياد تمتاز بالسرعة والدقة في إصابة الهدف[3] .

والتكرار جاء ليكشف عن هذا المعنى ، ويؤكده كما استقر في ذهنه .

ومن تكرار الجملة قول حسن بن عبد الله القرشي :

قيل أودى عبد العزيز فمادت من صروح العلا أشد الدعائم

قيل أودى عبد العزيز فقلبي طافح بالأسى وطرفي ساجم

قيل أودى عبد العزيز فلهول صراخ وفي النفوس مآتم[4]

فتلاحظ أن الشاعر كرر عبارة (قيل أودى عبد العزيز) ثلاث مرات وفي كل مرة يعقبها بذكر الأثر الذي خلفه نبأ الوفاة . والشاعر يرمي من وراء ذلك إلى بيان ما أحدثه هذا الخبر من صدمة عنيفة هزت كل شيء .

ثم إن هناك ملاحظة أخرى ، وهي أن الشاعر استخدم الفعل المبني للمجهول (قيل) ولعل في ذلك دلالة على الإضطراب الناتج عن الصراع

---

(١) المنهل ١٣٧٣ هـ ، ص ١٩٩ .

(٢) انظر إلى قوله :

رمتها بغول الموت يختار سيداً وعادة هذا الموت يختار غاليا

(٣) انظر إلى قوله :

رمتها بعادٍ مرهف الحد لا يني يصايل جباراً ويطلق قاسيا

(٤) البلاد ٣ / ٣ / ١٤٧٣ هـ ، وأم القرى ١٣ / ١٣ / ١٣٧٣ هـ .

الداخلي ، الذي يعيشه الشاعر ، فخبر الوفاة بالنسبة له كان صدمة أذهلته ، فهو بين مصدق ومكذب لهذا الخبر ، ومجيء الفعل (قيل) مبني للمجهول يكشف عن ذلك الإضطراب وذلك الصراع .

ومن تكرار الجملة الفعلية أيضاً قول عبد الله بن إدريس :

نعت الجزيرة عاهلاً كبّاراً	**ملأ الزمان مكارماً وفخارا**
نعت الجزيرة عزها وهناءها	**وضياءها والكوكب السيارا**
نعت الجزيرة ركنها وعمديها	**في النائبات وليثها المغوارا**
نعت الجزيرة أمنها ورخاءها	**عبد العزيز القائد القهارا**
نعت الجزيرة مجدها وعلاءها	**عبد العزيز الصارم البتارا**[١]

فالشاعر كرر عبارة (نعت الجزيرة) خمس مرات ، وفي كل مرة يعقلبها بذكر جملة من صفات الفقيد العظيمة ، ومنجزاته الخالدة ، ولعل الشاعر يريد من وراء ذلك التكرار أن يبين مدى الخسارة التي منيت بها الجزيرة العربية ، حين فقدت ذلك العظيم في شخصه وإنجازاته .

فالتكرار في جميع ما سبق بقدر ما كان تقوية للمعاني وتأكيداً لها ، فإنه أيضاً كشف لنا عن المشاعر النفسية ، والانفعالات الوجدانية المرتبطة بتلك المعاني .

● ● ● ●

وحينما نتتبع الأساليب الرثائية لدى الشعراء السعوديين في رثائهم للملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، يبرز أمامنا **أسلوب الإستفهام** ، الذي وجد فيه الشعراء وسيلة لإبراز مشاعرهم الحزينة ، والتعبير عن حدة انفعالهم ، وإحساسهم المر بالفقد ، هذا في جانب ، وفي جانب آخر جاء ناقلاً لمظاهر التباهي بشخصية الفقيد ، وما تميزت به من جميل الخلال ، وكريم السجايا ،

---

(١) ديوان في زورقي ص ١٦٩ .

وأيضاً ما حققه من إنجازات أضحت رمزاً يبعث على الفخر والاعتزاز .
ولذلك نرى الإستفهام يخرج في الغالب عن قصد طلب فهم المراد ، إلى معاني كثيرة تفهم من خلال السياق .

ومن أدوات الاستفهام التي وظفها الشعراء في موضوع الرثاء (الهمزة ، وهل ، ومن ، وما ، وكيف ، وأين ، وأي) .

فمن توظيف الهمزة قول أحمد الغزاوي :

مات عبد العزيز رحماك ربي   أتغيض البحور وهي عباب[1]

فالغزاوي يستفهم استفهام المتعجب المنكر في نفس الوقت لوقوع هذا الحدث ، وانظر إلى مقارنة الشاعر بين موت الملك عبد العزيز وبين أن تغيض البحور وما في ذلك من دلالات .

ومن الاستفهام بالهمزة أيضاً قوله :

إن خير البيان عندي صمت   هو في معرض الرثاء العجاب
أفأقوى عليه إذ هو جمرٌ   فيه أُلقي وبالشواظ أذاب[2]

فالاستفهام هنا جاء ليشف عن مدى اللوعة والحسرة التي سببها ذلك الفقد ، وجاءت الهمزة لطلب التصور .

ومن همزة الاستفهام أيضاً قول حسن القرشي :

كلهم سائل أحق نأى   عاهل العرب عبقري المكارم[3]

ويأتي الاستفهام هنا ليبين حالة اليأس وعدم الثبات الذي ولد الاضطراب النفسي ، فالأمر ملتبس ويريد الشاعر أن يستبين الحقيقة ، ولذلك فالاستفهام

---

(١) الغزاوي وآثاره الأدبية ص ١٢٧٥ .
(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٣) أم القرى ١٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

هنا للتصديق .

وكما وظف الشعراء همزة الاستفهام فقد وظفوا (هل) الاستفهامية التي تحمل معنى الطلب والتصديق والتقرير .

ومن ذلك قول محمد حسن عواد :

فهل يدرك الفانون أن حياتهم تجارب تجتاز الممر المكررا
وأن لها فيها مجالاً ممهداً تمارس فيه المسترد المخيرا[1]

فالشاعر يقرر حقيقة واقعة ، وهي أن الحياة دار ممر ، وليست دار قرار ، ويتجاوز الشاعر مجرد التصديق إلى التأكيد على هذه الحقيقة الحتمية ، من خلال استخدام أداة التوكيد (إنَّ) .

وقد استخدم الشاعر فؤاد الخطيب (أم) بعد (هل) التي يطلب بها التصديق في قوله :

هي الجزيرة فيها الصيحة العمم فهل هو الحشر أم أشراطه أمم[2]

ومن المعروف أن (أم) التي هي لذكر المعادل تمتنع مع (هل) التي تأتي لمعرفة النسبة ، ويمتنع بعدها ذكر المعادل .

ويخرَّج ذلك بأن (أم) هنا منقطعة بمعنى (بل)[3] التي للاضراب الإنتقالي فيكون المعنى (بل هل أشراطه أمم) .

وفي هذا الاستفهام ما فيه من الاضطراب والقلق ، اللذين جعلا الشاعر يتردد في تصويره لهذا الحادث الأليم ، ولذلك جاء استفهامه ليبرز هول المصيبة وفداحة الخطب .

---

(١) أم القرى ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) ديوان الخطيب ص ٣٠٧ .

(٣) انظر دلالات التراكيب ، د. محمد أبو موسى ، ص ٤٠٩ .

ويستخدم الشاعر عبد الله بن خميس أداة الاستفهام (مَنْ) في معرض التباهي بالنهضة العظيمة التي شهدتها الجزيرة العربية ، على يدي الملك عبد العزيز يرحمه الله :

من ذا يظن بأنها في فترة　　　لما يجاوز عدها الخميسنا

تغدو بأبها حلة عرفت بها　　　أمم سرى فيها الرقي قرونا[1]

إنه إنجاز فريد من نوعه يثير الدهشة والتعجب أن تشهد هذه البلاد نهضة في مختلف الميادين ، في فترة وجيزة من الزمن ، في حين أن مثل هذه النهضة لم يتحقق لأمم سبقت في ميدان الحضارة والتقدم إلا بعد قرون طويلة .

أما الشاعر محمد السنوسي فيوظف أداة الاستفهام (مَنْ) توظيفاً يظهر الحسرة والألم :

صقر الجزيرة عاهل الإسلام　　　من ذا يكافح عنهما ويحامي[2]

لقد كان الملك عبد العزيز يرحمه الله صقر الجزيرة الذائد عن حماها الباني لصرحها ، المؤسس لوحدتها ، كما أنه كان يرعى الإسلام ويحميه ، ويعلي من شأنه ويرعى المسلمين في كل أصقاع الدنيا .

فلما مات كانت الفاجعة ، والشاعر من خلال أداة الاستفهام (من) جسد لنا الإحساس المرّ بالفقد في سياق مؤداه النفي ، فلن تجد الجزيرة العربية ولن يجد الإسلام من يسد الفراغ الذي تركه عبد العزيز بعد رحيله .

ومن أكثر أدوات الاستفهام حضوراً في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز لدى الشاعر السعودي (ما) منفردة أو مقرونة بـ(ذا) الإشارية .

يقول خالد الفرج :

---

(١) البلاد ٥ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) المنهل ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٨ .

وتسـاءلت شـمس الشـروق وقـد رأت — **سـحب الأسـى مـاذا أثـار قـتامها**

ولـم الجزيرة الجزيرة والبسيطة كلها — **سـوداء لـم أسـطع أنـير ظلامهـا**

.... — ....

وتســـاءلت كـــل الـــبروق بـــلهفة — **مــا للإذاعــة أســكتت أنغامهــا**[1]

تساؤلات مقلقة تنبئ عن حيرة واضطراب إزاء ذلك الحدث المفجع ، ويبرز مـن خـلال تـلك التسـاؤلات ، التشـاؤم ، والـنظرة السـوداوية القاتمة ، للكون والحياة ، وجاء الإستفهام هنا على سبيل التعجب .

ويقول الشاعر محمد سراج خراز :

مــا لشـعري دعوتــه فعصــاني — **ولقــد كــان إن دعــوت يجيــب**

خنقــته الشـكاة فهــو حــبيسٌ — **وأنــاب الدمــوع فهــي وجيــب**[2]

فالشـاعر هـنا يسـأل سـؤال الوـله القـلق الـذي يريد أن يعبر عن شيء من الصـراع النفسـي ، الـذي يدور بداخله ، والشاعر هنا ينكر على الشعر عصيانه إيـاه وعـدم إجابـته ، ثـم يلـتمس له العـذر . ذلك أن موانع منعته من الإجابة فجاءت الدموع نيابة عنه ، وعبَّرت عما في داخل الشاعر من ألم وحزن .

ومـن أدوات الاستفهام التي أكثر منها الشعراء أيضاً (كيف) فإذا نظرنا إلى قصـيدة فـؤاد شـاكر نرى أنها تقوم في جانبٍ كبير منها على أسلوب الاستفهام من خلال الأداة (كيف) :

أيهــا المصــلح العظيــم ســلام — **يــتهادى إلى عــلاك انتســابا**

كيــف أسســت أمــة مــن هــباءٍ — **وجمعــت الأشــتات الأحــزابا**

كيــف بدلــتها الضــراوة وداً — **والعــداوات ألفــة واصــطحابا**

كيــف ألفــت باقــة مــن قــلوبٍ — **مـا اسـتقرت مـن الحيـاة اضطرابا**

---

(١) أم القرى ٣٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) المصدر السابق ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

كيف سويت بين غرب وشرقٍ وجمعت الأضداد والأحبابا[1]

إنها تساؤلات مشرقة ، ملؤها الإعجاب والتقدير ، وتحمل في طياتها الفخر والاعتزاز بهذه الإنجازات الرائعة العظيمة ، كما تشف عن عبقرية من حققها .

ويوظف فؤاد الخطيب أداة الإستفهام (كيف) توظيفاً ينبئ عن مدى الحسرة والألم .

وكيف أملك حتى النطق من جزعٍ إني لينطق عني وحدة الألم[2]

والإستفهام الذي جاء على سبيل النفي ، يبرز ما في نفس الشاعر من أسى وحزنٍ أعجزاه عن النطق .

ومن أدوات الإستفهام في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز (أيُّ) وتظهر بجلاء في قصيدة محمد العقيلي :

أيُّ يوم على الجزيرة ريعت فيه أرجاء حزنها والتهائم[3]

فالاستفهام هنا جاء على سبيل التفخيم والتعظيم ، ليصور هول ذلك اليوم الذي توفي فيه الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، ويظهره على أنه يوم تفرد بالحزن بين الأيام .

وحينما أراد الشاعر أن يتحدث عن النعش الذي أقل جثمان الفقيد وظف (أيُّ) لإظهار الإجلال والإكبار للنعش وما أقل :

أيُّ نعش تقله الريح قد سا ر تحييه في السماء الغمائم[4]

(١) وحي الفؤاد ص ٢٥٨ .

(٢) ديوان الخطيب ص ٣٠٨ .

(٣) الأنغام المضيئة ص ٣١ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٢ .

ومن الظواهر الأسلوبية البارزة في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي أسلوب (النداء) : وهو من الكثرة بحيث يندر أن تخلو قصيدة منه « ووراء كل ذلك أغراض ، وأسرار ، ومذاقات ، والبحث في ذلك ودرسه باب جليل من أبواب معرفة الأدب وذوق اللسان ، وأكثر هذه المواقع تجري في السياقات المليئة ذات الحسن الطاغي والموقف المفعم ، وترى الأداة في كثير منها كأنها صيحة أو صرخة يطلقها الشاعر »[1] .

ولعل هذا هو السر في إكثار الشعراء السعوديين من استخدام هذا الأسلوب في قصيدة الرثاء ذلك أنه يكشف عن مكنونات الشاعر وأحاسيسه ، وانفعالاته المؤلمة .

كما أن أداة النداء لها دلالة صوتية ، فهي تلفت الإنتباه ، وتستدعي المشاركة فيما يحسه الشاعر من أحاسيس مختلفة .

وباستقراء النصوص نجد أن الشعراء السعوديين في رثائهم للملك عبد العزيز ركزوا على أداة النداء (يا) ، مفردة ، أو مقرونة بـ(أيها) . ولعل ذلك يرجع لكونها من الأدوات ذات المقاطع الصوتية المفتوحة ، التي يمتد من خلالها الصوت ويتسع[2] فهي مناسبة لجو الحزن والبكاء ، مفصحةً عن آهات الشاعر الجزينة وتوجعاته .

وقد نادى الشعراء الفقيد وكأنه حي يسمع ويصغي لما يقال ، ومرجع ذلك إما لأن الشاعر لا يصدق أن فقيده مات ، وإما لأنه يشعر به ملء خاطره .

يقول عبد الرحمن عثمان :

---

(١) دلالات التراكيب ص ٢٦٢ .

(٢) انظر المصدر السابق نفسه والصفحة .

يـــا كـــبير المـــلوك قولـــة حـــق   ليس فيهـا لجـاحد مـا يـريب[1]

ويقول حسن القرشي :

يـا نصـير الإسـلام فـي كـل صـقع   لـم يحـاذر في نصره لوم لائم[2]

ويقول فؤاد الخطيب :

مـولاي يـا مؤنـس الـلحد المدل بـه   هـنا العـروبة والإسـلام والشـيم[3]

والملاحـظ أنـه في الغالب يعقّب الشعراء بعد النداء بذكر منجزات المنادى ، والسجايا التي اتصف بها مثل قول عبد الله بن إدريس :

يـا رفـع الديـن الحـنيف على السها   والجـاعل الوحـي الشـريف شعارا[4]

وقول محمد العقيلي :

يــا أبــا النهضــة العظيمــة للضــا   د ومحيـــي تـــراثها والعظـــائم[5]

وقول فؤاد شاكر :

أيهـــا المصـــلح العظيـــم ســـلام   يـــتهادى إلى عـــلاك انتســـابا[6]

وقد لا يتسنى للشاعر إظهار أداة النداء في اللفظ ، فيخفيها إما لحالة الشاعر النفسية الحزينة التي تميل إلى الاقتضاب في الحديث ، وإما لضرورة إقامة الوزن . وعلى كل حال فعدم إظهار أداة النداء شائع في الشعر والنثر على السواء ، وهو أسلوب من أساليب العربية .

---

(١) المنهل ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٣ .

(٢) أم القرى ١٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) ديوان الخطيب ص ٢٠٨ .

(٤) في زورقي ص ١٧١ .

(٥) الأنغام المضيئة ص ٣٢ .

(٦) وحي الفؤاد ص ٢٥٨ .

يقول محمد علي قطب :

عبد العزيز لئن عرتك منية — لا يستطيع دفاعها إنسان

فالفضل باق في النفوس على المدى — يشدو به التاريخ والأزمان[1]

ويقول أيضاً :

عبد العزيز لأنت أعظم فارس — ركب الجواد وضمه الميدان[2]

وكما نادى الشعراء الفقيد ، فإنهم نادوا العين ودمعها .

يقول الغزاوي :

أيه يا عبرة تحور اختناقاً — أنت لا النزع للحياة استلاب[3]

ونادى الشعراء الموت كذلك يقول محمد حسن فقي :

يا حجاباً على العيون ... وما يحجب عن قلبنا ... صفيق حجابه[4]

ويقول خالد الفرج على سبيل الإستغاثة :

يا للجسارة للحمام فكيف لم — يرهب حماه بضربه أرقامها[5]

ومن الأساليب المهمة التي عمد إليها الشعراء السعوديون في رثائهم للملك عبد العزيز أسلوب الحكمة ، وهو وإن كان أسلوباً شائعاً في جميع أغراض الشعر العربي ، إلا أنه بغرض الرثاء ألصق[6] ذلك أن حقيقة الموت وحتميته تجعل الراثي يقف وقفة المتأمل لهذه الحياة وما تؤول إليه ، فتجيء الحكمة منه

---

(١) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ص ١٢٧٧ .

(٤) قدر ورجل ص ٣٣٦ .

(٥) أم القرى ٣٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٦) انظر : شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي ، أحمد كمال زكي ، ص ٢٨٠ .

على سبيل العظة والمثل ، وتصور حقيقة الموت وإيمان الراثي به .

يقول الدكتور أحمد كمال زكي « ولست أجعل الحكمة نوعاً من الفلسفة التي تبحث عن حقائق الأشياء ، وتنظر فيما وراء الطبيعة والألهيات ، وإنما أجعلها درجة من الوعي الفكري ، يجمع معاني عامة تأتي دائماً عن طريق تجربة أو نظرة في الحياة . وهذه مرحلة من الشعر لا يصل إليها كل من قال القصيد ذلك أن الشعراء جميعاً ليسو سواء في نظرتهم إلى الحياة ، فقد يرى البعض ما وراءها ولكن دون أن يقف إزاءها مفكراً ، ثم إن هناك فريقاً ثالثاً يراها من كل جانب فيرى فيها رأياً ويكوّن عنها فكرة »[1] .

وحدث الموت يبعث على التأمل في هذه الحياة وما وراءها .

وتجربة الشاعر الذاتية هي المنبع الأساس لحكمته ، ولذلك يكون لها وقعها وتأثيرها .

ومن الحكم التي ساقها الشعراء السعوديون في رثائهم للملك عبد العزيز قول أحمد الغزاوي :

إنه الحق هكذا الموت فيه ... تتساوى الفروق والأنساب[2]

فالشاعر هنا يقرر حقيقة لا مناص منها وهي أن الموت حق ، وهو واقع لا محالة ، لا يفرق بين صغير ولا كبير ، ولا سيد ولا مسود .

والإنسان وهو في أوج إنفعاله ، وشدة حزنه ، حينما يدرك تلك الحقيقة يستسلم لها ويدعوه ذلك للتصبر ، ويكون نوعاً من العزاء ، فيخف وقع المصاب عليه يقول محمد بن بليهد :

والموت أمر قضاه الله خالقنا ... على البرية قاصيها ودانيها

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ص ١٢٧٥ .

نرضى به مثل ما رضي الإله لنا　　وأجر صبر الثكالى عند باريها[1]

وتأتي الحكمة لتقرير حقيقة ما . يقول طاهر زمخشري :

فكل سيسعى صاغراً نحو حتفه　　وتخلفه الأعمال توحي المراثيا
فتجلوه للأنظار حياً ممثلاً　　سعيداً بما أبقى ومازال باقيا[2]

فالشاعر هنا يقرر أن كل إنسان سيموت ، ولكن هناك فئة من الناس حتى وإن غيبها الموت فإنها ما تزال حية ، وحياتها آثارها التي خلفتها ، وذكرها الباقي بين الناس .

أما محمد حسن فقي فحكمه أشبه بالأمثال :

ليس طول الحياة أن عمر المرء سنيناً　　ونال من آرابه
إن طول الحياة يخصب العمر　　فيجني الأنام من أخصابه[3]

ومن ذلك قوله أيضاً :

والحسيب الحسيب في هذه الدنيا　　الذي يستضاء من أحسابه
رب ذي نسبة إلى المجد يخفيها　　فيفشي الزمان سر انتسابه[4]

وتأتي الحكمة للعظة والاعتبار من ذلك قول صالح بن سحمان :

ونحن في غفلة عما يراد بنا　　كأننا غنم في بيت جزار
نلهو ونلعب في دار الغرور وما　　في القلب من واعظٍ ناه بإنذار
فخذ لنفسك زاداً للرحيل إلى　　دار البقاء ولا ترحل بأوزار
أين الملوك وأبناء الملوك ومن　　شادو المصانع من برٍ وجبَّار

---

(١) ابتسامات الأيام ص ٤٣٥ .

(٢) المنهل ١٣٧٣ هـ ، ص ١٩٩ .

(٣) قدر ورجل ص ٣٣٦ .

(٤) المصدر السابق .

أتى على الكل ما أودهم وسطاً ريب المنون بها إمضاء نهَّار[1]

ومن الملاحظ على أسلوب الحكمة المزج بين أسلوب النظم الشعري وأسلوب الخطابي ، لبلورة الإحساس بالحزن ، وتلخيص خبرة الشاعر في الناس والحياة .

• • • •

ومن الأساليب التي برزت في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي **أسلوب الدعاء** للميت وهو على شقين :

الشق الأول : الدعاء للميت بالرحمة . والشق الثاني : الدعاء لقبر الميت بالسقيا .

فأما الأول فهو أسلوب شائع في قصيدة الرثاء العربية منذ ظهور الإسلام وحتى عصرنا الحاضر .

ومن الدعاء بالرحمة قول عبد الله بن شاهين :

فإلى الجنان وحورها وقصورها عبد العزيز ورحمة الغفار[2]

وقول علي غسَّال :

عليه من الرحمن رحماته التي يفوز بها العبد الشكور الموحد[3]

ويقول محمد علي قطب :

وليغمر الله الفقيد برحمة فياضة ما ماست الأغصان[4]

---

(١) قلائد الجمان في سيرة آل سحمان ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) اليمامة ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .

(٣) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) المصدر السابق .

ويقول الفقي :

رحـــم الله مـــن إذا مـــا ذكـــرناه ذكـــرنا القـــليل مـــن أتـــرابه[1]

أمـا الشـق الثاني : وهو الدعاء بالسقيا لقبر الميت فهو الآخر أسلوب شائع في قصـيدة الـرثاء العـربية ، مـنذ العصـر الجاهلي وحتى العصر الحديث » وهو دعـاء الخير والـبركة والغيـث لقـبر المرثي ، وهذا دعاء إنساني ، وهو يمثل آخر الدعـوات بـالخير لهذا المرثي العزيز ، ومن أجل هذا يكون مجيئه في ختام قصيدة الرثاء أجدد وأوقع في النفس «[2] .

وبتتبعـنا لقصـيدة رثـاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ، وجدنا أن الدعاء بالسقيا جاء في الغالب في ختام قصيدة الرثاء .

وحول الدعاء بالسقيا لقبر الميت يبرز أمامنا سؤلان :

الأول : ما علاقة الدعاء بالرحمة ، والدعاء بالسقيا ؟

والإجابـة عـلى ذلـك هو أن السقيا نوع من الرحمة كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾[3] ولذلك عبَّر ضياء الدين رجب عن المطر بالرحمة في قوله :

فطيـــب الله مـــثواه ومـــرقده بواكف الـرحمات الهاطل السكب[4]

وورد الدعاء بالسقيا ، والدعاء بالرحمة في قول أحمد الغزاوي :

وســـقى الغيـــث بكـــرة وعشـــياً جدثـــا بالـــرياض وهـــو جـــناب

---

(١) قدر ورجل ص ٣٠٨ .

(٢) الـرثاء في الشـعر الجاهـلي وصـدر الإسـلام بشـرى محمـد الخطيـب ، كـلية الآداب جامعـة بغداد ص ١٩٦ .

(٣) سورة الشورى ، الآية رقم (٢٨) .

(٤) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

فيه يثوي أبو العروبة تترى رحمة الله فوقه والثواب[1]

أما السؤال الثاني فهو : هل هناك علاقة بين اختصاص الدعاء بالسقيا لقبر الميت وبين الميت نفسه ؟

وتجيب على هذا السؤال الدكتورة بشرى الخطيب بقولها « وقد يكون الدعاء بالسقيا لغير المرثي إشارة إلى معنى الكرم في ذات المرثي ، الذي كان يغيث المحتاجين في حياته بعطاياه وكرمه ، والراثي عندما يعمم الغيث على كل الأراضي فهو يؤكد بصورة غير مباشرة شمول كرم المرثي لكل الناس »[2] .

وهذا الشاعر محمد بن بليهد بعد أن سرد جملة من إنجازات الفقيد ختمها بالدعاء لقبره بالسقيا :

سقيت يا جدثاً ضمت جوانبه بالعود عوداً وحفته هواميها[3]

إن هذه الظواهر الاسلوبية التي عرضنا لشيء منها يمثل ملمحاً واضحاً عند الشعراء السعوديين الذين رثوا الملك عبد العزيز ، وهو ملمح من الوضوح بمكان استحق أن نفرده بهذا المبحث . وتجد أن هناك ظواهر لغوية متفرقة عند بعض الشعراء دون غيرهم ، - مما لا يمثل ظاهرة لغوية مشتركة - لم نتناولها بالدرس هنا لأننا نبحث في الأساس عن مشتركات الشعر في قضايا الشعر وأدبيته .

---

(١) آثار أحمد الغزاوي الأدبية ص ١٢٧٨ .

(٢) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ص ١٩٦ .

(٣) ابتسامات الأيام ص ١٣٥ .

الفصل الثاني

الصـــــورة

* مفهومها ودور الخيال فيها .

* أنماطهـــا .

* وسائل تشكيلها .

الصورة

تعـد الصورة الفنية من العناصر المهيمنة في النص الشعري ، بل هي العنصر الأهـم فيه ، ذلك أنه بواسطتها يشكل الشاعر أحاسيسه ، وأفكاره ، وخواطره ، في عـبارات مثيرة . وتبرز من خلالها رؤيته الخاصة للوجود ، والعلاقات الخفية بـين عناصـره[1] ، كمـا أنها المحك الأساس في بروز مقدرة الشاعر وفنيته ، وهي « أكـبر عون له على تقدير الوحدة الشعرية ، أو على كشف المعاني العميقة التي ترمز إليها القصيدة »[2] .

وبمـثيرات الصـورة يسـتطيع الشـاعر أن يصل إلى الهدف الذي يريده ، وهو التأثير على المتلقي ، فيجعله يعيش تجربته ، ويتفاعل معها ، بحيث تترك في نفسه أثراً وانطباعاً لا يقل عن الأثر والانطباع الذي أحس به الشاعر وعايشه[3] .

والصـورة بمفهومهـا العـام مـن القواسـم المشتركة بين الشعر والنثر ولكنها بالشـعر ألصـق « لأن الشـعر كلـه يسـتعمل الصـور ليعـبر عن حالات غامضة لا يسـتطاع بـلوغها مباشـرة ، أو مـن أجـل أن تنـتقل الدلالـة الحقـة لمـا يجـده الشاعر »[4] .

فقـد اهـتم الـنقد في العصـر الحديث بالصورة أيما اهتمام ، وتوسّع الدرس الـنقدي في مفهومهـا ووظيفـتها الفنية ، فلم تعد وظيفتها مقتصرة على المجاز أو

---

(١) انظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري زايد ، ص ٧٣ .

(٢) فن الشعر ، د/إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ط ١٩٥٩ م ، ص ٢٣٠ .

(٣) انظر شعر حسين عرب ، سارة الراجحي ، ص ٢٧٣ .

(٤) الصورة الأدبية ، مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣ م ، ص ٢١٧ .

الكناية بل أخذت أبعاداً أشمل وأوسع[1] .

ويعتبر مصطلح (الصورة) في النقد الحديث من المصطلحات الوافدة[2] .

ولذلك اختلف النقاد العرب في العصر الحديث في تحديد مفهومها ، وذلك يرجع إلى تنوع مشاربهم وتباين اتجاهاتهم النقدية[3] ، فمنهم من يرى أن الصورة هي « علاقة بين الشيء ودلالته الصورية في الوعي »[4] ، والبعض يرى أنها « أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن ، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن »[5] ، إلى غير ذلك من التعريفات[6] .

على أن أشمل تعريف للصورة الفنية هو « أنها هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب ، والإيقاع والحقيقة ، والمجاز والترادف ، والتضاد والمقابلة والتجانس ، وغيرها من وسائل التعبير ، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني ، أو يرسم بها صوره الشعرية »[7] .

---

(١) انظر : الصورة بين البلاغة والنقد ، د. أحمد بسام ساعي ، دار المنارة للطباعة والنشر ، ط(١) ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ص ٣٧ .

(٢) انظر : أحمد قنديل حياته وشعره ، فاطمة عبد الجبار ، ص ٢٢٣ .

(٣) انظر : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، د/ بشرى موسى صالح ، المركز العربي ، ط(١) ١٩٩٤ ، ص ٣٦ وما بعدها ، وانظر الحداثة في الشعر العربي المعاصر مبناها ومظاهرها ، د/ محمد حمود ، الشركة العالمية للكتاب ، ط(١) ١٩٩٦ م ، ص ٩٧ وما بعدها .

(٤) النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، ص ٢٧٧ .

(٥) الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ، د/ عبد القادر الرباعي ، دار العلوم ، الرياض ، ط(١) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٨٥ .

(٦) انظر : التفسير النفسي للأدب ، د/ عز الدين إسماعيل ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ١٣ وما بعدها .

(٧) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، د/ عبد القادر القط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط(٢) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ٣٩١ .

و الخيـال عـامل فـاعل في بـناء الصورة الفنية ، ومن أهم مقوماتها ، « لأنه يقـوم بـالدور الأساسـي في تشـكيلها ، يلـتقطها بـبراعة مـن مشـاهدات الواقع وملابسـات الحياة اليومية، أو يرتفع عن الحوادث العادية ، فيستمدها من مناظر الطـبيعة ومهـابط الجمـال الرفيعة ، ويمزج بين عناصرها المختلفة ، فتجيء خلقاً جديداً يختلف في طبيعته وخواصه عن العناصر الأولية التي تألّف منها »[1] . كما يحقـق الاندمـاج بـين الشـعور واللاشـعور ، ويحقـق كذلك التوافق بين الوحدة والتـنوع[2] ، ولا يقتصـر عـلى الشـعراء وحدهـم ، بـل هو من المشتركات التي يشـترك فيهـا الشـاعر وغـيره مـن أبناء جنسه ، فهو غريزة إنسانية موجودة لدى جميـع البشـر وعـلى هذا الأساس فالخيال « هو الطاقة الحية والعامل الرئيسي في كـل إدراك إنساني ، والتكرار في العقل المحدود لعملية الخلق الخالدة في الـ« أنا » اللامتناهي »[3] غير أن خيال الشاعر يختلف عن خيال الإنسان العادي ، فالخيال عـند الشـاعر غريـزة طاغيـة ، « وقـوة خالقة مبدعة تعمل على استثارة الرصيد الـثقافي عـنده ، واسترجاع الحالة الشعورية التي انبعثت عن التجربة وصاحبها ، كمـا يقـوم بخـلق نـوع مـن العلاقـات الخاصـة بـين الأشياء الخارجية ، وينتقي الأحـداث ويخـتار مـنها المواقـف الصـافية الـتي تغذى التجربة الشعرية ، ويعيد تنسيقها بحيـث تصـبح قـادرة عـلى تصـوير الحالة الشعورية ، ثم يعد الأشكال الفـنية ويصـبها في صـور مترابطـة ، منسـجمة يلفها وشاح شعوري شفاف ، لا

---

(١) الشـعر العـربي المعاصـر روائعـه ومدخـل لقـرآته ، الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف مصر ، ط(١) ١٩٨٠ م ، ص ٨٣ .

(٢) الصـورة في شـعر بشـار بـن بـرد ، د/ عبد الفتاح صالح نافع ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ١٩٨٣ م ، ص ٦٧ .

(٣) الـنظرية الرومانـتيكية في الشعر سيرة أدبية لكولريدج ، ترجمة د/ عبد الحكيم حسان ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ، ص ٢٤٠ .

يفترق فيه الشكل عن المحتوى ، أو الألفاظ عن معانيها ، ولا ينظر لها إلا ككل واحد »[١] .

وتعتبر العاطفة المحرك الأساس لملكة الخيال ، إذ أن هذه الملكة « لا تنشط إلا تحت تأثير العاطفة ، فهي حافز قوي لابتكار عالم آخر من القيم المطلقة والباقية، يعلو على عالم الظواهر المتبدِّلة ، لذلك يعيد الشاعر تشكيل ما كان يراه في انبطاعاته البصرية »[٢] .

والعاطفة من العناصر المهمة التي تربط الشاعر بالمتلقي ، فإذا كانت قوية صادقة كان المتلقي أكثر تفاعلاً مع تجربة الشاعر وأعمق تأثراً بها ، ولا يمكن الفصل بين العاطفة والأسلوب ، الذي ينتهجه الشاعر ، « فالقيم الشعورية والقيم التعبيرية كلتاهما واحدة ، لا انفصام لها في العمل الأدبي وليست الصورة التعبيرية إلا ثمرة للانفعال بالتجربة الشعورية ، وليست القيمة الشعورية إلا ما استطاعت الألفاظ أن تصوره وأن تنقله إلى مشاعر الآخرين»[٣].

وحينما نتأمل العاطفة في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ، نجدها عاطفة قوية ، صادقة ، سامية ، ويرجع ذلك للمكانة التي كان يتمتع بها المرثي طيب الله ثراه في قلوب شعبه ؛ الذي عايش جهاده ، ولمس منجزاته ، وأشرق عليه نور الحضارة تحت ظل لوائه ، فلا غرابة أن تكون العاطفة جياشة صادقة ، تشف عن إحساس أليم يجسد مرارة الفقد الذي قرح العيون ، وأدمى القلوب ، وجعل الشعراء يتقاطرون لرثائه يرحمه الله ، والشاعر

---

(١) التصوير الشعري ، د/ عدنان حسين قاسم ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، ط(١) ١٩٨٠ م ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة ، ص ١٦ .

(٣) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الشروق - بيروت، ط(٦) ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ص ٢١ .

في رثائه يقول على سبيل الوفاء ، لا رغبة في العطاء ، ومن من ثم فإن الحب والولاء ، والشعور بالامتنان ، من أقوى الدوافع التي تدفع إلى الصدق ، والسمو ، والقوة في العاطفة .

ولما كان الرثاء من الأغراض التقليدية التي استنفذ فيها القول[1] ، فقد سار فيه السواد الأعظم من الشعراء السعوديين على نفس النهج الذي سار فيه الشعراء الأوائل ، ولذلك حفلت قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي بالعديد من الصور التقليدية ، التي جاءت نتيجة لما علق في ذهن الشاعر السعودي من صور تراثية قديمة ، فالمخزون الثقافي الذي اختزنته ذاكرته، أسهم في بروز تلك الصور ، وهذه الصور من الكثرة بحيث تحتل الصدارة عند معظم الشعراء ، وخصوصاً الشعراء الذين ينتمون إلى المدرسة التقليدية .

فطبيعة الموضوع وثقافة الشاعر التراثية كانا وراء ظهور تلك الصور ولا غرابة في ذلك ، « فالشاعر المعاصر هو في الحقيقة ابن للماضي ، وخاصة الماضي الشعري الذي لا يمكن فصله عن ذات الشاعر ، ومخيلته ، وثقافته ، بشكل عام ، فالموروث الأدبي سيظل يرافق الشاعر الحديث ، ويضيف إليه عدداً من الروافد ، والقيم الفنية التي تكون الصورة جزءاً منها »[2] .

ومن الصور التراثية التي برزت في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي قول فؤاد شاكر :

هجع الليث بعد طول زئيرٍ فمتى القبر كان لليث غابا
سكت الصاخب المدوي وعهدي بك يا بحر هادراً صخابا
أتوارى الشهاب حقاً ؟ والأرقعة الأرض كيف ضمت شهابا ؟

---

(١) انظر : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص ٤١٩ - ٤٢٦ .

(٢) دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، د/ محسن طيمش ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ، العراق ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٢٢ .

إنه الطود كيف أهوى إلى القاع وعهدي به يضيق رحابا

إنه من جوارح الطير كالنسر وأعتى في الجو منه عقابا[1]

فصورة » الليث « وصورة البحر الهادر ، والشهاب ، والطود ، والنسر ، والعقاب ، كلها صور تراثية ، استدعاها الشاعر لتصوير شخصية الملك عبد العزيز ومثل ذلك نجده عند الشاعر محمد بن علي السنوسي في قوله :

ملكاً طوى التاريخ مرهوب الحمى كالليث والآفاق كالآجام[2]

وقوله :

صقر الجزيرة عاهل الإسلام من ذا يكافح عنهما ويحامي[3]

فصورة (الليث) وصورة (الصقر) صورتان جاء بهما الشاعر للدلالة على ما يتمتع به الملك عبد العزيز من قوة وشجاعة ، وهما صورتان مألوفتان في الشعر العربي ، عرفهما الشعراء القدامى وكرروها كثيراً في أشعارهم .

وصور (الكوكب ، والجبل الأشم ، والصارم البتار) من الصور التي استدعاها الشاعر السعودي في تصويره لعلو مكانة الملك عبد العزيز وبهائه ، وقوته ، وصلابته ومن ذلك ما جاء في قول محمد علي قطب :

وتظيء في أفق الحوادث كوكباً وضاء يذكي نوره الإيمان[4]

وقول خير الدين الزركلي :

جبل أشم هوى وغيِّبَ في الثرى أحد حوى هضباته أخدود[5]

وقول عبد الله بن إدريس :

---

(١) وحي الفؤاد ، ص ٢٥٧ .

(٢) المنهل ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٥) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

نعت الجزيرة مجدها وعلاءها　　　عبد العزيز الصارم البتارا[1]

ومن الصور التراثية أيضاً ، صورة (المطر والغيث) التي استدعاها الشاعر السعودي لتصوير كرم الملك عبد العزيز وجوده وعموم فضله ، يقول خير الدين الزركلي :

جود كمنهل السحاب وما الغنى　　　بمحببٍ لولا الندى والجود[2]

ويقول فؤاد الخطيب :

وكنت في كل أرض قد نزلت بها　　　كالغيب تعقبه الآلاء والنعم[3]

وحينما أراد فؤاد الخطيب تصوير خصوم الملك عبد العزيز ، استدعى صورة (بغاث الطير) وفي المقابل استدعى صورة (الأجدل الضرم) لتصوير قوة الملك عبد العزيز وشجاعته :

وإنهم كبغاث الطير حشرجة　　　وقد أطل عليها الأجدل الضرم[4]

وهناك العديد من الصور التراثية التي احتلت الصدارة بين الصور التي وظفها الشاعر السعودي في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز ، وأغلب الصور لا تكاد تخرج عن صورة البطل في الشعر العربي في سياق المدح والرثاء ، وكثير من الشعراء ظل حبيس ذاكرته ، التي اختزنت عدداً وافراً من الصور القديمة حتى حسبته مقلداً ومحاكياً للقدماء .

غير أننا لا نعدم وجود صور حديثة ، مستمدة من حياة الشعراء ، ومستوحاة من واقعهم المعيشي ، بل إنها تشكل ملمحاً بارزاً عند بعض الشعراء

---

(١) ديوان في زورقي ، ص ١٦٩ .

(٢) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) ديوانه ص ٣٠٨ .

(٤) المصدر السابق .

الذين ينتمون إلى المدرسة الحديثة (الرمانتيكية) ، الذين تأثروا بحركات التجديد في الأقطار العربية وغيرها ، وبالأخص مدرسة الأدب المهجري ، ومدرسة أبولو . وبنظرة متأنية للصورة الفنية عند الشاعر السعودي في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز تجد أنه قد راوح في تصويره « بين الصورة الجزئية التي تستقل بمشهد صغير ، أو فكرة محددة تبرزها في إطار خاص ، يعرضها في كيان مستقل ، وبين الصورة الكلية التي لا تصلح للاستقلال الجزئي ، بل تراها طالبة لما يليها من الصور في تتابع وتسلسل ، وفي اتساع ونمو ، وتداخل حتى تكتمل من مجموعها الصورة الكبرى أو اللوحة الكلية »[1] .

ويؤدي الخيال دوراً بارزاً في صنع تلك الصور ورسم أبعادها ، سواء كانت صوراً جزئية ، أو صوراً كلية ، إذ هو القوة المحركة للصورة والخالق لها وبه يتم تأليف ما لا يتألف حقيقة ، وبعبارة أخرى يتم بواسطته « إيجاد التناغم والتوافق بين العناصر المتباعدة والمتنافرة داخل التجربة »[2] فتأتي الصورة موشحة بالظلال والإيحاء ، متوهجة بالألوان والحركة ، سواء اعتمد فيها الشعراء على المجاز بأساليبه وطرقه المختلفة ، أو على الحقيقة .

وعندما نقرأ قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي نلمح بوضوح استقلالية بعض الصور وانفكاكها أحياناً عما قبلها وما بعدها ، بحيث لو استللتها من النص لم يختل البناء الهرمي له ، ويمثل البيت الواحد أو البيتين مشهداً مستقلاً ، أو صورة جزئية مستقلة ، ليس لها تلك العلاقة الوثيقة بما قبلها

---

(١) أدب المهجر أصالة الشرق وفكر الغرب ، د/ نظمي عبد البديع ، دار الفكر العربي ١٩٧٦ م ، ص ١٣٩ .

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د/ جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط(٣) ١٩٩٢ ، ص ١٣ .

وما بعدها ، من ذلك قول محمد بن أحمد العقيلي :

نيّر قد هوى فرج العوالم   وأحال الشموس والكون قاتم
فقدته البدور في عالم الشهب   وتاهت له السدوم الهوائم
ونعته البروق وانتحب الر   يح انتحاباً يشق جيب الغمام[1]

فالصور : (نيّر قد هوى - فقدته البدور - تاهت له السدوم الهوائم - نعته البروق - وانتحب الريح - يشق جيب الغمام) كلها صور جزئية مستقلة ، رسم خيال الشاعر أبعادها وكان له حضوره الفاعل في تشكيلها . ومن الصور الجزئية أيضاً قول أحمد الغزاوي :

أمة كالغمام تبكي فقيداً   هو منها الضحى ومنها الرباب[2]

فالصور الجزئية (أمة كالغمام - هوى منها الضحى ومنها الرباب) .

ومنها قول خير الدين الزركلي :

رد الجزيرة وهي نسي بلقع   حوضاً عليه للورود وفود
التبرسال بها عيوناً والحصى   در ولا لاء النجوم عقود[3]

فالصور الجزئية (الجزيرة وقد أصبحت حوضاً يرده الوفود) وصورة (التبّر) - والمقصود به النفط الذي سال بها - وصورة (الحصى التي استحالت إلى درٍّ منظوم في لآلئ النجوم ، فصارت عقوداً متوهجة) ونلاحظ أن الشاعر هنا اعتمد على المجاز في تصويره ، كما أن خياله الواسع أسهم في بهاء الصورة ورونقها .

فإذا ما انتقلنا إلى اللوحات الكبرى أو ما يطلق عليه (الصورة الكلية) في

---

(١) الأنغام المضيئة ، ص ٣٠ .

(٢) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ١٢٧٥ .

(٣) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ، فإننا نقف على نماذج حية تفنن خيال الشاعر السعودي في رسمها ، والتأليف بين أجزائها ، سواء اعتمدت على المجاز أو على الحقيقة .

انظر إلى قول الشاعر محمد بن بليهد[1] :

ما للمنية أمسى ليس يكفيها	**ما ألقت الحرب والأحداث في فيها**
حتى تخطف أعلام البلاد على	**رغم النفوس التي ظلت تفديها**
أرى المنايا بضخمٍ من كلاكلها	**ومستطيل عنيفٍ من آياديها**
جثت وعضت على قطب الزمان وقد	**لفت ذراعين منها حوله فيها**
أن حطمت صارماً دان الزمان له	**وخافه في الدنا القاصي ودانيها**

فهذه لوحة فنية استطاع الشاعر بواسطة خياله المحلق أن يبدع صنعها ، وينفث في أوصالها الحياة « وأول ما نلحظه في هذه القصيدة هذه الصور المبتكرة، في تصوير المنية بالحيوان المفترس ، الذي لم يكفه ما ألقت الأحداث والحرب في فمه ، حتى تخطف أعلام البلاد . ثم انظر إلى تصويره المنايا في صورة الحيوان المفترس الضخم الكلاكل ، الطويل اليدين ، عنيفهما ، يجثو على الملك عبد العزيز ويعض عليه في فرحٍ وتيه أن حطم هذا الحسام الذي دان له الزمان »[2] .

لقد نقل الشاعر إلينا تجربته الشعورية ، وحملنا على التأثر بها ، ومشاركته فيها ونقف على صورة أخرى عند الشاعر محمد بن أحمد العقيلي وهي صورة نعش الملك عبد العزيز حيث يقول :

أي نعش تقله الريح قد سا	**ر تحييه في السماء الغمائم**
سار يحدوه للملائك تسب	**يح وفي هالة من النور عائم**

(١) ابتسامات الأيام ، ص ٤٣٤ .

(٢) الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية ص ٧٢٩ - ٧٣٠ .

تتهادى به الصحابة في الخلـ ـد وأرواح كل حبر وعالم
تتباهى به الحنيفة السمحة والفتح والغزاة الخضارم
رفرفت فوقه بإعلام بدرٍ يستقل اللواء سعد وسالم
وتطل النجوم عبري حيارى في شعاعٍ من ريق النور ناعم
تتمنى لو ألحدوه ثرى الأقـ ـمار أو وسّدوه نجم النعايم(1)

فصورة النعش التي كان لخيال الشاعر حضوره الفاعل فيها ، تُجسد لنا مكانة الملك عبد العزيز الرفيعة في نفس الشاعر فالصور الجزئية (الريح وهي تقل النعش ، الغمائم وهي تحييه ، التسبيح الذي يحدوه للملائكة ، النور الذي يحيط به من كل مكان ، وتباهي الصحابة وأرواح العلماء به في الجنة ... إلخ) .

وقد استطاع الشاعر من خلال تلك الصور الجزئية أن يرسم لنا صورة كلية حافلة بالحركة ، والإيحاء ، معتمداً على خياله الواسع الذي قام باستحضار عناصر تلك الصورة ، ثم أعاد تنسيقها وقدمها إلينا تجربةً رائعة مؤثرة ، تحمل المتلقي على التأثر والانفعال بها ، ونلاحظ أن خيال الشاعر قد أشرك عدة وسائل في بناء تلك الصورة انظر إلى التشخيص في قوله : « تتباهى به الحنيفة السمحة والفتح ... » فالحنيفة والفتح من المعاني المجردة ولكن الشاعر ألبسها ثوب الحياة الإنسانية فإذا هي تتباهى وتفخر ، وكذلك النجوم في قوله « وتطل النجوم .. » وهي من الجمادات شخصها في صورة إنسان حائر يراقب ما يحدث ، ومن الوسائل الرمز في (الحنيفة - والفتح ، والغزاة الخضارم ، وسعد وسالم) ولهذه الرموز الإسلامية المشرقة والمؤثرة ، ولها دلالتها التي لا تخفى .

والصورة أيضاً حافلة بالحركة ، ويتجلى ذلك في الأفعال (سار ، تتهادى ، رفرفت ، تطل ..) وكذلك هي حافلة بالأصوات (تحييه ، تسبيح) .

---

(1) الأنعام المضيئة ، ص ٣٢ .

وهـذا الشـاعر محمـد هاشم رشيد ، يصور لنا القلوب وقد اعتصرها الحزن لفقد العاهل العظيم وذلك في قوله :

مـا عـليها إن أسـرفت فـي الـبكاء	وطوتهـــا جوانـــح الظـــلماء
ثـم جـاء الصـباح وهـي حطـامٌ	يـــترامى فـــي لجـــة ســـوداء
الأمـاني الخضراء فـي دربها المشرق	تـــذوي فـــي قبضـــة الأرزاء
والـرؤى الـبيض فـي مباهجها النشـ	ــوى شـــعاع مضـــرَّج بالدمـــاء
والغـد الـناظر الموشـح بالـنور	ســـراب يـــلوح فـــي صـــحراء[1]

فالصـورة هنا ناطقة ومعبرة ، بحيث جسدت لنا مدى اللوعة والحزن ، على فـراق الملك عـبد العزيـز يـرحمه الله ، ويـبدو ذلـك مـن خـلال الصور الجزئية (أسـرفت في الـبكاء - طوتهـا جوانـح الظـلماء - ثم جاء الصباح وهي حطام - يترامـى في لجـة سـوداء ، الأمـاني الخضـراء في دربها المشرق تذوي في قبضة الأرزاء - الـرؤى البيض شعاع مضرَّج بالدماء - والغد المشرق سراب يلوح في صـحراء) هـذه الصـور الجزئية التي أحكم الشاعر بناءها ، وألَّف بين أجزائها ، فخـرجت لـنا لوحـة فـنية كلية مترابطة الأجزاء ، تحمل بين طياتها شعوراً دفاقاً بالحـزن والألم . ولا يخفـى مـا لخيـال الشـاعر مـن دور في إبـراز تلك الصورة ، وجعـلها موحيـة ، بحيـث جعلت المتلقي أكثر تأثراً ، وأقوى مشاركة فيما أحسه الشاعر وما انفعل به .

وتتجـلى في هـذه الصـورة الألوان السوداء ، والكآبة ، والدموع ، والحزن ، وثقل الإيقاع .

كمـا يتجـلى لـنا أيضـاً قـدرة الشاعر في جعل المعاني المجردة أموراً محسوسة (الأمـاني الخضـراء تذوي ، الرؤى البيض شعاع مضرَّج بالدماء) لقد ارتبطت تـلك الصـورة الكـلية ارتباطاً وثيقاً بحالة الشاعر النفسية ، التي اعتصرها الحزن

---

(١) اليمامة ، العدد الرابع ١٣٧٣ هـ ، ص ١٤ .

لفقد قائد المسيرة ، فالصورة ترمز في عمومها إلى حالة الحزن والإحساس بالفقد التي يعيشهما الشاعر .

وحينما نقف وقفة متأنية عند الوسائل والأدوات التي اعتمد عليها الشعراء السعوديون في بناء الصورة في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز ، نجد أنهم عندما يتناولون الأمور المعنوية يجسمونها عن طريق منحها صفات محسوسة مجسمة ، لتقريبها إلى ذهن المتلقي حتى يدركها بكل يسر وسهولة ، من ذلك قول ضياء الدين رجب :

لا ينطوي المجد يا صمصامة العرب	**ولا يغيم الهدى في غمرة الحقب**
صنعتها أمل التاريخ ناطقة	**عظائماً إن تغب والله لم تغب**
ست وسبعون قد أودعتها حقباً	**ضاقت بها سير الأبطال في الحقب**
موصولة بالمعاني الغر واصلة	**مجد العروبة والإسلام في النسب**(1)

فالشاعر هنا يصور لنا إنجازات المؤسس العظيم ، التي جاءت عظيمةً كعظمته ، وتحققت في فترة زمنية قصيرة .

ونلاحظ أن الشاعر في الأبيات السابقة قد اعتمد على التجسيم ، حيث استطاع بواسطة خياله الخصب أن يحيل المعاني المجردة إلى أشياء مادية محسوسة (فالمجد ، والهدى والعظائم) كلها معاني مجردة وقد استحالت إلى أشياء مادية محسوسة (فالمجد) بساط يطوى (والهدى) وهو أمر معنوى تحسه النفس جاء به الشاعر في صورة محسوسة فإذا هو يغيم (والعظائم) وهي من المعاني المجردة جسمها خيال الشاعر من خلال منحها صفة مادية محسوسة ، فإذا هي شيء يصنع وينسج وكذلك (المعاني) جسمها خيال الشاعر بمنحه إياها صفة الغرة والغرة هي البياض في الجبين .

---

(1) البلاد ، العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

ومن التجسيم قول طاهر زمخشري :

القلوب التي تفيض الدوامي والعيون التي تسيل الهوامي
والنهى والحجى وكلُّ فؤادٍ ذاب من طعنه بحد الحمام(1)

(فالنهى والحجى) بمعنى واحد وهو العقل - والعقل معنى مجرد جسمه خيال الشاعر في صورة شيء مادي محسوس وذلك بأن جعله (يذوب) وكذلك فعل (بالحمام) الذي هو الموت حيث جسمه الشاعر في صورة سيف له حدّ باتر .

ومنه أيضاً قول حسن القرشي :

قيل أودى عبد العزيز فمادت من صروح العلا أشد الدعائم(2)

(فالعلا) وهو أمر معنوي جسمه الشاعر في صورة بناء شامخ محسوس ، مادت منه أقوى دعائمه .

ومن التجسيم قول محمد حسن فقي :

انتمو المجد بعثه فاطرقوا المجد بعزمٍ يهز من أبوابه
والبسوا منه .. خير ما يلبس الناس القديم .. الجديد .. من أثوابه(3)

انظر إلى (المجد) الذي هو أمر معنوي كيف جسمه خيال الشاعر ، فإذا هو باب يطرق ، ثم جعله مرة أخرى ثوباً يلبس ، والباب والثوب من الأشياء المادية المحسوسة ومثل ذلك قول محمد علي قطب :

ما دار في خلد البرية كلها أن الفخار يموت والإحسان
والمجد والشرف الرفيع على المدى يطويهما خطبٌ ولا حدثان(4)

---

(1) البلاد في ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(2) أم القرى ١٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(3) قدر ورجل ص ٣٣٨ .

(4) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(فالفخـار والإحسان) كلاهما معنيان مجردان تحسهما أنفسنا ولا تدركهما أعينـنا ، غـير أن خيـال الشـاعر جسمهما في صورة كائنٍ حيٍ يقع عليه الموت ، كمـا أن (المجـد والشـرف) أيضـاً مـن المعـاني المجـردة استحالا إلى شيء مادي محسوس - وهو البساط أو ما يشبهه - وذلك حينما خُلع عليهما صفة الطي .

وعـندما تـناول الشـعراء السـعوديون الماديـات والمحسوسـات عمـدوا إلى تشخيصـها ، وذلـك بإضـفاء الصـفات الإنسـانية عـليها ، وكذلـك فعـلوا مـع المعـنويات ، والمجردات ، والأفكار ، حيث شخّصوها بخلعهم الصفات الإنسانية عليها .

والتشـخيص هـو : « إضـفاء الصـفات الإنسانية من أقوال وأفعال ومشاعر عـلى مظاهـر العـالم الخـارجي ، المـادي الحـي ، أو الجـامد ، وعـلى المعـنويات والأفكـار المجـردة بحيـث ترتفع إلى مرتبة الإنسان »[١] ، والشاعر يهدف من وراء التشـخيص أن يـبرز معـالم الصورة وجوانبها ، حتى يقترب المعنى الذي جلبت لتأديته ويتضح ، فيتأثر المتلقي بتجربة الشاعر ويتفاعل معها .

ومـن نمـاذج التشـخيص قـول خير الدين الزركلي ، مصوراً إنجازات الملك عبد العزيز :

وتهـامس الـبحران فـي مديهمـا   يتسـاالآن أفـي الجزيـرة عيـد[٢]

فالـبحران (الخـليج العـربي ، والبحر الأحمر) شخصهما الشاعر في صورة شخصـين وذلـك حيـنما أضـفى عـليهما صـفة الحيـاة الإنسانية ، بأن جعلهما (يتهامسان ويتساالآن) في فرح ، وسرور ، واستبشار بما تحقق في الجزيرة العربية من نهضة غير مسبوقة على يد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .

(١) الصـورة الفـنية في الشـعر السـعودي ، نجاة حسـن البصـري ، رسـالة ماجستير ، جدة كلية التربية للبنات ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ص ٤٣١ .
(٢) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

ويقول أيضاً :

ومشت له الأجداث في أكفانها أمماً تكافح عن حمى وتذود[1]

فالأجداث (القبور) من الجمادات التي لا حياة فيها ، أسبغ عليها الشاعر ثوب الحياة الإنسانية ، فإذا هي تنهض وتمشي ، بمن فيها من الأموات ، لتنظمَّ إلى جيش الملك عبد العزيز ، لتدافع عن حمى هذا الوطن العزيز ، وتصد أعداءه . ويقول محمد بن أحمد العقيلي في تصويره لحالة الحزن العارم التي عمت الجمادات والأحياء على السواء :

وبكى المسجدان واستعبر النا س وناحت على المقام الحمائم[2]

فالمسجدان (المسجد الحرام ، والمسجد النبوي) وهما من الجمادات ، صورهما الشاعر في صورة إنسان ، يبكي حزناً وكمداً على فقيد الوطن الغالي .

ونلاحظ في الأمثلة السابقة كيف استطاع خيال الشعراء ، أن ينفث في الأشياء المادية المحسوسة من جمادات وغيرها ، روح الحياة الإنسانية وذلك بخلع الصفات الإنسانية عليها .

وبالإضافة إلى تشخيص الماديات ، عمد الشعراء السعوديون إلى تشخيص المعنويات هي الأخرى ، فإذا هي تتصرف كما يتصرف الإنسان في حياته العامة ومن ذلك قول طاهر زمخشري :

لم يمت مالك ولم يهوِ عرش بل أبٌ صافح الردى بسلام[3]

فالردى (الموت) معنى مجرد ، أضفى عليه خيال الشاعر صفة الإنسان فإذا هو إنسان يستقبل ويصافح ، والمصافحة من الصفات الإنسانية . ومن

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الأنعام المضيئة ص ٣٢ .

(٣) البلاد ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

التشخيص أيضاً قول عبد الرحمن عثمان :

ولتندب اليوم السياسة … من يسوس على بصيرة[1]

فالسياسة أمر معنوي ، لا سبيل إلى إدراكها بالعين ، شخصها خيال الشاعر في صورة إنسان يندب ، والندب من خصائص الإنسان ، وخصوصاً المرأة ومنه قول محمود عارف في معرض تصويره لشخصية الملك عبد العزيز يرحمه الله ؛ وما يتمتع به من صفات كريمة :

إن الفضائل من سماتك لم تزل … تبكي لفقدك في المجال الأوسع[2]

فالفضائل من الأمور المعنوية ، شخصها خيال الشاعر في صورة الإنسان الذي يبكي لفقد العاهل العظيم ، صاحب تلك الصفات العظيمة ، وقوله مخاطباً الملك سعود :

مولاي حزنك قد مشى … بين الخصيب وفي اليباب البلقع[3]

فالحزن من الأمور المعنوية هو الآخر ، شخصه خيال الشاعر فإذا هو إنسان يمشي على قدميه .

ومن التشخيص قول فؤاد الخطيب :

وكيف أملك حتى النطق من جزعٍ … إني لينطق عني وحده الألم[4]

فالألم شيء معنوي نحسه ولا ندركه بأعيننا ، خلع عليه الشاعر بواسطة خياله ثوب الحياة الإنسانية ، فجعله ينطق ويتكلم ويبوح بشكواه .

وقد جمع الشاعر حسن القرشي بين تشخيص المعنوي والمادي في قوله :

---

(١) المنهل ص ٢٠٣ .

(٢) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ديوان الخطيب ، ص ٣٧٨ .

نبأ يصدع الرواسي وتهذي لصداه النهى وتبكي العواصم(1)

فالشاعر وهو يصور وقع نبأ الوفاة المفجع على كل شيء ، شخص (النهى) وهي من الأمور المعنوية ، فجاءت في صورة إنسان يهذي ، (والعواصم) وهي من الجمادات ، شخصها الشاعر أيضاً بخلعه صفة الإنسان عليها فهي تبكي .

وهناك بعض الشعراء اعتمدوا على التشخيص والتجسيم معاً .

ومنهم الشاعر محمد بن بليهد حيث يقول :

بكته في الحرم المكي كعبته وقاصدوها بكى حتى أعاديها

بيوت ربي بكت أو كل مئذنةٍ وكل روضة علمٍ جل ناديها

وكل درب على حافته غرست يمينه الأمن فاكتظت بساريها

كتاب ربك يبكي فيه حافظه عن ظهر قلب وتبكي الآي تاليها

وتندب العرب فيه قائداً لمعت أفكاره كشموس في نواديها(2)

إن خيال الشاعر الخصب ومن خلفه عاطفته الحزينة المكلومة ، كانا وراء تلك اللوحة التي جسد من خلالها الشاعر مظاهر الحزن العارم ، الذي تجلى في الجمادات ، والأحياء ، من إنسان ، وحيوان وغيرهما « حتى تحولت الدنيا إلى مأتم بكى فيه الإنسان ، والجماد ، والحيوان »(3) .

وقد وفق شاعرنا في رسم لوحته الحزينة ، عبر الصور الجزئية المتلاحقة التي ساقها ، والتي تآزرت وتظاهرت لتشكل بمجموعها لوحة (كلية) استطاع الشاعر من خلالها نقل معاناته إلى المتلقي ، فأثار مشاعره وأحاسيسه ، وجعله يتعاطف معه بل حمله على ذلك .

---

(1) أم القرى ١٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(2) ابتسامات الأيام ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(3) الشيخ محمد بن بليهد وآثاره الأدبية ، ص ٧٣٠ .

وتأمل خيال الشاعر الذي بعث الحياة في الجمادات والمعاني المجردة ، فالكعبة تبكي ، وكذلك المساجد ، والمآذن ، ورياض العلم ، والدروب الآمنة ، والكتاب وآياته ، وكلها جمادات شخصها خيال الشاعر في صورة إنسان يبكي ويندب ؛ لفقد الملك عبد العزيز يرحمه الله .

وتأمل خيال الشاعر كيف جعل الأمن وهو من المعاني المجردة ، كائناً حياً تدب فيه الحياة ، فاستحال إلى شجرة مثمرة باسقة ، هي من غراس الملك عبد العزيز يرحمه الله ، وانظر إلى (الأفكار) وهي من الأمور المعنوية ، كيف استحالت إلى شيء مادي محسوس فيه صفة اللمعان (فالأمن والأفكار) حولهما خيال الشاعر إلى أشياء مادية وهذا من قبيل التجسيم .

وتلك الصور المتلاحقة التي اعتمد فيها الشاعر على التشخيص ، والتجسيم فيها قدر كبير من الرمز ، فبكاء الكعبة ، والمساجد ، والمآذن ، ورياض العلم والدروب الآمنة ، والكتاب وآياته ، كلها تشير إلى الاهتمام الكبير الذي أولاها إياه الملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، حيث كانت محل عنايته ، ورعايته يرحمه الله .

وممن جمع بين التشخيص ، والتجسيم ، محمد بن أحمد العقيلي حيث يقول :

أنجبتك العلا وانجبْتَ حقاً	**سادة العصر بل أسود الملاحم**
رضعوا لمجد بل غذوا بلبان النصـ	**ـر والملك رشحو لعظائم**
كل ندس يغاير الشمس حسناً	**وجلالاً وسؤدداً ومكارم**
مثل للشباب والهمة العليا	**ء والبأس والقنا والصوارم**
يطلبون البقاء بالدين والأخلا	**ق والجد ، لا الرقى والتمائم**
زينة فوق مفرق الضاد باهى	**بهم الشرق عربه والأعاجم**
قد بنى بيتهم على عمد التقو	**ى وصدق الوفا ونبذ المظالم**[1]

---

(١) الأنغام المضيئة ، ص ٣٣ .

فالشاعر هنا يصور ما يتمتع به الملك عبد العزيز وأبناؤه من كرم الأصل ، ونبل الصفات ، ويتجلى لنا خيال الشاعر الخصب ، من خلال الصور المجازية ، التي نسقها وأبدع في إخراجها ، وذلك مثل : (انجبتك العلا - رضعوا المجد - غذوا بلبان النصر والملك - زينة فوق مفرق الضاد - عمد التقوى) .

بالإضافة إلى الإيحاء الرامز ، الذي يشير إلى القوة بمختلف أشكالها ، وكرم الأصل ، وشرف النسب ، وعلو المكانة ، وعظمة الأخلاق ، إضافة إلى التمسك بأهداب الدين الحنيف ، الذي فيه سر البقاء . فقوله :

كل ندس يغاير الشمس حسناً وجلالاً وسؤدداً ومكارم[1]

يشير إلى عظمة الصفات ، وعلو المكانة ، وقوله :

مثل للشباب والهمة العليا ء والبأس والقنا والصوارم[2]

يشير إلى القوة بمختلف أشكالها ومظاهرها ، وقوله :

يطلبون البقاء بالدين ، والأخلا ق ، والجد ، لا الرقى ، والتمائم[3]

يشير إلى تمسكهم بأهداب الدين الحنيف .

وتلك الصورة الكلية التي رسمها خيال الشاعر ، لم تخل من عنصر الحركة ، الذي بث في أوصالها الحيوية ، والنشاط ، لاعتماده على بعض الأفعال التي من خصائصها الحركة مثل : (رضعوا ، غذُّوا ، يطلبون ، باهى ، بنى) ولم تخل أيضاً من عنصر اللون ، مثل: (يغاير الشمس حسناً ، زينة فوق مفرق الضاد).

ونلاحظ أن الشاعر في الأبيات السابقة قد عمد إلى التشخيص ، والتجسيم معاً ، وذلك يعطي الصورة قدراً كبيراً من التأثير .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

ويظهر التشخيص في مثل قول الشاعر (أنجبتك العلا) ، حيث جعل العلا وهي شيء معنوي ، امرأة تنجب وكذلك (مفرق الضاد) حيث خلع على (الضاد) - والمقصود به اللغة العربية - صفة إنسانية وجعل له مفرقاً .

كما يظهر التجسيم في مثل قوله : (رضعوا المجد ، غذوا بلبان النصر ، عمد التقوى) فالمجد ، والنصر ، والتقوى كلها أمور معنوية ، جسَّمها خيال الشاعر وجاء بها في صورة مادية محسوسة .

وإذا كان التجسيم ، والتشخيص وسيلتين من وسائل التصوير الإيحائي ، فإن (الرمز) هو الآخر وسيلة من أبرز وسائل التصوير الإيحائي أيضاً ، والمقصود بالرمز في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ، الرمز الواضح الذي لا غموض فيه ولا التباس ، الذي يرتبط ارتباطاً ذاتياً بتجربة الشاعر ، وينبع من وجدانه .

ويأتي اعتماد الشاعر على الرمز ، لأن فيه قدرة إيحائية كبيرة ، إذ هو القادر على جلاء ما تقصر اللغة عنه من عواطف وخواطر عميقة .

وسبيل ذلك أن تبدأ تلك الصور الرامزة من الأشياء المادية المحسوسة ، ليتوصل عن طريقها إلى التعبير عن أثرها العميق في النفس[١] .

ومن الوسائل التي تشكل الصورة الرمزية (تراسل الحواس) « أي وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى ، فتعطي المسموعات ألواناً ، وتصير المسموعات أنغاماً وتصبح المرئيات عاطرة »[٢] .

من ذلك قول طاهر زمخشري :

---

(١) انظر : النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ص ٣٩٥ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

والحنايا التي تضجُّ بها البلوى وتكوى بلاعج الأيلام[1]

ففي قول الشاعر (تضج بها البلوى) تراسل حواس ، لأن الضجيج من مدركات حاسة السمع ، أما البلوى فهي منظرٌ حسي تدركه حاسة البصر .

ومن ذلك قول محمد حسن عواد :

فما مات من أعماله وخصاله ملأن من الخلد السجل المعطرا[2]

ففي قول الشاعر (السجل المعطر) تراسل حواس إذ أن السجل من مدركات حاسة البصر ، أما العطر فمن مدركات حاسة الشم .

ومن تراسل الحواس أيضاً قول محمد بن أحمد العقيلي :

وتطل النجوم عبري حيارى في شعاعٍ من ريق النور ناعم[3]

فالنور من مدركات حاسة البصر ، أما النعومة فمن مدركات حاسة اللمس ، ومن وسائل الصور الرمزية التي وظفها بعض الشعراء ، اختيار الألفاظ المشعة المصورة ، التي تشكل الصور المهمومة المشوبة بالغموض « بحيث توحي اللفظة في موقعها وقرائها ، بأجواء نفسية رحيبة ، تعبر عما يقصر التعبير عنه ، وتفيد ما لا تفيد في أصلها الوضعي النفعي »[4] .

ومن ذلك قول عبد الله بن شاهين :

بكرت للروض الشجير وقد صبت نفسي إلى الأطيار والأشجار

فإذا الصوادح والغصون وزهرها في وحشة وكذا النهير الجاري

وإذا الظلام يلف في أردائه روضي ويغمر في دجاه مزاري

والزهر لم يخرجه من أكمامه طلّ الصباح ولا النسيم الجاري

---

(١) البلاد ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) أم القرى ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) الأنغام المضيئة ، ص ٣٢ .

(٤) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

والـنّحل يـبكي مصـرع الـنوّر	**مـاذا دهى الأرواح قل ما الجاري ؟**
والدائـم الـتغريد مـاذا راعـه	**لكـأن لـم يشـدو مـع الأسـحار**[1]

انظـر إلى الصـورة الحزيـنة المتلاحقة ، التي أبدع الشاعر صنعها ، ومن ورائه خيالـه الخصـب الـذي جمـع شـتاتها ، وأعـاد تنسـيقها ، فخـرجت لوحة رائعة التصـوير فصـورة (الـروض الشـجير ، والطيور ، والغصون ، والنهر الجاري ، الـتي اكتنفـتها الوحشة وعمها الصمت المطبق جميعها) ، وصورة (الظلام الذي لـف ذلـك الـروض في وضـح الـنهار ، والزهر الذي لم يخرجه طلّ الصباح ولا نسـيمه ، على خلاف العادة ، وصورة (النحل الذي يبكي ، لذبول وموت زهر النوّار في ذلك اليوم) ، وصورة (الطير الذي تعود أن يغرد مع الأسحار وكيف صـمت عـن الـتغريد) كـل تـلك الصـور توحي بما يعتمل في نفس الشاعر من شعور عميق بالألم والحزن المريرين لفقد العاهل العظيم ، كما أن في تلك الصور أيضـاً إشارة إلى أن المصاب جماعي ، والخطب عام ، نظراً لمكانة الفقيد ، وعموم فضله ، وذيوع صيته .

والشـاعر لم يصـرّح بشـعوره ، وإنما اقتبسه من صمت الطبيعة ، ووجومها ، وكـأن الطـبيعة فـيما أضـفاه عليها ، معادل موضوعي لما يحسه في داخله . ومن الصور المهمومة أيضاً قول محمد بن أحمد العقيلي :

قـلت والأفـق مدلهـم الحواشـي	**والأسـى مطبق عـلى الأرض جـاثم**
وهـزيم الأثـير يهـدر بـالأذ	**ـباء والكون مرهف السمع واجـم**
والسـكون الـرهيب ينـتظم الآفـا	**ق والـنجم سـاهر الطـرف سـاهم**
أيهـا العـاهل العظيـم تـأمل	**(لـك في الأرض والسماء مآتم)**[2]

(١) اليمامة ، العدد الرابع ١٣٧٣ هـ .

(٢) الأنغام المضيئة ، ص ٣١ .

فالصور (الأفق المدلهم الحواشي ، والأسى المطبق ، وهزيم الأثير الذي يهدر بالأنباء ، والكون مرهف السمع واجم ، والسكون الرهيب ، والنجم الساهر ، والطرف الساهم) ، كلها توحي بأجواء الحزن العميق ، وترمز إلى عظيم الخسارة ، وجمعية المصاب ، نظراً لمكانة الفقيد العالية في النفوس .

ومن الصور المهمومة أيضاً قول محمد هاشم رشيد :

أيه عبد العزيز قد حطم الشعر	**جناحيه وارتمى في عياء**
ساهماً ترسل الدموع مآقيه	**ويهفو قيثاره للرثاء**
روعته يد الصروف فما لاحت	**بآفاقه بروق من الرجاء**[1]

ونلاحظ أن الشاعر انتقى ألفاظاً موحية مشعة ، ونسج منها صوراً مهمومة تحمل إيحاءات نفسية عميقة مثل : (حطم الشعر جناحيه ، يهفو قيثاره للرثاء ، يد الصروف ، بروق الرجاء) .

وإذا كان الشعراء السعوديون في رثائهم للملك عبد العزيز قد اعتمدوا في تصويرهم على الوسائل المجازية ، بمختلف أشكالها وتعدد أساليبها ، وجعلوا من الإيحاء في بعض قصائدهم طريقاً للتعبير عن مشاعرهم ، وإبراز عواطفهم وانفعالاتهم ، فإنهم في مقابل ذلك قد نسجوا صوراً أخرى كثيرة اعتمدوا فيها على التصوير بالحقيقة ، وذلك باستخدام ألفاظ وعبارات حقيقية لا مجاز فيها .

وفي الغالب الأعم تميل إلى المباشرة والتقرير ، ولعل طبيعة الموضوع وضعف أدوات بعض الشعراء الفنية ، بالإضافة إلى حداثة تجاربهم ، هي التي أفضت إلى مثل ذلك التسطح والتقرير .

وهناك بعض الشعراء استطاعوا من خلال التصوير بالحقيقة ، أن يضفوا على تجاربهم إيحاءات فياضة تنبئ عن خيال خصب ، وقد يكون التصوير

(١) اليمامة ، العدد الرابع ١٣٧٣ هـ .

بالحقيقة أبلغ في نقل التجربة الشعورية لدى الشاعر ، ويعود ذلك : « إلى أن التصوير بالحقيقة يعتمد على رسم منظر ديناميكي متحرك ، في شكل قصصي ، أو حوار درامي ، تتجه أحداثه وخطوطه وتتقدم بشكل يجعلها قادرة على تجسيد تلك الاحساسات التي تطفح من معينات التجربة الشعورية »[1] .

فهذا خير الدين الزركلي طوع اللغة الحقيقية ليرسم لنا صورة متحركة ، بأسلوب قصصي جميل ، مستوعبٍ لمشاهد مشرقة من تاريخ المملكة العربية السعودية ، ومجسدٍ لكفاح الملك عبد العزيز يرحمه الله في سبيل توحيد أجزاء هذا الوطن الغالي إذ يقول :

ما يوم عجلانٍ بمبتعد المدى	**ولرب دان منك وهو بعيد**
خفَّت إليه عصبة من وائلٍ	**قيدومها أسد يصول شديد**
فإذا بشمر طيءٍ ورشيدها	**تعنو ولا يأبى السلام رشيد**
وتقلص الخاقان بين بنوده	**وله بأطراف الخليج بنود**
لحقت به قواده واستسلمت	**أجناده والسالم المجدود**
وهوت عوادي الملك بابن رفادةٍ	**لم يغن عنه جمعه المحشود**
ضحك الغرور لهم فلما أوغلوا	**في الغي صالوا صولة وأبيدو**
صوت تغلغل بين نزوى واللوى	**وسفوح رضوى رددته البيد**
دوى كقصف الريح في جنباتها	**لو أنها تحيي الموات رعود**
عادت تسير على هدى نبراته	**عاد وجرهم حية وثمود**
فكأن إسرافيل جاء بصوره	**للبعث ينفخ والأنام رقود**[2]

ففي الأبيات السابقة صور لنا الشاعر كفاح الملك عبد العزيز ، وما سطره من بطولات ، وصور أيضاً تهاوي عروش أعدائه في طول الجزيرة وعرضها ، ابتداءً بدخول الرياض والقضاء على حاكمها (عجلان) ، ومن ثم سقوطها في

---

(١) التصوير الشعري ، عدنان حسين قاسم ، ص ١٨٣ .

(٢) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

يديه ، ثم القضاء على حكم (آل رشيد) في الشمال ، ثم اندحار العثمانيين إلى الخليج ثـم القضاء على ثورة (ابن رفادة) في الشمال ، ثم صور الشاعر كيف اسـتتب للمـلك عـبد العزيـز الأمر ، وأفاقت الجزيرة على يديه لتشهد نهضة لم تعرف لها مثيلاً من قبل .

ومن التصوير الحقيقي المباشر قول محمد هاشم رشيد :

أي يــومٍ عــلى الجزيــرة ريعــت ... فيــه أرجــاء حــزنها والــتهائم
لا الصـباح الصـباح مهمـا اسـتفا ... ض النـور يهفـو ، وداعبته النسائم
مــرَّ لا ســرحها أحيــش ولا راحــ ... ــت إلى مـرجها النضـير السـوائم
تــندب الغيــد فــي الخـدور وتــ ... ــبكيه رجـال قـد زينـتها العمـائم
أيـه عـبد العزيـز قـم وانظر الضـا ... د وقــد هــب بالمــناحات قــائم
صـعقته مـن حـادث الـرزء مـا قـد ... شيَّب الطفـل فـي عقـود الـتمائم[1]

ففـي الأبيات السابقة صور لنا الشاعر الحزن العميق العارم ، الذي عمَّ كل الـبلاد ، وظهـرت ملامحـه على الإنسان ، والحيوان ، والجمادات ، ونلاحظ أن الشـاعر قـد اعـتمد على التصوير بالحقيقة في قدر كبير من النص ، حيث اعتمد عـلى الألفـاظ والعـبارات الحقيقيـة ، الـتي بـدت غـنية باشـعاعاتها ، وطاقاتها الإيحائية .

ومن التصوير بالحقيقة أيضاً قول محمد سراج خراز :

خرســت ألســنٌ وذابــت قــلوب ... وبكـــت أمـــة وريعـــت شـــعوب
فــإذا بــالعيون وهــي دمــوع ... وإذا بالقـــلوب وهـــي وجيـــب
وإذا بالــنفوس وهــي اضــطرابٌ ... وإذا تــلكم الوجــوه شــحوب[2]

فالشـاعر قـد اعـتمد عـلى التصـوير بالحقيقـة ، لينقل لـنا وقع وفاة الملك عبد العزيز وما أحدثته من هزةٍ في جميع أرجاء الوطن العربي .

---

(١) الأنغام المضيئة ، ص ٣١ .

(٢) أم القرى ٢١ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

الفصل الثالث

الموسيقى

* موسيقى خارجية .

* موسيقى داخلية .

الموسيقى

تعد الموسيقى من المكونات الأساسية في العمل الشعري ، فهي التي توحي بالظلال الفكرية ، والعاطفية لكل معنى ، وتصبح تلك الظلال أكثر تأثيراً في النفس من المعنى المجرد ، كما أن ضعف الموسيقى في الشعر يعد انقاصاً شديداً في قدرته على التعبير والإيحاء[١] . وبالموسيقى يتميز الشعر عن النثر ، ذلك أن الموسيقى تحيل اللفظ إلى نغم يغذي الروح والحس ، وتتغنى به الألسن ، وتطرب له الأسماع ، وتهتز له القلوب ، ويسهل على الذاكرة استيعابه وحفظه[٢] . وعلاقة الموسيقى بالشعر علاقة قديمة قدم الفنين[٣] إذ هي « علاقة عضوية فالشعر في صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات ، تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغماً آسراً مؤثراً ، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم ، ينقطع ذلك الخيط الفني الدقيق الذي يشد المتلقي إلى سماع الشعر ، فالشعر نغم وإنشاد »[٤] .

وبوقفة متأنية عند موسيقى الشعر في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي ، يمكننا تمييز نوعين من الموسيقى ، دارت حولهما الدراسة في هذا الفصل :

---

(١) انظر : الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الثالثة ، د/ محمد مندور ، دار النهضة ، للطبع والنشر ، مصر ، بدون تاريخ ، ص ١٠٣ .

(٢) انظر قضية الشعر ، د/ محمد النويهي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٣٠٢ .

(٣) انظر عضوية الموسيقى في النص الشعري ، د/ عبد الفتاح صالح نافع ، مكتبة المنار ، الأردن الزرقاء ، ط(١) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٥٠ .

(٤) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د/ صابر عبد الدايم ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط(٣) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ص ١٦ .

فالنوع الأول : (الموسيقى الخارجية) المتمثلة في الوزن والقافية .

أما النوع الثاني : (الموسيقى الداخلية) الناشئة من الإيقاع الداخلي لكل كلمة ، وجرس كل حرف من الحروف المستعملة في البيت ، وفي الشطر الشعري ، وفي كيفية توالي تلك الحروف في كل كلمة من الكلمات المستعملة ، ثم من الجرس المؤتلف الذي تبرزه الكلمات في اجتماعها ، سواء كان ذلك في البيت الواحد ، أو في تتابع الأبيات في القصيدة الواحدة أو في قسم منها[1] .

وحينما نقف على النوع الأول من الموسيقى وهو الموسيقى الخارجية نجد أنها تتكون من جزءين ، الجزء الأول يمثله الوزن ، والجزء الآخر تمثله القافية فهما من الرسوم الثابتة التي يتحتم على الشعراء التقيد بها[2] وهي عندهم الفارق الأساس بين الشعر ، والنثر ، ويتضح ذلك من حدهم للشعر بأنه « قول موزون مقفى يدل على معنى »[3] .

وقد رأى صاحب العمدة « أن الوزن حد الشعر ، وأولاها به خصوصية ، وهو يشتمل على القافية جالب لها ضرورة »[4] .

وهذا لا يعني أن أولئك النقاد يجهلون بقية العناصر التي هي من أساسيات البناء الشعري ، كالخيال ، والتصوير ، واللغة ، ولكنهم رأوا أن الوزن والقافية هي تلك الصفة التي تستدعي الانتباه أولاً ، فهي تطرب الأسماع[5] . وتتفاعل معها نفس المتلقي وأمر آخر وهو أن كثيراً من العناصر التي يتكون منها البناء

---

(١) انظر عضوية الموسيقى في النص الشعري ، ص ٥٣ .

(٢) انظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٢١ .

(٣) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، ص ١٧ .

(٤) العمدة لابن رشيق ، ص ١٣٤ .

(٥) انظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٢١ .

الشعري ، تكون مشتركة بين الشعر والنثر عدا الوزن والقافية فهما من خصوصيات الشعر .

وبالنظر إلى قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ، نجد أن الوزن والقافية ، يمثلان علامة بارزة في بناء الموسيقى ، وخصوصاً أن جميع القصائد التي حملت تجارب شعرائنا ، من (الشعر البيتي) أو ما يسمى (بالقصيدة ذات الشطرين) مع الالتزام بقافية موحدة من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت .

فالوزن هو « مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت »[1] وتنشأ الموسيقى من النغمة الإيقاعية لتلك التفعيلات ، والحالة الشعورية هي التي تحدد نوع تلك التفعيلات وطبيعتها « فما وافق انفعال النفس من الأوزان والوحدات الإيقاعية في حالة تصوير تلك الانفعالات ، كان ذلك صورة صادقة لطبائع النفوس المبدعة »[2] .

وما دام أن دراستنا تدور حول غرض واحد وهو الرثاء ، فهل لكل غرض وزن خاص به ؟

وللإجابة على ذلك فإنه يجدر بنا استعراض آراء بعض آراء النقاد الذين وقفوا عند هذه المسألة ، ومن أولئك النقاد حازم القرطاجني ، الذي ذهب إلى أنه يجب أن تحاكى المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس « فإذا قصد الشاعر الفخر ، حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ، وإذا قصد في موضعٍ قصداً هزلياً ، أو استخفافياً ، أو قصد تحقير شيء ، أو العبث به ، حاكى

---

(١) النقد الأدبي ، د/ محمد غنيمي هلال ، ص ٤٣٦ .

(٢) عمود الشعر النشأة والمفهوم ، د/ محمد مريسي الحارثي ، دار الحارثي للطباعة والنشر ، الطائف ، منشوارت نادي مكة الثقافي الأدبي ، ط(١) ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٥٢٨ .

ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البلهاء ، وكذلك في كل مقصد »[1] .

ومما لا شك فيه أن حالة الشاعر النفسية لها دور في اختيار أكثر الأشكال تناسباً مع حالته الشعورية[2] .

فغرض الرثاء تناسبه البحور الطويلة ، كما أفصح عن ذلك الدكتور إبراهيم أنيس حيث يقول : « إن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادةً وزناً طويلاً كثير المقاطع ، يصب فيه من أشجانه ما يتنفس عن حزنه وجزعه »[3] .

وعند استعراض الأوزان التي حملت تجارب الشعراء السعوديين في رثائهم للملك عبد العزيز طيب الله ثراه ، نجدها جميعها من أوزان البحور الطويلة .

وقد احتل البحر الكامل المرتبة الأولى بالنسبة لعدد القصائد المنظومة عليه ، واحتل البحر الخفيف المرتبة الثانية ، بينما جاء كل من الطويل ، والبسيط في المرتبة الثالثة ، متساويين في عدد القصائد المنظومة عليهما .

ومهما يكن من شيء فإن تلك البحور الطويلة هي أكثر البحور دوراناً في الشعر العربي القديم في جميع أغراضه[4] ، ولا ريب في أن ينظم عليها شعراؤنا لأمرين : الأول : أن معظمهم كان اتباعياً للمدرسة التقليدية ، التي تمثلت الشعر العربي القديم بأغراضه ، وأوزانه ، وحاكته أو حاولت محاكاته ، والأمر الآخر : أن مجموعة من أولئك الشعراء كانوا في بداية انتاجهم الشعري - وإن أصبحوا فيما بعد من الابتداعيين الرومانسيين - ذلك أن المرء في بداياته ينزع إلى التقليد والمحاكاة غالباً .

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب خوجه ، المطبعة الرسمية التونسية ، تونس ١٩٩٦ م ، ص ٢٦٦ .

(٢) انظر : التفسير النفسي للأدب ، د/ عز الدين إسماعيل ، ص ٥٩ .

(٣) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ١٩٦ .

(٤) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٢٠٧ .

فمن الفئة الأولى : أحمد الغزاوي ، ومحمد بن بليهد ، وفؤاد شاكر ، وغيرهم ومن الفئة الثانية : طاهر زمخشري ، وحسن القرشي ، ومحمد هاشم رشيد ، وغيرهم وإذا أمعنا النظر في البحور التي نظم عليها الشعراء السعوديون في رثائهم للملك عبد العزيز ، نجد أن البحر الكامل الذي حل في المرتبة الأولى « أكثر البحور جلجلة وحركات »[1] وهو بحر متساوي التفعيلات ، يحمل في كل شطر من البيت ثلاث تفعيلات (متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن) وهو بحر صالح لكل مضامين الشعر ، حيث يتلاءم مع الجد ، والتباهي ، ومع اللين ، والرقة ، حتى « كأنما خلق للتغني المحض »[2] ، وتفعيلاته لها دندنة جهيرة واضحة ، « تهجم على السامع مع المعنى والعواطف ، والصور ، حتى لا يمكن فصله عنها بحال من الأحوال »[3] كما أنه يعطي الشاعر حرية في بسط ما يريده، وخصوصاً إذا كان تاماً ، حيث يتألف من ثلاثين مقطعاً ، ولذلك يصلح للقصة ، والحوار ، ونقل المواقف المتعددة[4] .

ونظراً للحرية التي يمنحها هذا البحر للشاعر ، فقد جاء بعدة تشكيلات ، حيث جاء مجزوءً بأربع تفعيلات كما في قصيدة عبد الرحمن عثمان التي اشتملت على الكثير من العلل والزحافات ، من ذلك قوله :

(١) المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها ، د/ عبد الله الطيب ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، جـ(١)، ط(٤) ١٩٩١ م ، ص ٣٠٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٠٣ .

(٤) التجديد في الموسيقى في الشعر العربي ، رجاء عيد ، ص ٣٣ ، ٣٧ .

اليــوم فالتـــبك الجزيـــرة ولـــتجر أدمعهـــا الغزيـــرة[1]

اليــوم فــل/ تــبك الجزيــرة ولــتجر أد/ معهــا الغزيــرة

/٥/٥//٥ /٥/٥//٥/٥ /٥/٥//٥ ///٥//٥/٥

مستفعلن / مستفعلاتن مستفعلن / متفعلاتن

ونلاحـظ أنـه قـد دخلـه الإضـمار في الحشـو ، والعـروض . والترفيـل في العروض والضرب .

وأغـلب عـروض القصـيدة جاءت مضمرة ، حيث سكن الحرف الثاني من التفعيلة فصارت (متفاعلن) (مستفعلن) كما في قوله :

وبـــــإنفسٍ يـــــا ويـــــلها مـــن عظـــم فادحـــةٍ حســـيرة[2]

حيث جاءت كما يلي :

وبأنفســـــن/ يـــا ويـــلها مـن عظـم فـا / دحتن حسيره

///٥//٥ /٥/٥//٥ /٥/٥//٥ ///٥//٥/٥

متفاعلن / مستفعلن مستفعلن /متفاعلاتن

وجميـع أبيـات القصـيدة دخلتها علة الترفيل ، في الضرب . وباستثناء تلك القصـيدة التي جاءت من المجزوء ، فإن بقية القصائد التي جاءت على هذا البحر جـاءت مـن الـتام ، الـذي وظفـه الشـعراء بعـدة تشـكيلات ، حيـث جاء سالم العروض والضرب ، كما هو عند خالد الفرج :

---

(١) المنهل جـ٣ ، ربيع الأول ، ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق .

رجل قضى فبكى الوجود لفقده ... ثكلت به دنيا الكرام أنامها[1]

رجلن قضى	فبكَ لوجو	د لفقدهي	ثكلت بهي	دنيا الكرا	م أنامها
///٥//٥	///٥//٥	///٥//٥	///٥//٥	/٥/٥//٥	///٥//٥
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن	مستفعلن	متفاعلن

وجاء سالم العروض ، أما الضرب فدخله الإضمار ، والقطع ، كما عند عبد الله بن إدريس .

نعت الجزيرة عزَّها وهناءها ... وضياءها والكوكب السيارا[2]

نعت لجزي	رة عززها	وهناءها	وضياءها	ولكوكب سْ	ييارا
///٥//٥	///٥//٥	///٥//٥	///٥//٥	/٥/٥//٥	/٥/٥/٥
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن	مستفعلن	مستفعلْ

وجاء مضمر العروض مع دخول الإضمار والقطع في الضرب كما عند محمد بن علي السنوسي .

ضجت شعوب الأرض لما قيل قد ... أودى المناضل عن هماها الرامي[3]

ضجْجت شعو	ب لأرض لم	ما قيل قد	أو دَلْنا	ضل عن حما	هـ ررامي
/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	///٥//٥	/٥/٥/٥
مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	متفاعلن	مستفعلْ

وجاء مقطوع العروض مع دخول الإضمار والقطع في الضرب كما عند عبد الله بن خميس :

---

(١) أم القرى ، في ٣٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) ديوان (في زورقي) ص ١٦٩ .

(٣) المنهل ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٨ .

لا غــرو أن تــلقى أخــاك حزيــناً ۝ فــاليوم حــتماً يكــثر الــباكونا[1]

لا غرو أن	تلقى أخا	ك حزينن	فليوم حت	من يكثرل	باكونا
/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	///٥/٥	/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	/٥/٥/٥
مستفعلن	مستفعلن	متفاعل	مستفعلن	مستفعلن	مستفعل

وفي قصــيدة عــبد الله بــن إدريــس هناك بيت فيه كسر حيث زيدت كلمة في الحشو وذلك في قوله :

حمـل الأثــير إلى الــنفوس شجونها ۝ نــبأ فــت الكــبود وبلــبل الأفكــارا[2]

حمل الأثي	ر إلَ نْنفو	س شجونها	نبأ	فتت لكبو	د وبلبل ل	أفكارا
///٥//٥	///٥//٥	///٥//٥	///	/٥/٥//٥	///٥//٥	/٥/٥/٥
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن		مستفعلن	متفاعلن	مستفعل

فالكسر حصل من زيادة كلمة (نبأ) فاختلَّت الموسيقى في البيت .

وجـاء بحـر الخفيـف في المرتبة الثانية ، وهو من البحور ذات الفخامة ولكنه دون الطويل ، والبسيط في فخامته ، وذلك لوضوح نغمه وتفعيلاته[3] وموسيقاه جيَّاشة متلاحقة ، لا تعلو فيها النبرة الخطابية أو يرتفع رنينها[4] .

كمـا أن فيه جزالة ورشاقة ، وهو من البحور التي تناسب الغناء ، نظراً لعلو إيقاعه تارة ، وانخفاضها تارة أخرى .

ولذلـك كـثر استخدامه في البيـئات الـتي يـتعاطى أهـلها الغناء ويتقنونه ،

---

(١) البلاد ، العدد ١٤٠٢ في ٥ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) ديوان (في زورقي) ص ١٦٨ .

(٣) انظر المرشد في فهم أشعار العرب ، د/ عبد الله الطيب ، ص ٢٣٨ .

(٤) انظر الخصائص الفنية في شعر محمد هاشم رشيد ، د/ عبد الرحمن محمد الوصيفي ، دار الجزيرة للطباعة ، ط(١) ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٥٩ .

كالحيرة مثلاً[1] .

ولعل ميل هذا البحر للرقة في بعض جوانبه ، جعلته مناسباً لأن يبث الشاعر فيه أحزانه وأشجانه ، كما أن تدفقه واستيعابه يناسب سرد الأحداث التاريخية ورصد المنجزات .

وقد وظفه الشعراء السعوديون – الذين جاءت قصائد رثائهم للملك عبد العزيز عليه – تاماً ولم يأت مجزوءاً .

حيث جاء سالم العروض والضرب كما عند محمد العقيلي في قوله :

نير قد هوى فرج العوالم　　　**وأحال الشموس والكون قاتم**[2]

نيّرن قد	هوى فرجْ	جلعوالم	وأحال شنْ	شموس ول	كون قاتم
/ه//ه/ه	//ه//ه	/ه//ه/ه	///ه/ه	//ه//ه	/ه//ه/ه
فاعلاتن	متفعلن	فاعلاتن	فعلاتن	متفعلن	فاعلاتن

وكما هو الحال عند أحمد الغزاوي أيضاً حيث سلمت العروض والضرب من ذلك في قوله :

ما يقول النعاة ويحي أرجف　　　**زلزل الأرض أين مني الصواب**[3]

ما يقولنْ	نعاة وي	حي أرجفن	زلزل لأر	ض أين من	ننصوابو
/ه//ه/ه	//ه//ه	/ه//ه/ه	/ه//ه/ه	//ه//ه	/ه//ه/ه
فاعلاتن	متفعلن	فاعلاتن	فاعلاتن	متفعلن	فاعلاتن

وغالباً ما يدخل الخبن في الحشو ، كما في البيتين السابقين ، وكما سيأتي معنا في بعض الأمثلة حيث يحذف الثاني الساكن فتحول (مستفعلن) إلى

---

(١) انظر المرشد ، ص ٢٣٨ .

(٢) ديوان (الأنغام المضيئة) ط(١) ص ٣٠ .

(٣) الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ١٢٧٥ .

(متفعلن) وتحول (فاعلاتن) إلى (فعلاتن) .

ومن التشكيلات التي جاء عليها هذا البحر أنه جاء سالم العروض مشعث[1] الضرب كما في قول محمد هاشم رشيد :

ما عليها إن أسرفت في البكاءِ　　　وطوتها جوانح الظلماءِ[2]

ما عليها	إن أسرفت	فلبكائي	وطوتها	جوانحظْ	ظلمائي
/٥//٥/٥	/٥/٥//٥	/٥//٥/٥	///٥/٥	//٥//٥	/٥/٥/٥
فاعلاتن	مستفعلن	فاعلاتن	فعلاتن	متفعلن	مفعولن

كما جاء مخبون العروض ، سالم الضرب ، كما عند محمد هاشم رشيد في قوله :

يتهادى شعاعه بجلالٍ　　　عبقري يرف ملء الجواءِ[3]

يتهادى	شعاعهو	بجلالن	عبقريين	يرفف مل	ء لجوائي
///٥/٥	//٥//٥	///٥/٥	/٥//٥/٥	//٥//٥	/٥//٥/٥
فعلاتن	متفعلن	فعلاتن	فاعلاتن	متفعلن	فاعلاتن

وجاء مخبون العروض والضرب ، كما هو عند محمد حسن فقي في قوله :

يا شباباً لم نبكه لشبابه　　　بل بكينا لكده وطلابه[4]

يا شبابن	لم نبكهي	لشبابه	بل بكينا	لكددهي	وطلابه
/٥//٥/٥	/٥/٥//٥	///٥/٥	/٥//٥/٥	//٥//٥	///٥/٥
فاعلاتن	مستفعلن	فعلاتن	فاعلاتن	متفعلن	فعلاتن

---

(١) التشعيث هو حذف أول الوتد المجموع حيث تصير (فاعلاتن) إلى (مفعولن) .

(٢) اليمامة ، العدد الرابع ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ١٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ديوان قدر ورجل ، ص ٣٣٦ .

وجاء كلٌ من الطويل ، والبسيط ، في المرتبة الثالثة متساويين : في عدد القصائد المنظومة عليهما ، وهما من البحور الفخمة القوية المجلجلة ، يقول حازم القرطاجني « ومن تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض ، وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان ووجد الافتنان في بعضها أعم من بعض ، فأعلاها درجةً في ذلك الطويل والبسيط »[1] .

ويقول عبد الله الطيب : « الطويل والبسيط أطول بحور الشعر العربي ، وأعظمها أبَّهة وجلالة ، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة ، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة »[2] .

فأما الطويل فهو من البحور ذات الفخامة « وهو أرحب صدراً من البسيط وأطلق عناناً وألطف نغماً »[3] وهو أكثر بحور الشعر استخداماً عند الشعراء القدامى ، فقد نُظم عليه ثلث الشعر العربي القديم[4] وقد عقد عبد الله الطيب مقارنة بين ما قيل في الرثاء على الكامل ، والمنسرح ، والطويل ، فخلص إلى أن ما نظم على الطويل أدخل في باب الرثاء المحض والحزن العميق[5] ، والطويل بحر يتسع للقصص ، وسرد الأحداث والأخبار[6] ، وما يتصل بذلك من ذكر المنجزات ولذلك فهو « يناسب معاني التغني بجلالة الماضي »[7] .

وقد استعمل الشعراء السعوديون - في رثائهم للملك عبد العزيز - هذا البحر تاماً بثماني تفعيلات في كلا الشطرين هي (فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ،

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٦٨ .

(٢) المرشد ص ٤٤٣ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) انظر : موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٢٠٨ .

(٥) انظر : المرشد ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٦) انظر : المصدر السابق ، ص ٤٥٠ - ٤٥٢ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٤٥٠ .

مفاعيـلن) مكـررة في كل شطر غير أنها في الغالب مقبوضة العروض والضرب حيث يحذف الخامس الساكن وتصبح (مفاعيلن) (مفاعلن) .

ومن ذلك قول محمد حسن عواد :

وما فقـدت عـبد العزيـز قلوبـنا　　　إذا فقدتــه العــين فــذاً مطهــراً[1]

وتقطيعه :

وما فـ	قدت عبدل	عزيز	قلوبنا	إذا ف	قدته لعي	ن فذذن	مطهرن
//ه/	//ه/ه/ه	//ه/	//ه//ه	//ه/	//ه/ه/ه	//ه/ه	//ه//ه
فعول	مفاعيلن	فعول	مفاعلن	فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن

ويدخـل القـبض عـلى (فعولـن) فتصير (فعول) كما في البيت السابق ، وكما في قول عبد الله بن شاهين :

إلى الله أشــكو والهمــوم تــؤرق　　　ونفــس إذا راب الــزمان ترقــرق[2]

إلّلّلا	ه أشكو ول	هموم	تؤررقو	ونفسن	إذا راب ز	زمان	ترقرقو
//ه/ه	//ه/ه/ه	//ه/	//ه//ه	//ه/ه	//ه/ه/ه	//ه/	//ه//ه
فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعلن

وبعـض الـنماذج دخـلها الحـذف في الضـرب[3] بالإضـافة إلى القـبض في العروض وذلك كما جاء عند حامد المحضار في قوله :

---

(١) أم القرى ، في ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) اليمامة ، العدد الرابع ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ .

(٣) الحذف : هو ذهاب السبب الخفيف من آخر التفعيلة .

**أجاب إلى الفردوس حيث مقامه		رغيد وحيث العيش ثَمَّ رغيد**[1]

أجاب	إللفردو	س حيث	مقامهو	كريمن	وحيث لعيـ	ش ثمم	رغيدو
//ه/	//ه/ه/ه	//ه/	//ه//ه	//ه/ه	//ه/ه/ه	//ه/	//ه/ه
فعول	مفاعيلن	فعول	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعي

وجاء الحذف في العروض والضرب معاً في مطلع القصيدة :

**قضى وجميع العالمين شهود		على أنه في الخالدين وحيد**[2]

قضى و	جميع لعا	لمين	شهودو	على أن	نهو فلخا	لدين	وحيدو
//ه/	//ه/ه/ه	//ه/ه	//ه/ه	//ه/ه	//ه/ه/ه	//ه/	//ه/ه
فعول	مفاعيلن	فعول	مفاعي	فعولن	مفاعيلن	فعول	مفاعي

والملاحظ على القصيدة هو أن جميع أضربها دخلها الحذف .

أما البحر البسيط : فهو بحر يتسع للكلام القوي ، والعواطف الحارة ، وهو أيضاً يجمع بين النقيظين ، العنف ، واللين ، ولذلك فهو صالح للمعاني الفخمة والقوية ، والمعاني الرقيقة ، والعاطفة الحزينة[3] .

وقد استخدم الشعراء السعوديون - في رثائهم للملك عبد العزيز - هذا البحر تاماً بثمان تفعيلات (مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فاعلن) مكررة في الشطرين .

وجميع النماذج التي جاءت على هذا البحر دخلها الخبن في العروض والضرب .

---

(١) أم القرى ، في ١٩ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، ص ٢٦٩ .

ولم أقف على نموذج سلمت فيه العروض والضرب من الخبن ، أما الحشو فالغالب دخول الخبن على (فاعلن) .

ومن الأمثلة التي جاءت فيها (فاعلن) مخبونة في العروض والضرب والحشو قول فؤاد الخطيب :

إني رجعت إلى الأوطان أسألها　　　أين المقيل لمن زلت به القدم[1]

إني رج	ت إلل	أوطان أس	ألها	أين لمقيي	للمن	زلْلَت به ل	قدمو
/٥/٥//٥	///٥	/٥/٥//٥	///٥	/٥/٥//٥	///٥	/٥/٥//٥	///٥
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن

وقد يدخل الخبن في العروض والضرب دون الحشو كقول ضياء الدين رجب :

واستنطقوا مجدك الغالي فطمأنهم　　　منك الصدى في وريث الملك والحسب[2]

واستنطقو	مجد كَلْ	غالي فطم	أنهم	منك صصدى	في وري	ثملك ول	حسبي
/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥//٥	///٥	/٥/٥//٥	/٥//٥	/٥/٥//٥	///٥
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن

ودخول الخبن على (مستفعلن) قليل إذا قيس بدخوله على (فاعلن) من ذلك قول ضياء الدين رجب :

---

(١) ديوان الخطيب ط(١) ص ٢٠٨ .

(٢) البلاد في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

فطيّـــب الله مـــثواه ومـــرقده   بواكـف الـرحمات الهـاطل السـكب[1]

فطيْيَلْ	لاه مث	واهو ومر	قدهو	بواكفرْ	رحما	تلها طلس	سكبي
ه//ه//	ه//ه/	ه//ه/ه/	ه///	ه//ه//	ه///	ه//ه/ه/	ه///
متفعلن	فاعلن	مستفعلن	فعلن	متفعلن	فعلن	مستفعلن	فعلن

وفي قصـيدة محمد بن بليهد ، دخل القطع جميع أضرب القصيدة ، ودخل في العروض ، والضرب ، في مطلع القصيدة :

مـا للمـنية أمسـى ليـس يكفيهـا   مـا ألقت الحرب والأحداث في فيها[2]

ما للمني	ية أم	سى ليس يك	فيها	ما ألقتل	حرب ول	أحداث في	فيها
ه//ه/ه/	ه///	ه//ه/ه/	ه/ه/	ه//ه/ه/	ه//ه/	ه//ه/ه/	ه/ه/
مستفعلن	فعلن	مستفعلن	فاعل	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعل

وكذلك دخل القطع في العروض والضرب في قوله :

في ذمة الله يـا من مات في شهر   فيه اسـلم المصطفى الـروح لباريها[3]

في ذمتل	لاه يا	من مات في	شهرن	فيه اسلمل	مصطفر	روح لبا	ريها
ه//ه/ه/	ه//ه/	ه//ه/ه/	ه/ه/	ه//ه/ه/	ه//ه/	ه///ه/	ه/ه/
مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعل	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعل

والـذي لا يدقـق الـنظر في هـذا الـبيت يحسبه مكسوراً ، وذلك عند النطق بقوـله (المصطفى الروح) ولو قال الشاعر (المصطفى روحاً) لكانت الموسيقى أسلس .

• • • •

(١) المصدر السابق .

(٢) ديوان (ابتسامات الأيام) ص ٤٣٤ .

(٣) المصدر السابق .

وإذا كانت الأوزان لها الدور البارز في تحقيق الموسيقى الخارجية فإن القافية لا تقل أهمية عن الأوزان ، إذ هي الجزء المكمل لتلك الأوزان . والوزن والقافية عنصران متلازمان ، يسهمان في تحقيق النغم الموسيقي وتنظيمه في القصيدة ، وهما في الشعر العربي القديم توأمان لا يفترقان ، لأن « القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى الشعر شعراً ، حتى يكون له وزن وقافية »[١] وتكرارها يحدث لدى السامع اهتزازاً وطرباً ، إذ أنها « بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة »[٢] .

وقد اختلف العروضيون في تحديد القافية ، فذهب الأخفش إلى أنها الحرف الأخير من البيت ، ما عدا الألف ، والواو ، والياء ، والهاء[٣] . وذهب الخليل إلى أن « القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله ، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن »[٤] .

وعلى ذلك فهي عند الأخفش حرف الروي ، وعند الخليل آخر ساكنين في البيت ، مع ما بينهما من متحرك ، ولعل رأي الخليل هو الأرجح ، وعليه توافر العروضيون في دراستهم للقافية .

وخلاصة القول أن القافية طاقة جديدة وترنيمة إيقاعية تضاف إلى الرصيد الوزني فتعطيه نبراً خاصاً وجرساً قوياً ، وهي نقطة استراحة للشاعر ليستعيد نفسه ثم يبدأ من جديد في كل بيت[٥] .

---

(١) العمدة لابن رشيق ، جـ١ ص ١٥١ .

(٢) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٢٤٦ .

(٣) انظر : العمدة ، ص ١٥١ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) انظر : الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ، عبد الرحمن الوجي ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط(١) ، ١٩٨٩ م ، ص ٧١ .

ولما كانت القافية على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بتحقيق الموسيقى الخارجية ، وفي إبراز المعنى ، فقد اهتم بها الدارسون قديماً وحديثاً ، ورأوا أن عبقرية الشاعر تظهر في اختياره لقوافيه ، وجمالها يعتمد على مدى تساوقها مع المعنى العام للبيت ، فلا تكون قلقة ، أو مضطربة ، أو حشواً خارجاً عن معنى البيت[1] .

وعند الوقوف على قصائد الشعراء السعوديين في رثائهم للملك عبد العزيز نجد أنهم بالإضافة إلى التزامهم بوزن واحد في كل القصيدة ، فإنهم أيضاً قد التزموا قافية موحدة في كل القصيدة ، يتكرر فيها حرف روي واحد ، من أول القصيدة إلى آخرها .

وجميع القصائد جاءت قوافيها مطلقة باستثناء قصيدتي حسن عبد الله القرشي ومحمد بن أحمد العقيلي ، ومقطوعة لفيصل المبارك .

ومطلع قصيدة حسن القرشي :

روع العرب واستفز العوالمْ ودهى الشرق فهو أسيان واجمْ[2]

ومطلع قصيدة العقيلي :

نيرٌ قد هوى فرج العوالم وأحال الشموس والكون قاتم[3]

فالقافية عند كلا الشاعرين جاءت مقيدة ، من خلال الميم الساكنة بالإضافة إلى الالتزام بألف التأسيس .

أما مقطوعة فيصل المبارك فقد جاءت هي الأخرى مقيدة من خلال حرف

(١) انظر : الإلياذة ، شرح سليمان البستاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، المجلد الأول ، ص ٩٦ ، وانظر : البناء الفني للصورة ، علي صبح ، ص ٢٥٥ .
(٢) البلاد ، في ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ ، وأم القرى ، في ١٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .
(٣) ديوان (الأنغام المضيئة) ص ٣٠ .

(الدال) مع التزام الردف ومنها قوله :

أبكيه يا دنيا الرياسة والسياسة والكياسة في الخروج وفي الورودْ[1]

والملاحظ على القوافي المقيدة أنها تكون إما مردوفة وإما مؤسسة ، وهو - كما أشار الدكتور عبد الله الطيب - كثير في الشعر العربي القديم ، ولكن استعمالها من غير أن يسبقها ردف ، أو تأسيس غير كثير ، وفيه عسر شديد في البحور الطوال[2] .

وحرف المد سواء كان ردفاً أو تأسيساً ، يعطي امتداداً للصوت ، فهو بمثابة الإشباع في القوافي المطلقة .

وعند الوقوف على قصائد رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي ، نجد أن الشعراء سلكوا فيها مسلك القدماء ، من حيث تقيدهم بحرف المد في القوافي المقيدة ، وخصوصاً أن البحور التي جاءت فيها تلك القوافي هي من البحور الطوال ، وهذا ما يؤكد مرة أخرى تأثرهم بالشعر العربي القديم ، حيث ترسموا خطاه وساروا على نهجه حتى في أدق الأمور .

والملاحظ أن أغلب تلك القوافي المطلقة جاءت إما مؤسسة ، وإما مردوفة ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الموضوع التي تمثل العاطفة الحزينة فيه عنصراً أساساً .

وبالإطلاق الذي هو إشباع لحركة الروي بحرف مدّ من جنس تلك الحركة إضافة إلى الردف أو التأسيس ، يصبح للصوت امتدادٌ قوي ، يتيح للشاعر إفراغ عواطفه ، وإخراج مكوناته ، والتعبير عن ما يجيش في نفسه من ألم وحزن في انبساط صوتي مديد .

---

(١) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) انظر : المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها ، ص ٥٤ .

ومن القوافي التي جمعت بين الإطلاق ، والردف قول محمد سراج خراز :

مـال شـعري دعوتـه فعصـاني ... ولقـد كـنت إن دعـوت يجيـبُ

خنقـته الشـكاة فهـو حـبيس ... وأنـاب الدمـوع فهـي صـبيبُ

جـلّ رزء المـليك عـن أن تـوفيـه القوافـي وإن بكـاه حـبيبُ[1]

ومما اجتمع فيه ألف التأسيس ، مع ألف الإطلاق ، التي هي إشباع لحركة الروي المفتوح قول طاهر زمخشري :

بكت فبكى من هولها الكون نائحاً ... ففاض على أرجائها الندب آسيا

بـرزءٍ دهى والخطب يصغر دونـه ... لدى أنفسٍ كانت تخيف الدواهيا

بكت أمسها الماضي على رغم خلده ... لموت عزيـزٍ كـان يختال ماضيا[2]

وحروف الروي التي وظفها الشعراء في قوافيهم هي : (الميم والباء والراء والدال) يليها (النون ، ثم الهمزة ، والعين ، والقاف والهاء والياء) .

والمجموعة الأولى أكثر دوراناً في الشعر العربي[3] وهي من القوافي الذلل[4] .

وقد كانت أكثر توظيفاً في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي .

والمجموعة الثانية وإن كانت من القوافي الذلل إلا أنها أقل استعمالاً والملاحظ على حروف الروي التي وظفها الشعراء في قوافيهم أنها ليست من الحوش ، أو النفر ، التي يتجافها الشعراء[5] بل هي مما كثر دورانه في الشعر العربي .

---

(١) أم القرى ، في ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ .

(٢) المنهل ، جـ٣ ص ١٩٩ .

(٣) انظر : منهاج البلغاء ، ص ٨٣ .

(٤) انظر : المرشد ، جـ١ ، ص ٥٨ .

(٥) انظر المصدر السابق ، ص ٧٥ - ٧٩ .

أما عيوب القافية فلا تكاد تمثل ظاهرة في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ؛ ومن أبرز تلك العيوب :

١ - **الإيطاء** : وهو تكرار القافية بلفظها ومعناها ، دون الفصل بسبعة أبيات على الأقل ، من ذلك ما جاء في قصيدة محمد بن بليهد حيث يقول :

في ذمة الله يا من مات في شهر	**فيه أسلم المصطفى الروح لباريها**[1]
والموت أمر قضاه الله خالقنا	**على البرية قاصيها ودانيها**
نرضى به مثل ما رضي الإله لنا	**وأجر صبر الثكالى عند باريها**[2]

فالشاعر كرر كلمة (باريها) مرتين ، ولم يفصل بينهما سوى ببيت واحد ومن الإيطاء كذلك ما جاء عند عبد الله بن إدريس في قوله :

حمل الأثير إلى العوالم كلها	**نبا الفقيد فروع الأقطارا**

وبعد خمسة أبيات جاء بقوله :

مشت الجحافل والفيالق حفلاً	**تحمي الذمار وتعمر الأقطارا**[3]

ونلاحظ أن الشاعر كرر كلمة (الأقطار) مرتين ، ولم يفصلها عن الأولى سوى بخمسة أبيات ، وهذا النوع أخف من سابقه .

٢ - **سناد الحذو** : وهو اختلاف حركة ما قبل الروي المطلق من ذلك قول علي حسن غسال :

عليه من الرحمن رحماته التي	**يفوز بها العبد الشكور الموحِدُ**
وإنك أنت اليوم عاهل أمة	**تناهت ولاءً فيك والله يشهدُ**
تعهدتها بالصالحات ومن يكن	**لأمته يوماً المتودُّدُ**[4]

(١) ابتسامات الأيام ، ص ٤٣٥ .

(٢) ديوان (ابتسامات الأيام) ص ٤٣٤ .

(٣) ديوان (في زورقي) ص ١٧٠ .

(٤) البلاد ، العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

٣ - الإقـواء : وهـو اخـتلاف (المجـرى) بكسـر ، أو ضم من ذلك قول محمود عارف :

ما مات فضلك بعدما شمل الورى	سقياً لكفك وهي فوق المنبحِ
وإذا عددنا الصالحات فإنها	بعض لبعضٍ في مجالٍ تتبعُ[1]

٤ - الإصـراف : وهـو اخـتلاف (المجرى) بفتح وضم ، أو فتحٍ وكسر ، وهـو أقـل استكراهاً مـن سـابقه ، لتوسـط حركة الفتح ، ومنه قول محمد علي قطب :

نقل الأثير إليه من عبر الفضا	موت المليك فصمت الآذانُ
ما دار في خلد البرية كلها	أن الفخار يموت والإحسانا[2]

والشـاعر هـنا انـتقل بحركة (المجرى) من الضم إلى الفتح ، ومنه أيضاً قول فؤاد شاكر :

لم يطأطئ من رأسه عربيٌّ	بعد عبد العزيز أو يتغابى
قائد الضمر المغيرات صبحاً	وأخا الروع والنفوس نهابُ
قائد المجنبات تضبح ضبحاً	سابحاتٍ مبكراتٍ عرابا[3]

ومـن الانـتقال بالمجـرى مـن الفتح إلى الكسر - وهو من الإصراف إيضاً - قول عبد الله بن إدريس :

وفتحت أقفال البحار منقباً	عن كنز ما تحت البحار توارى
حتى تحقق ما حكمت بمثله	فطويت بعد البؤس والإقتارِ[4]

(١) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٢) البلاد ، العدد ١٤٠٣ في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) ديوان (وحي الفؤاد) ص ٢٥٨ .

(٤) ديوان (في زورقي) ص ١٧٠ .

ومن المآخذ على القافية أن تجيء حشواً لا فائدة فيها ، سوى إكمال البيت ليتوافق مع ما قبله من ذلك قول صالح بن سحمان :

أتى على الكل ما أودهم وسطاً ... **ريب المنون بها إمضاء نهَّارِ**[1]

وقول محمود عارف :

قد جاء شعبك في حشود شجونه ... **يرثي لحزنك في قصيد الأدمع**

والدمع من شعر المآقي بعضه ... **فيه العزاء لأنه من أضلع**[2]

ومن المآخذ على القوافي ما يمكن أن ندخله تحت باب الضرورات ، من ذلك قول عبد الله بن خميس :

اليوم تستمري الدموع وإنها ... **أدنى مني سبيلاً لعزا يأمُونا**[3]

فكلمة (يأمُونا) الأصل فيها (يأمُّونا) بتشديد الميم إلا أن الشاعر خففها ليستقيم له الوزن .

ولابد من الإشارة إلى أمر وهو : أنه عند إمعان النظر في القوافي نجد أنها من العناصر المشتركة بين الموسيقى الداخلية فكما أنها تعدّ حوافر الشعر لانتهاء الكمية الصوتية بانتهاء نطق حرف الروي ، لكنها لفظة من ألفاظ البيت ، لا تكتسب مزية مستقلة عن ألفاظ البيت ، إلا من خلال سلامة تركيبها داخل العبارة الشعرية ، فإذا جمعت بين حسن النظم ، وسلامة النغم الموسيقي ، كانت من القوافي التي يتشوّقها الوزن .

أما النوع الثاني من الموسيقى فيتمثل في : **الموسيقى الداخلية** ، التي تنشأ من تواءم الكلمات بعضها مع البعض الآخر ، بالإضافة إلى تلاؤم حروفها

---

(١) انظر : كتاب قلائد الجمان في سيرة آل سحمان ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) البلاد ، في ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) البلاد ، العدد ١٤٠٢ في ٥ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

وحركاتها ، أو هي « النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة ، بين وقع الكلام ، والحالة النفسية للشاعر ، أي أنها مزاوجة تامة بين المعنى والشكل ، بين الشاعر والمتلقي »[1] .

وعند النظر في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي ، يلمس القارئ من انسياب هذه الموسيقى في ثنايا كثير من ألفاظها ، وتراكيبها ، ومن تفاعلها مع بقية عناصر التجربة ، من فكر ، وخيال ، وعاطفة .

وبما أن الرثاء يمثل عاطفة الحزن ، وما يصاحبها من تأمل واعتبار ، فإن الموسيقى الداخلية « تصاحب باستمرار الشعور المعبر عنه ، وتساير جيشانه ، وتحكي درجته وامتداده ، فإذا أراد الانفعال ، وكان حاداً ارتفعت النبرة ، وتداخلت وتعقدت ، وإذا هدأ الانفعال ومال إلى التأمل ، هدأت النبرة وخفت حدتها »[2] .

ولعل هذه الدراسة تكشف عن بعض جوانب تلك الموسيقى وتشير إلى أهم ظواهرها ومكوناتها .

ويعد الجناس من أبرز العناصر التي تشيع في النص نغماً موسيقياً مطرباً ، ويرجع ذلك إلى تكرار الحروف وترديدها ، وتقابل الألفاظ وتشابهها ، مع اختلاف المعنى في كل صورة ، وعلى ذلك فالجناس هو : « تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى ، وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً والمختلفان معنى ، يسميان ركني الجناس ، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف ، بل يكفي في التشابه ما تعرف به المجانسة »[3] .

---

(١) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، د/ عبد الحميد جيدة ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٥٢ .

(٢) عضوية الموسيقى في النص الشعري ، د/ عبد الفتاح صالح نافع ، ص ٥٥ .

(٣) علم البديع ، د/ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ١٩٦ .

والجناس أنواع وأضرب منه التام ويدخل تحته أنواع ، وغير التام ويدخل تحته أنواع أخرى .

فمن الجناس التام قول محمد بن بليهد :

سقيت يا جدثا ضمت جوانبه ... بالعود عوداً وحفته هواميها[1]

ومنه قول محمد حسن عواد :

فإذا بشمر طيءٍ ورشيدها ... تعنو ولا يأبى السلام رشيد[2]

ومنه قول فؤاد الخطيب :

أودى وكل حمى في أرضهم حرم ... وكل أشهرهم في ظله حرم[3]

فالجناس بين كلمتي (العود ، وعوداً)[4] وبين (حَرَمُ ، وحُرُمُ) وبين (رشيدها ، ورشيد) .

ومن الناقص قول خير الدين الزركلي :

بالعفو والعضب المهند منتضى ... يشري النفوس ولا يسود حسود[5]

ومنه أيضاً قول ضياء الدين رجب :

وذي جموع الأسى أو رثتها حرقاً ... ما بين مضطرمٍ واه ومضطرب[6]

وقول محمد بن أحمد العقيلي :

والسكون الرهيب ينتظم الآفاق ... والنجم ساهر الطرف ساهم[7]

---

(١) ديوان ابتسامات الأيام ، ص ٤٣٥ .

(٢) أم القرى في ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) ديوان الخطيب ، ص ٣٠٨ .

(٤) (العود) الأولى اسم مقبرة (وعوداً) الثانية تطلق على الرجل الكبير في السن .

(٥) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٦) أم القرى ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٧) ديوان الأنغام المضيئة ص ٣١ .

والجناس في الأبيات السابقة جاء بين (يسود ، وحسود) وبين (مضطرم ومضطرب) وبين (ساهر ، وساهم) .

ومما سبق ترى كيف أشاع الجناس نغماً مطرباً في الأبيات ، يجعل المتلقي أكثر تفاعلاً ومشاركة في تجربة الشاعر .

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية **رد الأعجاز على الصدور** . وقد جاءت هذه اللغة البديعية لتشيع إيقاعاً موسيقياً ، يسهم في نقل شعور الشاعر وانفعاله، وذلك يؤثر في أذن المتلقي « لأن ترجيع الألفاظ المتشابهة تدق الأسماع وتوقظ الأذهان »[1] .

وجاءت على ثلاثة أنماط : الأول : أن يجيء الشاعر بكلمة في الشطر الأول ثم يعيدها في عجز الشطر الثاني ويسمى ذلك تصديراً[2] ؛ ومن ذلك قول خير الدين الزركلي :

جود كمنهل السحاب وما الغنى بمحبب لولا الندى والجود[3]

فالشاعر جاء بكلمة (جود) في الشطر الأول ثم أعادها في عجز الشطر الثاني . ومنه قول حامد المحضار :

هو البغي لا تدري حدود جماحه وهل تظبط البغي الجموح حدود[4]

فالشاعر قد أعاد كلمة (حدود) التي جاءت في الشطر الأول في عجز الشطر الثاني .

---

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي جلال ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٧٣ .

(٢) انظر : العمدة ، لابن رشيق ، ص ٥٧١ - ٥٧٢ .

(٣) أم القرى في ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) أم القرى ١٩ / ٤ / ١٣٧٣ .

والنمط الثاني من رد الأعجاز على الصدور : أن يأتي الشاعر بكلمة في الشطر الأول ويعيدها في حشو الشطر الثاني ، ويسمى ذلك ترديداً[(١)] .

ومنه قول خير الدين الزركلي :

دهر من التاريخ في عمر امرئٍ   قصرت حياة الدهر وهو مديد[(٢)]

ومنه أيضاً قول محمد حسن فقي :

ويرى الرحمة الخصيبة في الحزم   فيغدو والحزم ملء إهابه[(٣)]

ففي البيت الأول جاء الشاعر بكلمة (دهر) في الشطر الأول ثم أعادها في حشو الشطر الثاني ، وفي البيت الثاني جاء الشاعر بكلمة (الحزم) في الشطر الأول ثم أعادها في حشو الشطر الثاني .

أما النمط الثالث : فهو أن يأتي الشاعر بكلمة في عجز البيت الأول ثم يعيدها في صدر البيت الثاني ومنه قول محمد حسن فقي :

ما هوى النجم إن للنجم عمراً   خالداً في ظهوره واحتجابه

خالداً بالذي أقام من المجد   عظيماً في ظعنه واغترابه[(٤)]

فالشاعر جاء بكلمة (خالداً) في عجز البيت الأول ثم أعادها في صدر البيت الثاني .

وبرغم أنه جاء على غير المألوف في رد الأعجاز على الصدور ، حيث جاء مقلوباً ، إلا أنه حقق نغماً إيقاعياً من خلال التكرار الذي له دلالته النفسية الموحية .

---

(١) انظر العمدة ، لابن رشيق ، ص ٥٧١ - ٥٧٢ .

(٢) أم القرى ٢٤ / ٥/ ١٣٧٣ هـ .

(٣) ديوان (قدر ورجل) ، ص ٣٣٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٧٧٣ .

وتنشأ الموسيقى الداخلية من جراء التقسيم ، الذي يقسم البيت إلى أجزاء يقف عندها الشاعر ، فتعطي جرساً موسيقياً عذباً ، وهو نوعان ، الأول : أن يقسم الشاعر البيت إلى أقسام ، تتفق مقاطعها في الحرف الأخير ، والوزن تقريباً ، ويسمى (ترصيعاً)[1] وهو بالسجع أشبه ، إلا أنَّ السجع يقع في الشعر والنثر على السواء ، أما الترصيع فهو مختص بالشعر[2] ومنه قول خير الدين الزركلي :

يا حامل العبء الجسيم ومالك الـ ـملك العظيم لملكك التأييد[3]

ومنه قول علي حافظ :

بالسمع قد بدأتْ ، والطاعة اقترنت والحب ، والصدق ، والإخلاص ، والذمم[4]

ومنه قول فيصل المبارك :

ابكيه يا دنيا الرياسة ، والسيا سة ، والكياسة ، في الخروج ، وفي الورود[5]

ومنه قول عبد الرحمن المعلمي :

جبل أشم هوى ، وغيب في الثرى أحدٌ هوى ، هضباته أخدود[6]

والنوع الثاني من التقسيم : أن يقسم البيت إلى مقاطع ، ولكن دون الالتزام بحرف الروي أو الوزن . ومنه قول أحمد الغزاوي :

وإذا البؤس والشقاء نعيم وإذا الشاء والذئاب صحاب

---

(١) انظر عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى ، د/ عباس بيومي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٨٩ م ، ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أم القرى ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) أم القرى ٢٠ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٥) البلاد ٨ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٦) المنهل جـ٣ ، ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ، ص ٢٠٠ .

وإذا الأرض بالكـــنوز تـــنزى **وإذا المـــال والـــثراء وطـــاب**[1]

وقوله :

هـــو لـــلدين عصـــمة ، ومـــلاذٌ **وهـــو لـــلعرب عـــزةٌ ، وغـــلاب**[2]

ومنه قول محمد حسن عواد :

علامـة إخـلاص ، ومصـداق فطـرةٍ **وآيــة صـدقٍ يطـلب الأمـر جوهـرا**[3]

وقول العقيلي :

نقيــت جوهــراً ، وشــفت طــباعا **وزكت عنصراً ، وطابت مناسم**[4]

● ● ● ●

وتنشـأ الموسـيقى الداخـلية من **التصريع** « وهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه ، تنقص بنقصه ، وتزيد بزيادته »[5] .

وهـو ضـرب مـن الموازنـة بـين العـروض والضرب ، يتعادلان فيها فيتولد جـرس موسـيقيٌ رخيـم « وهـو لذلك أمس الحلى البديعية بالشعر وأقربها إليه نسـباً ، وأوثقها به صلةً ، ونحن حينما نرهف آذاننا للإنشاد من شاعر معروف ، فـأول مـا نتشـوف إليـه ونترقـبه منه هذا التصريع ، الذي يشبه مقدمة موسيقية خفيفـة قصـيرة ، تلهب إحساسنا وتهيئنا لاستماع قصيدته ، وتدلنا على القافية الـتي اخـتارها ، فـإن أغفله أو أتى به رديئاً أو ركيكاً ، خيّل أن شيئاً من الجمال ترك مكانه شاغراً »[6] .

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ١٢٧٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٧٨ .

(٣) أم القرى ٥ / ٤ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) الأنغام المضيئة ، ص ٣٣ .

(٥) العمدة ، لابن رشيق ، جـ١ ص ١٧٣ .

(٦) الشعر وإنشاد الشعر ،

وقد تحلت أغلب قصائد الشعراء السعوديين في رثائهم للملك عبد العزيز بهذه الحلية ، من ذلك قول أحمد الغزاوي :

وبكى الشعب حسرة والشعاب[1] فدح الخطب واستطار المصاب

وقول حسن عبد الله القرشي :

ودهى الشرق فهو أسيان واجم[2] روع العرب واستفز العوالم

وقول طاهر زمخشري :

والعيون التي تسيل الهوامي[3] القلوب التي تفيض الدوامي

• • • •

وتنشأ الموسيقى الداخلية من الطباق ، وهو إيراد كلمة مع ما يضادها في المعنى ، وقد عرفه أبو هلال العسكري بأنه « الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة ، أو الخطبة ، أو بيت من بيوت القصيدة »[4] .

من ذلك قول أحمد الغزاوي :

وإذا الجدب في يديه اختصاب[5] فإذا الصعب في يديه ذلولٌ

حيث جاء الطباق بين (الصعب ، وذلول) وبين (الجدب ، واختصاب) .

وقول خير الدين الزركلي :

وتداولته بياضها ، والسود[6] عرف الحياة مناعماً ، ومبائساً

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ص ١٢٧٥ .

(٢) البلاد في ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ ، وأم القرى في ١٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٣) البلاد في ٣ / ٣ / ١٣٧٣ هـ .

(٤) الصناعتين تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط(٢) ص ٣١٦ .

(٥) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ، ص ١٢٧٨ .

(٦) أم القرى في ٢٤ / ٥ / ١٣٧٣ هـ .

فالطباق بين (مناعماً ، ومبائساً) وبين (بياضها ، والسود) .

وقول محمد بن بليهد :

دع عـــنك هـــذا فـــلأفكار مصـــطخب في الصدر والقول ينأيها ويدنيها[1]

فالطباق بين (ينأيها ، ويدنيها) .

وفي قصيدة محمد حسن فقي ، نظفر بالكثير من الطباق من ذلك قوله :

ويـح هـذى الحيـاة ، تـروى مـن النـبع وتـظمي ببعده واقترابـــــــــه[2]

فالطباق بين (تروي وتظمي) وبين (بعده واقترابه)[3] .

---

(١) ديوان ابتسامات الأيام ، ص ٤٣٤ .

(٢) ديوان (قدر ورجل) ص ٣٣٦ .

(٣) للمزيد انظر المصدر السابق ص ٣٣٦ .

الخاتمــــــــــة

الخاتمة

الحمد لله وكفى ، وصلاة ربي وسلامه على المصطفى ، محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى وبعد :

فبعد أن وفقني الله تعالى وأعانني على إتمام هذه الدراسة ، التي تناولت فيها رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي ، بالدراسة والتحليل فسوق أعرض لأبرز معالم هذه الدراسة ، وأهم النتائج والتوصيات التي خَلُصتْ إليها ، ولقد انتظمت الدراسة في بابين ، سبقا بتمهيد ، وأعقبا بخاتمة .

عنيت في التمهيد بالإشارة إلى الجمع بين التهنئة والتعزية فى قصيدة الرثاء ، الرثاء باعتبارهما عنصرين بارزين في قصيدة الرثاء ، وكيف أنهما صارا تقليداً متوارثاً ، تـوارد عليه الشعراء عبر العصور ، منذ ظهر لأول مرة في عهد الدولة الأموية ، وحتى العصر الحديث ، وبينت حرص الشعراء السعوديين على هذا التقليد وتضمينهم إياه في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .

كما عرضت في التمهيد للدراسات السابقة ، وأوضحت أن هذه الدراسة التي تناولت رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي ، تعد أول دراسة في موضوع الرثاء في الشعر السعودي ، بوصفها دراسة مستقلة ، وهي كذلك أول دراسة علمية متخصصة فيما قيل في الملك عبد العزيز من شعر الرثاء وأن أغلب الدراسات السابقة لم تعدُ أن تكون إشارات متفرقة في بعض الكتب الأدبية والتاريخية .

أما الباب الأول : فدارت الدراسة فيه حول قضايا الشعر في رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي .

وتناولت في الفصل : مصادر شعر الرثاء ، من خلال مبحثين :

المبحث الأول : شخصية الملك عبد العزيز .

وعرضت فيه لتميز هذه الشخصية وتفردها، بما اشتملت عليه من صفات ، استحق صاحبها أن يكون من عظماء العالم ، الذين صنعوا التاريخ كما عرضت لمقومات تلك الشخصية الفذة ، والروافد والمؤثرات التي شكلتها ، من نسبٍ للأسرة عريقة في الحكم والسياسة ، وتنشئة صالحة ودربة ومران اكتسبها من خلال اصطحاب والده له في غزواته ، وإرساله في سفارات ومفاوضات مع أمراء الخليج ، وحائل ، والأحساء وغيرهم ، وما أفاده أثناء إقامته في الكويت ، من مجلس أمير الكويت ومجالسته ، ومشاهدته لحضور القوى العظمى في الخليج ، وصراعها من أجل السيطرة على المنطقة ، وأشرت إلى صفاته الجسمية التي كان لها أثرها في شخصيته ، ثم ذكرت أن الصفات التي رصدها الشعراء السعوديون في رثائه يرحمه الله، وأنها هي نفس الصفات التي مدح بها في حياته .

ثم عرضت لبعض آراء النقاد الأوائل ، فيما يتعلق بتقسيمهم لأغراض الشعر ، وأنهم جعلوا الرثاء داخلاً تحت المديح ، فلا فرق عندهم بين المرثية والمدحة إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل أنها لهالك .

وتناولت تقسيم قدامة بن جعفر لصفات المدح ، وأنه جعلها أربع هي جماع الفضائل النفسية عنده ، وهي العقل ، والشجاعة ، والعدل ، والعفة ، وأن ما عداها متفرع عنها ، وأشرت إلى آراء النقاد حول هذا التقسيم .

بعد ذلك تناولت الصفات التي رصدها الشعراء السعوديون في رثائهم للملك عبد العزيز ، وبينت أنهم تجاوزوا الصفات النفسية التي ذكرها قدامة بن جعفر وما يتعلق بها ، وأضافوا إليها ما يمكن أن نسميه متعلقات تلك الصفات مثل العظمة ، والعبقرية ، والإمامة .

ومن الصفات التي رصدها أولئك الشعراء ، المروءة وما يندرج تحتها من كرم ، وعفو ، وكظم للغيظ ، ونخوة ، ونجدة ، ومنها العقل ، والشجاعة ، وما يندرج تحتها من قيادة فذة ، وحزم ، وصرامة .

ومن الصفات أيضاً : العدل ، وما يندرج تحته من رحمة ، وعطف .

وبينت كيف أبرز الشعراء تلك الصفات ، وأشادوا بها وبما تحمله من معاني سامية ، ميزت شخصية الملك عبد العزيز وأكسبتها الإجلال والتقدير ، بحيث صارت مصدراً ثراً للشعراء السعوديين الذين رثوا الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .

وجاء المبحث الثاني عن (التراث) ، وبينت فيه مدى تأثر الشعراء السعوديين في رثائهم للملك عبد العزيز بتراثهم العربي .

وأشرت إلى مدرسة الإحياء ودورها البارز في إحياء التراث العربي وبعثه ، وكيف أن الشعراء السعوديين تأثروا بتلك المدرسة ، من خلال ما وصلهم من تراث مطبوع ، كان له أكبر الأثر في ارتباط الشاعر السعودي بماضيه البعيد وتراثه الأصيل .

وعرضت إلى طبيعة ذلك التأثر وأنه جاء من قبيل تسجيل ذلك التراث دون محاولة توظيفه عند جميع الشعراء .

بعد ذلك تناولت الجوانب التراثية التي استلهمها الشعراء في قصيدة الرثاء والتي تمثلت في أربعة جوانب هي التاريخ ، والسيرة ، واللغة ، والأدب .

أما الفصل الثاني : فتناولت فيه صدمة الحدث ، وأثر نبأ وفاة العاهل العظيم ، على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وبينت كيف تناولت وسائل الإعلام نبأ الوفاة وما أحدثه من ألم وحسرة ، وحزن في نفوس الناس ، مما يؤكد ما كان يتمتع به الفقيد من حب ، واحترام ليس في الداخل فحسب ، بل في العالم أجمع .

وأشـرت إلى بعـض خطابـات الـنعي والـتأبين ، التي تلقتها حكومة المملكة العـربية السـعودية في وفـاة العـاهل المؤسـس ، ثم استعرضت بعض افتتاحيات الصحف والمجلات في اليوم التالي لوفاته يرحمه الله .

بعـد ذلـك عرضت لموقف الشعراء السعوديين من هذا الحدث المؤلم ، حيث جـاءت قصـائدهم معبرة أصدق تعبير عن عظيم المصيبة ، وفداحة الخطب ، قد لفها الحزن وجللها الأسى .

أمـا الفصل الثالث : فكان عن (قضية الحياة والموت) وتناولت فيه موقف الشـعراء مـن هـذه القضـية عـبر العصـور بـدءاً بالعصر الجاهلي وحتى العصر الحديـث ، وبيـنت فيـه تفـاوت الشـعراء في نظـرتهم لهـذه القضـية ، بعد ذلك عرضـت لموقـف الشـعراء السعوديين من قضية الحياة والموت من خلال قصيدة رثـاء المـلك عـبد العزيـز ، وأوضحت أنهم انطلقوا في نظرتهم لهذه القضية من طـبيعة التصـور الإسـلامي لهـا ، فليس فيها غلو ، أو انحراف عقدي ، أو شطط فكري .

وأن تـناولهم لقضـية الحيـاة والمـوت ، جـاء على سبيل الوعظ الذي يهدف لأخذ العبرة ، دون أن يكون هناك عمق فلسفي ، عدا قصيدة محمد حسن فقي ، وبعض إشارات في قصيدة محمد هاشم رشيد .

أمـا الفصـل الرابع : فأفردته للحديث عن (منجزات الملك عبد العزيز) ، مـن خلال ما رصده الشعراء السعوديون في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز ، وقد تمحـورت هذه المنجزات حول : تحقيق وحدة الدولة والمعتقد ، وتطبيق الشريعة الإسـلامية ، وإقامـة العـدل ، وتحقيـق التنمية الشاملة ، السعي لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية .

ولقد نظر الشاعر السعودي لهذه المنجزات نظرة إجلال وإكبار ، نظراً لتميزها ، ولكونها تحققت في فترة لا تتجاوز الخمسين عاماً ، وهي فترة قياسية ، إذا ما قورنت بفترات بناء الأمم والحضارات ، حيث استطاع المؤسس العظيم أن يغير ملامح الجزيرة العربية ، ويؤسس لأرقى مشروع حضاري عرضته الجزيرة العربية عبر تاريخها الطويل .

وجعلها تنصهر في بوتقة واحدة ، تحت شعار واحد ، يسودها الأمن والاستقرار في ظل شريعة غراء ، حتى تحولت المملكة العربية السعودية إلى دولة عصرية تأخذ بأسباب الرقي والتقدم ، ولها وزنها وفاعليتها في المحافل الدولية .

أما الباب الثاني : فأفردته لدراسة أدبيات شعر رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي .

وقد تكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : عنيت فيه بدراسة (المعجم الشعري) ، في ألفاضه ، وتراكيبه وظواهره الأسلوبية ، وكشفت فيه عن تأثر قاموس الشعر بطبيعة غرض الرثاء ، في الألفاظ ، والتراكيب ، والظواهر الأسلوبية .

أما الفصل الثاني : فكان عن (الصورة) ، وعنيت فيه بإبراز مفهوم الصورة ودور الخيال - ومن خلفه العاطفة - في تشكيلها .

وظهر لي تأثر الصورة في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز عند الشاعر السعودي بثقافة الشاعر ، حيث جاءت الصورة تقليدية في بعضها مستمدة مما علق في ذهن الشاعر من صور تراثية قديمة ، وفي بعضها الآخر جاءت صوراً حديثة مستمدة من واقع الشاعر المعيش وما يحيط به من نهضة علمية ، وينابيع ثقافية ، متعددة الروافد .

ثـم عرضـت لأنـواع الصـورة ، وأنهـا جاءت (جزئية) تُعنى بفكرة محددة أو مشـهد صـغير ، كمـا جاءت (كلية) ليس لها استقلال ، بل تراها مرتبطة بما قبلها ، طالبة لما يليها ، في تسلسل وتلاحق لتشكل في النهاية لوحة كلية .

ثم عرضت للوسائل التي اعتمد عليها الشعراء في تشكيلهم للصورة ، سواء اعتمدوا على المجاز بأساليبه المختلفة ، أو على الحقيقة .

أمـا الفصل الثالث فكان عن (الموسيقى) ، وعنيت فيه بإبراز الموسيقى من زاويتين الأولى : الموسيقى الخارجية ، والثانية الموسيقى الداخلية .

تـناولت في الموسـيقى الخارجيـة الأوزان والقـوافي ، وكشـفت عـن تمسـك الشـاعر السـعودي في قصـيدة رثـاء الملك عبد العزيز بالنمط التقليدي للقصيدة العربية ذات الشطرين .

والتزامه بقافية موحدة من أول بيت حتى آخر بيت في القصيدة .

وفيما يتعلق بالأوزان ، عنيت بإبراز البحور التي جاءت عليها تلك الأوزان وما داخلها من زحافات وعلل .

أمـا القافيـة فقـد درسـت فيها حروف القافية ، وأصوات الروي ، وعيوب القافية .

وفـيما يتعـلق بالموسـيقى الداخـلية ، فقد أبرزت الوسائل التي اعتمد عليها الشـعراء لـتحقيق تلك الموسيقى ، وهي الجناس ، ورد الأعجاز على الصدور ، والتقسيم ، والتصريع ، والطباق .

ولعلي أشير في ختام هذه الدراسة إلى أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها هذه الدراسة .

أولاً : أظهرت الدراسة مدى ثراء شخصية الملك عبد العزيز ، وتميزها وتعدد مواهبها وفيض عطائها ، بحيث أصبحت مصدراً ثراً ، ومورداً عذباً ، نهل منه الشعراء في رثاءهم له يرحمه الله .

ثانياً : ارتباط الشاعر السعودي بتراثه العربي الأصيل ، وظهور ذلك واضحاً في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز ، حيث تأثر بذلك التراث واستلهمه .

ثالثاً : أفصحت الدراسة عن مدى الأثر الذي أحدثه نبأ وفاة الملك عبد العزيز لدى الشاعر السعودي ، الذي عبر بلسان الأمة عن عميق الحزن ، ومرارة الألم ، وهول المصيبة ، وفداحة الخسارة ، لفقد العاهل المؤسس ، من خلال ما سطره الشعراء من شعر الرثاء .

رابعاً : استناد الشاعر السعودي إلى المرجعية الشرعية في قصيدة رثاء الملك عبد العزيز ، وخلو شعره من الانحرافات العقدية ، والشطحات الفكرية .

خامساً : تباهي الشعراء ، وافتخارهم بالمنجزات العظيمة ، التي حققها المؤسس العظيم ، من خلال رصدهم لها ولعطاءاتها الممتدة ، وتأكيدهم على تفردها وتميزها .

سادساً : إن طبيعة الموضوع ، وضعف أدوات الشعراء الفنية ، بالإضافة إلى حداثة تجارب بعضهم ، أفضت إلى خفوت الوهج الفني في بعض النماذج من شعر رثاء الملك عبد العزيز في الشعر السعودي .

سابعاً : تميز تجارب الشعراء بالاعتدال ، في الصنعة الشعرية .

ثانياً : محافظة الشعراء على النمط التقليدي للقصيدة العربية ذات الشطرين والتزامهم بقافية موحدة في جميع أبيات القصيدة .

ومما يجدر التوصية به في ختام هذه الدراسة هو :

أن غرض الرثاء في الشعر السعودي ، غرض يستحق المزيد من العناية والاهتمام ، من خلال الدرس والتحليل ، ولعل أهم ما يميز هذا الفن ، هو : صدق العاطفة ، ونبلها ، بحيث نستطيع أن نسميه شعر الوجدان الخالد .

وباستطاعة الباحثين الوقوف على نماذج عالية الجودة من هذا الشعر .

أسأل الله تعالى أن يختم بالصالحات أعمالنا ، وأن يهدينا سواء السبيل إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١ - أثـر القرآن في الشعر العربي الحديث ، د/ شلتاغ عبود، دار المعرفة ، ط (١) ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٧ م .

٢ - أحمـد الغزاوي وآثاره الأدبية ، جمع وتصنيف د/ مسعد العطوي ، جـ (٢) ، ط (١) .

٣ - أحمـد قـنديل حياته وشعره ، فاطمة عبد الجبار ، نادي جدة الثقافي الأدبي ، ط(١) ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٤ - أدب المهجـر أصالة الشرق وفكر الغرب ، د/ نظمي عبد البديع ، دار الفكر العربي ١٩٧٦ م .

٥ - الأليـاذة ، شـرح سـليمان البسـتاني ، دار إحيـاء التراث العربي ، بيروت ، المجلد الأول .

٦ - أمـة في رجـل ، د/ عـبد الله بـن عبد المحسن التركي ، دار الملك عبد العزيز ١٤١٩ هـ .

٧ - أيامـه الأخـيرة طيـب الله ثـراه ، خـليفة إسمـاعيل الإسمـاعيل ، ط (١) ١٤١٩ هـ .

٨ - الإيقـاع في الشـعر العربي المعاصر ، عبد الرحمن الوجي ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط (١) ١٩٨٩ م .

٩ - الاتجـاه الوجدانـي في الشـعر العـربي المعاصـر ، د/ عـبد القادر القط ، دار النهضة العربية ، ط (٢) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

١٠ - الاتجاهـات الجديـدة في الشـعر العربي المعاصر ، د/ عبد الحميد جيده ، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٦ م .

١١ - بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م ، المجلد الثاني .

١٢ - البـناء الفـني للصـورة ، عـلى صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

١٣ - بـناء القصـيدة العـربية الحديـثة ، د/ عـلي عشـري زايـد ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ط(٣) ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

١٤ - تاريخ الأدب العربي ، للرافعي ، جـ٣ .

١٥ - تـاريخ المـلكة العـربية السـعودية ، د/ محمـد الصـالح العثيمين ، الدارة ، جـ (٢) ١٤١٩ هـ .

١٦ - الـتجربة الإبداعيـة عـند محمد هاشم رشيد ، د/ محمد الصادق عفيفي ، من مطبوعات نادي الباحة الأدبي ١٤١٧ هـ .

١٧ - التصوير الشعري ، د/ عدنان حسين قاسم ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ، ط (١) ١٩٨٠ م .

١٨ - تطـبيق الشـريعة الإسـلامي في المـلكة العـربية السعودية ، د/ عبد الرحمن الزبيدي ، ط(١) ، الداره ١٩٩٩ م .

١٩ - التفسير النفسي للأدب ، د/ عز الدين إسماعيل ، دار الثقافة ، بيروت .

٢٠ - توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر ، أشجان الهندي ، النادي الأدبي في الرياض ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

٢١ - جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي جلال ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠ م .

٢٢ - الحداثة في الشعر العربي المعاصر مبناها ومظاهرها ، د/ محمد حمود ، الشركة العالمية للكتاب ، ط (١) ١٩٩٦ م .

٢٣ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، د/ بكري الشيخ أمين ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط (٦) ١٩٩٤ م .

٢٤ - الخصائص الفنية في شعر محمد هاشم رشيد ، د/ عبد الرحمن محمد الوصيفي ، دار الجزيرة للطباعة ، ط(١) ١٤٠٦ هـ .

٢٥ - خليل مطران شاعر الأقطار العربية ، جمال الدين الرمادي ، ط٣ ، دار المعارف بمصر .

٢٦ - دراسات في الأدب السعودي ، د/ محمد الصادق عفيفي ، ط(١) ١٤١٣ هـ .

٢٧ - دراسة الظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، د/ محسن طمش ، دار الرشد للنشر والتوزيع ، العراق ١٩٨٢ م .

٢٨ - دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، ط (١) ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٤١٣ هـ .

٢٩ - دلالات التراكيب ، د/ محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط (٢) ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

٣٠ - ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبد الله عزام ، مجلد (١) ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر .

٣١ - ديـوان أبـي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط دار المعارف بصر ١٩٧٠ م ، جـ ٣ .

٣٢ - ديـوان ابـن زيـدون مع دراسة تفصيلية عن الشاعر ، بقلم كريم مرعشلي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ١٩٦٨ م .

٣٣ - ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، جـ٤ .

٣٤ - ديوان حافظ إبراهيم ، دار العودة للصحافة والنشر ، جـ ٢ .

٣٥ - ديوان طرفة بن العبد ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٤٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٣٦ - ديـوان في زورقـي ، عـبد الله بن إدريس ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

٣٧ - ديوان قدر ورجل ، محمد حسن فقي ، ط(١) ١٣٨٦ هـ .

٣٨ - الرثاء ، شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف بمصر .

٣٩ - الـرثاء في الشـعر الجاهلي وصدر الإسلام ، د/ بشرى محمد الخطيب ، كلية الآداب جامعة بغداد .

٤٠ - رمـاد الشـعر دراسة البنية الموضوعية والنفسية للشعر الوجداني في العراق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط (١) ، ١٩٨٨ م .

٤١ - سر الفصاحة ، لابن سنان الخفاجي ، طبعة القاهرة ١٩٣٢ م .

٤٢ - سلسـلة الأحـاديث الصـحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المجلد الثاني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط (٢) ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٤٣ - سيرة ابن هشام ، جـ١ .

٤٤ - شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين - بيروت ، جـ ١ .

٤٥ - شرح المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، جـ ١ ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٤٦ - شرح المعلقات السبع ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٤٧ - الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، د/ محمد النويهي ، جـ (١) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

٤٨ - الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن ، د/ عبد الله الحامد ، دار الكتاب السعودي ، الرياض ، ط(٣) ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م .

٤٩ - شعر الرثاء العربي واستنهاض العزائم ، د/ عبد الرشيد عبد العزيز سالم ، وكالة المطبوعات الكويتية ، ط(١) ١٩٨٢ م .

٥٠ - الشعر العربي المعاصر ، د/ عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، ط(٥) .

٥١ - الشعر العربي روائعه ومدخل لقراءته ، الطاهر مكي ، دار المعارف مصر ، ط (١) ١٩٨٠ م .

٥٢ - الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الثالثة ، د/ محمد مندور ، دار النهضة للطبع والنشر .

٥٣ - شعر حسين سرحان دراسة نقدية ، أحمد عبد الله المحسن ، النادي الأدبي في جدة ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

٥٤ - شعر حسين عرب ، ساره الراجحي ، دراسة موضوعية وفنية ، الرياض ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

٥٥ - الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ - ١٩٥٠ م ، جـ ٢ .

٥٦ - شعراء معاصرون ، مصطفى السحرتي ، وهلال ناجي ، ١٩٦٢ م .

٥٧ - الشوقيات ، أحمد شوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، جـ ٣ .

٥٨ - صقر الجزيرة ، أحمد عبد الغفور ، جـ ٢ .

٥٩ - الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (٢) ١٤٠٤ هـ .

٦٠ - صور من حياة الملك عبد العزيز ، الأمير طلال بن عبد العزيز ، دار الشواف للنشر والتوزيع ، ط (٤) ١٤١٩ هـ .

٦١ - الصورة الشعرية ، ساسين عساف ، ط (١) ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت .

٦٢ - الصورة الشعرية في النقد الشعري ، دراسة في النظرية والتطبيق ، د/ عبد القادر الرباعي ، دار العلوم ، الرياض ، ط (١) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

٦٣ - الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، د/ بشرى موسى صالح ، المركز العربي ، ط (١) ١٩٩٤ م .

٦٤ - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د/ جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢ م .

٦٥ - الصورة الفنية في الشعر السعودي ، نجاة حسن بصري ، رسالة ماجستير ، جدة ، كلية التربية للبنات ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٦٦ - الصورة بين البلاغة والنقد ، د/ أحمد بسام ساعي ، دار المنارة للطباعة والنشر ، ط (١) ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٦٧ - الصورة في شعر بشار بن برد ، د/ عبد الفتاح صالح نافع ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمّان ١٩٨٣ م .

٦٨ - عضوية الموسيقى في النص الشعري ، د/ عبد الفتاح صالح نافع ، مكتبة المنار ، الأردن الزرقاء ، ط (١) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٦٩ - العقد الفريد ، لأحمد عبد ربه ، جـ٣ .

٧٠ - علم البديع ، د/ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٧١ - العمدة ، لابن رشيق ، تحقيق د/ محمد قرقزان ، مطبعة دار الكتاب العربي ، دمشق ، ط(٢) ١٤١٤ هـ .

٧٢ - عمود الشعر النشأة والمفهوم ، د/ محمد مريسي الحارثي ، دار الحارثي للطباعة والنشر ، الطائف ، من منشورات نادي مكة الثقافي الأدبي ، ط (١) ١٤١٧ هـ - ١٩٩٨ م .

٧٣ - عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى ، د/ عباس بيومي ، دار المعرفة ، الاسكندرية ١٩٨٩ م .

٧٤ - عناصر القوة في توحيد المملكة العربية السعودية ، د/ بدر عادل الفقير ، الداره ، ط (١) ١٤١٩ هـ .

٧٥ - الغزاوي يرصد المنجزات السعودية شعراً ، د/ محمد مريسي الحارثي ، بحوث مؤتمر المملكة العربية في مائة عام ١٤١٩ هـ .

٧٦ - فن الشعر ، د / إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ١٩٥٩ م .

٧٧ - في الأدب السعودي ، رؤية داخلية ، يوسف حسن نوفل ، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر ، الرباط ، ط (١) ١٤٠٤ هـ .

٧٨ - قراءة في ديوان الشعر السعودي ، د/ يوسف حسن نوفل ، النادي الأدبي في الرياض ١٤٠١ هـ .

٧٩ - قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط (٩) ١٩٩٦ م .

٨٠ - قضية الشعر الجديد ، د/ محمد النويهي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٨١ - محمد حسن عواد شاعراً ، آمنة عبد الحميد ، دار المدني ، جده ، ط (١) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٨٢ - المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د/ عبد الله الطيب ، دار الفكر ، بيروت ، ط (٢) ١٩٧٠ م .

٨٣ - المغازي ، للواقدي ، جـ ١ ، ط (٣) .

٨٤ - مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة ، فاطمة سعيد حمدان ، معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٨٥ - الملك الراشد ، عبد المنعم القلامي ، ط (٢) ، دار اللواء ١٩٨٠ م .

٨٦ - الملك عبد العزيز رؤية عالمية ، ساعد العرابي ، ط١ ، دار القمم للإعلام ١٤١٥ هـ .

٨٧ - الملك عبد العزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ، قدم له وراجع مادته ، د/ حسن بن فهد الهويمل ، جمع مادته ، إسماعيل حسن أبو زعنونة ، الدارة جـ (٢) ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

٨٨ - الملك عبد العزيز في مرآة الشعر ، عبد القدوس الأنصاري ، تقديم د/ محمد مريسي الحارثي ، ط جامعة أم القرى ١٤١٩ هـ .

٨٩ - الملك عبد العزيز كما صوره الشعراء العرب ، عبد الله أدريس ، نادي الرياض الأدبي ، ط(١) ١٤٢٠ هـ .

٩٠ - الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية المنهج القويم في الفكر والعمل ، د/ عبد الله عبد المحسن التركي ، ط(٢) ، الرياض للإعلام العربي ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

٩١ - الملك عبد العزيز وعبقرية الشخصية الإسلامية ، عبد العزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان ، مطابع دار المعارف ١٤٠٣ هـ ، ط (١) .

٩٢ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب خوجه ، المطبعة الرسمية التونسية ، تونس ١٩٩٦ م .

٩٣ - منهج الفن الإسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط (٦) .

٩٤ - موسيقى الشعر بين الثبات والتطور ، د/ صابر عبد الدايم ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط (٣) ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٩٥ - النظرية الرومانيكية في الشعر ، لكولريدج ، ترجمة د/ عبد الحكيم حسان ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

٩٦ - النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط (٦) ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٩٧ - النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة - القاهرة .

٩٨ - نقـد الشـعر ، لقدامـة بـن جعفـر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط (٣) .

٩٩ - الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي، ط(٨) ١٩٩٦م.

المجلات والصحف :

- أم القرى ، الأعداد ١٤٩١ - ١٥٠٠ سنة ١٣٧٣ هـ .
- البلاد السعودية ، الأعداد ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٣٧٣ .
- الأهرام المصرية ، ١٠ / ١١ / ١٩٥٣ م .

المجلات :

- الحج ، ١٣٧٣ هـ .
- قافلة الزيت ١٣٧٣ هـ .
- المنهل ، جـ ٣ ، ١٣٧٣ هـ .
- اليمامة ، العدد الرابع ١٣٧٣ هـ .

فهرس الموضوعات